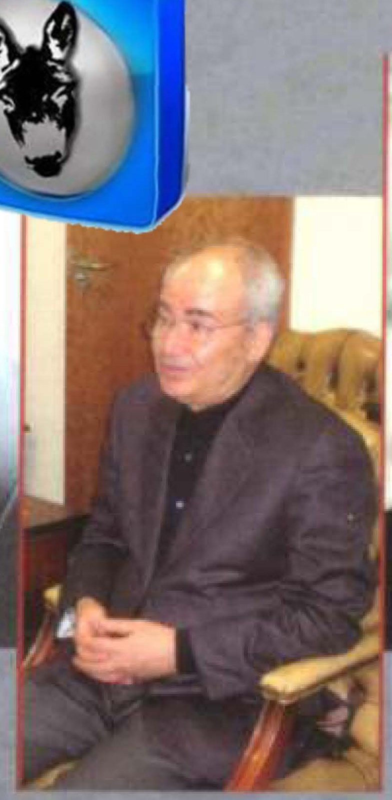
غسان شربل

في خيمة القذافي

رفاق العقيد يكشفون خبايا عهده



عبد السلام جلود



عبد المنعم الهوني



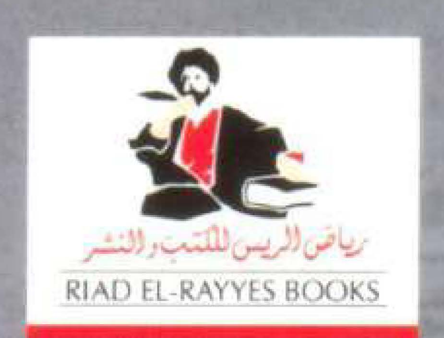
عبدالرحمن شلقم



علي عبد السلام التريكي



نوري المسماري



رياض الريس للكتب والنشر

RIAD EL-RAYYES BOOKS

غسان شربل

في خيمة القذافي

رفاق العقيد يكشفون خبايا عهده



رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

Ghassan Charbel

Inside Gaddafi's Tent

The Colonel's Companions
Reveal the Secrets of His Regime

First Published in January 2013

BEIRUT - LEBANON
elrayyes@sodetel.net.lb - www.elrayyes-books.com
www.elrayyesbooks.com

ISBN 978 - 9953 - 21 - 553 - 2

الطبعة الأولى: كانون الثاني (يناير) ٢٠١٢

لشراء النسخة الإلكترونية:
www.arabicebook.com

تصميم الغلاف: هوساك كومبيوتر برس

المحتويات



مقدمة

لا يلتفت المستبدُّ إلى ساعته. شمسُه لن تغرب. أوفدهُ التاريخ في مهمة مفتوحة. كلّفه اعادة اختراع بلاده. إخراجها من ركامها. من خوفها المزمن وانتظارها الطويل. كلّفه وأطلق يده. تفويضه وافدٌ من رَحِمِ الأمّة. لا يحتاج إلى استجداء الشرعية من «العملاء» و«العبيد» و«الجرذان» و«الكلاب الضالّة».

«القائدُ التاريخي» نكبة تاريخية. أدرك باكراً مقدار عطش العالم إلى الذهب الأسود فأطلق العنان لجموحه. لا احترام للقواعد والأعراف والمعاهدات الدولية. سيحاول إذلال الآخرين. سيتعمّد التأخير ويترك ليونيد بريجنيف ينتظره. سيقطع محادثاته في الكرملين الشيوعي لأن موعد الصلاة قد حان. سيستخدم منبر الجمعية العامة للأمم المتحدة لمحاولة تمزيق ميثاقها ورميه أرضاً. سيأمر بخطف وزراء «أوبك» في ١٩٧٥. سيفجّر الطائرات المدنية. سيعير ثورة الخميني الصواريخ التي استخدمتها في قصف بغداد والمدن العراقية الأخرى.

كان مصاباً بمتعة إذلال الآخرين. أمام الكاميرات وضع حذاءه قبالة وجه طوني بلير. وأمام الكاميرات تقدّم منه سيلفيو بيرلسكوني وقبّل يده. كوفي أنان دخل خيمته مرعوباً بفعل مكيدته. سيرسل قواته إلى أوغندا لنجدة عيدي أمين. ستجتاح قواته جزءاً من الأراضي التشادية.

عقدة الخيمة لازمته في أسفاره. سيحاول هذا البدوي نصب خيمته أمام قصور الرئاسة في العواصم التي يزورها. كادت الخيمة تطيح زيارته إلى روسيا لولا تدخل فلاديمير بوتين. رجل يعشق الإثارة والضجيج والأضواء والفضيحة. في مؤتمرات القمة يبتهج بحشد المصورين وفلاشاتهم. يسرق الأضواء بملابسه الغريبة وحركاته المستهجنة ومداخلاته التي يصعب توقع مضمونها. يكره ياسر عرفات بسبب رمزيته. ويكره صدام حسين الذي لم يتردد في الاستخفاف به وبالاسم الشاسع لـ «الجماهيرية». يخاف الأميركيين لقدرتهم على الوصول إلى غرفة نومه.

شاهد الآلة العسكرية الأميركية تقتلع صدام حسين ونظامه. واظب على حضور جلسات محاكمة المستبد العراقي كمن يتحسس رأسه. في القمة العربية في دمشق خاطب الحاضرين قال: «إن الدور سيأتي عليكم». شيء ما في داخله كان يقول له إنّ أجراس نهايته بدأت تدق.

مقامر فظ لا حدود لحقده. يكره الاعتدال والمعتدلين. حلم طويلاً بتقسيم السعودية. حاول اغتيال الملك

عبدالله بن عبدالعزيز. وحاول ذات يوم إقناع زائر سعودي بارز بترتيب انقلاب في بلاده فضحك الزائر طويلاً من اقتراح الرجل المريض.

اعتبر الزعامة العربية حقاً من حقوقه بسبب جملة إشادة صغيرة أسبغها عليه جمال عبدالناصر. ولهذا السبب حاول الحضور في لبنان «مصنع الزعامة العربية». لكنّ لعبته تكشّفت باكراً. وتعامل كثيرون معه بوصفه مهرّجاً أو جامحاً. عثر بالتأكيد على شعرائه ومدّاحيه وحَمَلَة المباخر. لكنّه عاد من الرحلة خائباً بعدما أنفق ثروات في محاولة شراء الذمم واستئجار الضمائر. يئس من العرب فاتجه إلى القارة السمراء. عثروا له على تاج وصار اسمه «ملك ملوك أفريقيا». كان يستمتع باحتقار قادة القارة. يستيقظ ويقول لأمين المراسم: «هات العبد» ويقصد الرئيس الافريقي الزائر. وفي نهاية المقابلة يقول: «ذهب العبد أعطوه شيئاً».
معمر القذافي (١٩٤٢- ٢٠١١)

❊ ❊ ❊

لا يحتاج المستبد إلى استجداء التفويض. وإذا كان لا بد من مسرحية فلا مانع. دستور جبان يُشرْعن التسلط. وكتيّب أخضر يشبه ما ارتكبه ماو تسي تونغ وجوزف ستالين ويتخطاه. وبرلمان محشو بالمصفقين لا يجتمع إلّا ليجدد مبايعة سيّد البلاد والعباد.

«القائد التاريخي» لا يخطئ. لا يشيخ. ومن صلاحياته التلاعب بالفصول وتغيير مسارات الأنهار، وطرد

التجاعيد الوافدة إلى وجهه. جاء ليقيم. يشمّ رائحة الأخطار قبل استفحالها. يشمّها لحظة ولادتها. والعلاج حاسم وقاطع. لا مكان في بلاد «القائد التاريخي» لسبابة ترتفع أو لنظرة تشكيك. سيذهب أبعد من ذلك. سيفكّك الجيش الذي أوصله إلى القصر. سيحوّله ألوية يوزّعها على أبنائه. سيفكّك الدولة وسيجعل الفوضى هي القاعدة. سيسمّم العلاقات بين القبائل وأفخاذها.

في بلاد «القائد التاريخي» لا مكان للحياد. تعمل في خدمته فيغرقك بعطاياه أو يسد جوعك بالفتات. تبتعد عنه فيحل عليك غضبه. وإن جاهرتَ بعدائك تنتظرك رصاصة أو شاحنة موتورة أو تتعفّن في ظلام السجن.

سيتلاعب بكل شيء. السلطة للشعب. والنفط لليبيين. والبيت لساكنه. والزحف الثوري هو الحل. كانت مهمته الأولى تحويل شركائه في ثورة الفاتح من سبتمبر (أيلول) ١٩٦٩ إلى موظفين لديه. بالبراعة والقسوة والمكيدة الْتَهَمَ «مجلس قيادة الثورة» قبل أن يحوّل البلاد «جماهيرية» ويضعها في عهدة «الكتاب الأخضر» في عهدة جلاوزة الاستخبارات.

كان يستعذب اللعب بالمصائر. يخترع أشخاصاً ويخترع لهم أدواراً. يدفعهم إلى أعلى ثم يخفضهم. يدخلهم السجن ويعيدهم إلى مكاتبهم. ينظّم أعمارهم على عقارب مزاجه المتقلّب. سيثأر من فقر طفولته ومن استضعاف الآخرين لعائلته المباشرة. سيحتقر الجميع

وفي ساعة الغضب سيقول للناس «من أنتم؟».

كل الخيوط في يد رجل واحد. والرجل مريض. يهرب إلى الصحراء مع خيمته. لا يحبّ توقيع الأوراق. الأوامر بالهاتف أو شفوية سواء كانت لإنفاق الملايين أو للقتل. احتقاره لشعبه لا ينفصل عن احتقاره لكل القواعد الدولية والأعراف. سيُرسِل المتفجرات في كل اتجاه. وستنفجر عبواته جواً وبحراً وبراً. وفي بلدان قريبة وبعيدة. كان يبتهج بإضرام النار في الرداء الأميركي. ويكره السوفيات ويشتري منهم الترسانات.

إننا الآن في رومانيا نيكولاي تشاوشيسكو. احتفل المستبدّ المقيم بالمستبدّ الزائر وكان اسمه معمر القذافي. اغتنم الوفد المرافق للعقيد الرحلة لتصفية أحد أعضاء الوفد. إنه واحد من ثلاثة قُتلوا بعدما نُقل عنهم أنهم يملكون وثائق تثبت أنّ أُمّ القذافي يهودية.

حصل ما هو أدهى. أحضروا للعقيد الغزال الذي اصطاده. أدخل يديه في صدر الغزال القتيل وراح يدهن يديه بالدم. استفز المشهد أمين المراسم نوري المسماري فسأله عن السبب وجاء الجواب: «أنت لا تعرف فوائد الدم الساخن».

لم يتّعظ المستبدّ العربي من مصير المستبدّ الروماني الذي سقط برصاص ذلك الربيع الذي هبّ على أنظمة أوروبا الشرقية بعدما سقط جدار برلين وتركَهَا عارية أمام الرياح وأمام شعوبها.

يُفْرِطُ المستبدُّ العربي في الثقة بنفسه وبجلاوزته وبآلة القتل التي يعتبرها وسادته الذهبية. موسم القتل مفتوح. يلتهم القائد مجلس قيادة الثورة. يلتهم رفاقه. يفسدهم ويطوّعهم ويحوّلهم من رفاق إلى عبيد. ومن يتردد في الانحناء تدهسه شاحنة مسرعة أو تنخره رصاصة أو يدور السم في دمه. وفي ظلام السجون تتعفّن أجساد كثيرة وتتزين الجدران بالدموع والصّرخات مع اعترافات بجرائم لم تُرتكب.

لا تتسع البلاد لأكثر من رجل. إنه القائد الملهم. العلاّمة الأب الحنون. صاحب الرؤية الثاقبة. والقبضة المشعّة. حارس التاريخ. المؤتمَن على الحاضر. الممسك بمفاتيح المستقبل. رمز الكرامة والعنفوان. موزّع الخبز والأحلام على الرَّعِيّة. موزّع الرعب وولائم الصمت الطويل. هذه بلاده وهو يملك كل شيء فيها. الأرض والغيوم التي تمرّ فوقها. الآبار والقبائل المبدَّدة على جوانب فوّهاتها. ولهذا لا يرف له جفن. يستبيح الأرض والكرامات والثروة ويغتصب النساء أيضاً. إنه الرجل الوحيد. إنه المغتصب الكبير.

كان نوري المسماري حاضراً في الخيمة وعلى بابها. وفي ثكنة باب العزيزية. وفي الطائرة والأسفار. كان شاهداً على ارتكابات هذا الرجل المريض الذي يهوى إذلال القادة والرؤساء وإحراجهم. كان شاهداً أيضاً على اغتصابات القائد لزائرات. جهاز كامل كان يسهر على

متعة القائد تديره سيدة تستقدم الجميلات من داخل البلاد وخارجها. تحرّشه بالنساء أثار أكثر من أزمة مع دولة أو جهة. ومن عرفوه عن قرب يؤكدون أنّه كان شاذاً أيضاً وأن منزله في ثكنة باب العزيزية شهد فصولاً مخزية. كان يغتصب وبوحشية، وإذا فوتح أنكر واتهم الضحية بمحاولة ابتزازه، وكانت القضية تُوارى تحت رزمة من الدولارات.

* * *

حين اندلعت الثورة في ليبيا تضاعفت رغبتي في كشف قصة هذا الرجل الذي أدمى بلاده والمنطقة على مدار أربعة عقود. وكان هاجسي أن يُتاح لقراء صحيفة «الحياة» مواكبة الحدث الليبي من زاوية مختلفة عن يوميات المواجهة الدائرة. ولأنني أعرف أنّ كتابات كثيرة حاولت تصوير العقيد، كنت أبحث عن شهود لا عن محلّلين. عن رجال كانوا إلى جانبه يوم كان يستعدّ للقبض على السلطة ثم شاركوه فيها أو عملوا في ظله. عن رجال يعرفون أسرار الخيمة وارتكابات سيد الخيمة ويعرفون ثكنة باب العزيزية وما يدور داخلها.

أتاح لي الحظ أن أعثر على الشهود. التقيت عبدالمنعم الهوني الشريك في الإعداد لحركة الفاتح من سبتمبر والذي كان عضواً بارزاً في مجلس قيادة الثورة والحكومة قبل أن ينشقّ في منتصف السبعينيات ويتعرض لمطاردة طويلة من أجهزة القذافي. سيعود الهوني لاحقاً إلى شبه مصالحة مع النظام شرط الإقامة في القاهرة

ممثلاً لبلاده في الجامعة العربية، ثم يعاود الانشقاق بعد اندلاع الثورة.

رجل آخر من الحلقة الضيقة في أيام الولادة والسنوات الأولى اسمه عبدالسلام جلود، وهو كان بحق «الرجل الثاني» في النظام. لاحقاً سيعيش جلود في ما يشبه الإقامة الجبرية وستوفّر له الثورة فرصة الانشقاق وتوجيه ضربة معنوية كبرى إلى نظام القذافي.

تيسّر لي أيضاً أن ألتقي رجلين هما الأبرز في الديبلوماسية الليبية في عهد القذافي من وزارة الخارجية الى مقعد مندوب ليبيا في الأمم المتحدة، وهما عبدالرحمن شلقم وعلي عبدالسلام التريكي.

كان دور شلقم كبيراً وحاسماً حين قام بمناورة بارعة سدّد من خلالها ضربة قاضية الى النظام في مجلس الأمن الدولي بموافقته على القرار الشهير الذي أدى إلى اقتلاع الطاغية. كتم شلقم مشاعره حتى مرور القرار ثم أعلن انشقاقه فالتفت العالم بأسره إلى الرجل. أمّا التريكي فكان حاضراً على مدى عقود في علاقات النظام الدولية وخصوصاً في علاقاته الافريقية.

لم يكن هاجس هذا الكتاب حاضراً لدى إجراء الحوارات مع اللاعبين الخمسة، لكن بقاء الملف الليبي مفتوحاً شجّعني على جمعها علّها تساعد في كشف جوانب جديدة من شخصية هذا المستبدّ الذي أقام طويلاً. بعض ما ورد فيها سيدفع المحققين إلى السؤال

عنه. فقد كشف نوري المسماري أنّ ضابطاً صغيراً اسمه عبدالله السنوسي أرسل له في عام ١٩٧٨ ثلاثة جوازات سفر للاستحصال لها على تأشيرات إلى إيطاليا وكانت الباسبورات للإمام موسى الصدر ورفيقيه. لاحقاً صار السنوسي، عديل القذافي، كبير الجلادين في النظام ورئيس الاستخبارات العسكرية وبطل مذبحة سجن بوسليم التي أودت بأكثر من ١٢٠٠ سجين.

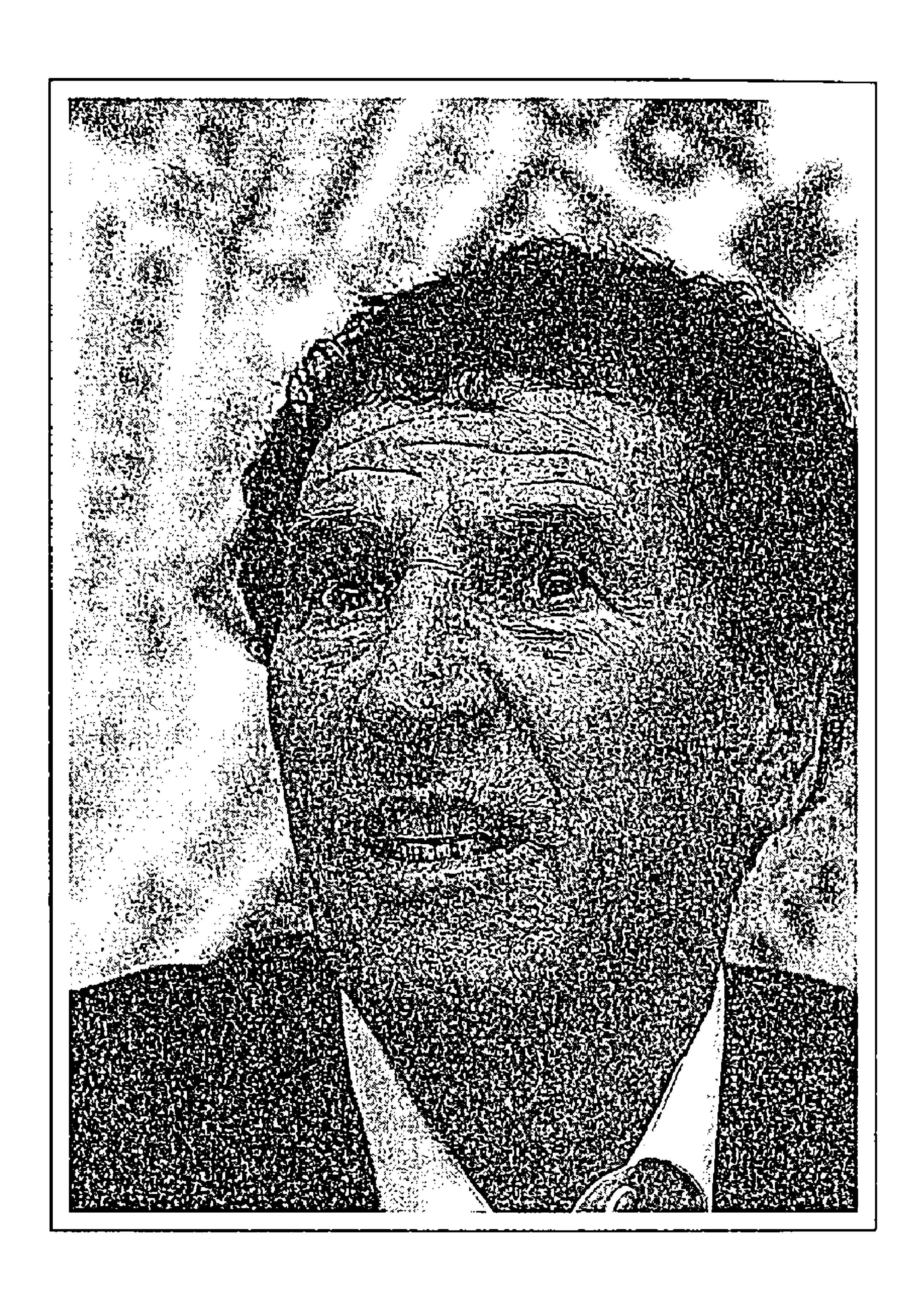
كان القذافي مستبدّاً وقاتلاً كبيراً. لكنّ ذلك لا يبرر أبداً الطريقة التي استُخدمت في قتله. كان من مصلحة ليبيا والمنطقة توفير محاكمة عادلة له وتركه يروي قصته وما ارتكبه في الداخل والخارج. ثم إنّه لا يكفي شطب المستبدّ لتنعم بلاده بالحرية والديموقراطية. تكشف النتائج الأولى لـ «الربيع العربي» أنّ المرحلة الانتقالية ستكون طويلة ومؤلمة ومكلفة وإن اختلفت حدّتها باختلاف المسارح وظروفها. إن قوى جديدة تخرج من صناديق الاقتراع. تيارات إسلامية لم يسبق أن امتُحنت في موقع القرار. ستجد هذه القوى نفسها أمام أسئلة جديدة وتحدّيات جديدة تتعلق بتداول السلطة والاقتصاد والموقف من الأقليات وحقوق المرأة والحريات الشخصية. ستجد هذه القوى نفسها ترتطم بعالم لا يمكن إعادته إلى قرون مضت ولا يمكن معالجة مشكلاته بوصفات قديمة. وأخطر ما يمكن أنْ يحدث هو أنْ يتخلص بلد من استبداد رجل ليسقط تحت استبداد جماعة أو فكرة.

من المبكر الجزم إلى أين تتجه تونس واليمن ومصر وليبيا وسورية. كَشَفَ «الربيع العربي» حجم التخلف المتجذّر في مجتمعاتنا. كَشَفَ أنّ أفكارنا قديمة وكتبنا قديمة ومدارسنا قديمة. وأنّ اللحاق بالعصر يستلزم معركة واسعة تهدّد مسلّماتٍ وُلِدْنا في ظلّها ولم نجرؤ سابقاً على وضعها موضع تساؤل. لا مبرر للمقارنة مع المسار الأوروبي. بيننا وبينه الثورة الفرنسية والثورة الصناعية وفصل الكنيسة عن الدولة وأفكار الفلسفة الألمانية وتأكيد علاقة النصوص بتواريخ ولادتها والحقّ المقدّس في النقد والتشكيك والتساؤل.

لا يدّعي هذا الكتاب تأريخ مرحلة. إنه كتابُ صحافيٌّ يوفّر شهاداتٍ لرجالٍ أقاموا أو دخلوا خيمة المستبد وعملوا معه في مراحل مختلفة وتعرّفوا عن كثب على شخصيته وأسلوبه وما ألحقه من أضرار ببلاده والعالم أيضاً.

غسان شربل

لندن، تشرين الأول/اكتوبر ٢٠١٢



عبد السلام جلود



الرجل الذي قتل معمر القذافي ارتكب جريمتين صارختين. الأولى انتهاكه المعاهدات الدولية والأعراف بشأن التعامل مع الأسرى. والثانية أنه اغتال رواية مذهلة كان يمكن أن تؤلفها اعترافات القذافي أمام المحكمة. رواية تكشف قصة مغامرات باهظة وتهورات قاتلة ارتكبت في عدد من القارات.

كنا صغاراً حين وقعت ليبيا في قبضة حفنة من العسكريين الشبان في «الفاتح من سبتمبر» ١٩٦٩. وسمعنا منذ تلك الأيام أن القائد اسمه معمر القذافي و«الرجل الثاني» اسمه الرائد عبدالسلام جلود. وبهذه الصفة جال جلود حول العالم والتقى شو إن لاي وليونيد بريجنيف وجمال عبدالناصر وصدام حسين وحافظ الأسد وآخرين.

قبل عقد من «الثورة» كان الطالب عبدالسلام جلود

معتقلاً لمشاركته في تظاهرة. وذات يوم أدخلوا معتقلاً آخر اسمه معمر القذافي. وبسبب نقص البطانيات في السجن تشاركا في واحدة منها وتعارفا وبدأت رحلة طويلة. بعد السجن التقى الرجلان في غابة نخيل قرب سبها وولد التنظيم المدني الذي راهن على إسقاط النظام عبر التظاهرات والاحتجاجات. وفي ١٩٦٣ عسكر القذافي حلم التغيير وكتب بخط يده طلب انتساب جلود إلى الكلية الحربية. لا أحد يعرف القذافي كما يعرفه جلود. عرفه طالباً متقد الحماسة القومية واستضافه مرات كثيرة في منزل والديه. وعرفه مهندساً للمؤامرة بالثياب العسكرية، ثم شاركه وخبره في مقاعد السلطة. لكن العلاقة بين الرجلين تراجعت حين راح «القائد التاريخي» يدير البلاد على هواه ويتفرد بالقرار ما عرّض جلود لـ «إقامة جبرية» طويلة. وحصل الطلاق الواضح حين انكفأ القذافي إلى قبيلته و«جوقة العبيد والمزمرين والمطبلين». وهكذا أيد جلود الثورة وغادر في آب/ أغسطس ليبيا بمساعدة من الثوار. وساهمت مغادرته في تعزيز الانطباع أن نظام القذافي يندفع نحو نهايته.

بحثت عن عبدالسلام جلود لاعتقادي أن روايته يمكن أن تسلط الضوء على قصة الرجل الذي أدمى بلاده والعالم معاً. كانت معركة سرت محتدمة. أمضيت معه يومين في روما وعندما غادرت العاصمة الإيطالية

الغارقة في المطر ولدى هبوط الطائرة في لندن تلقيت خبر مقتل القذافي.

في اليوم التالي، اتصلت بجلود أسأله تعليقه على مقتل رفيقه القديم. وخشيت في الواقع أن يصرف النظر عن النشر. لكنه فاجأني بعبارة قاطعة: «هذه نهاية كل طاغية وعلى باقي المستبدين أن يتعلموا». وهنا نص الحوار:

▩ هل صحيح أنك ذهبت في بداية السبعينيات إلى الصين بهدف شراء قنبلة نووية؟

ـ اعتقد أن محمد حسنين هيكل هو من كتب هذه القصة وهي غير صحيحة. ذهبت إلى الصين مقترحاً أن يكون هناك تعاون يمكّننا من إنتاج سلاح نووي. الحقيقة أننا كنا شباناً تحركنا الحماسة وغضبنا من امتلاك إسرائيل سلاحاً نووياً.

التقيت في بكين رئيس الوزراء شو إن لاي ورئيس الأركان. شرح شو إن لاي لي أن مثل هذا التعاون يفترض وجود قاعدة صناعية ودرجة من التطور التكنولوجي وهذا لم يكن متوافراً لدى ليبيا. أي أن موضوع الأسلحة غير منعزل عن درجة التطور العلمي والتكنولوجي.

كان ذلك في عام ١٩٧٠ وقد التقيت خلال الرحلة إلى بكين، وللمرة الأولى، ياسر عرفات. كان علي أن أستقل طائرة متجهة من باكستان إلى بكين والتقينا في الطائرة. زيارة عرفات علنية

ورسمية وزيارتي سرية. في مطار بكين كانت تنتظره وسائل الإعلام أما أنا فكنت حريصاً على ألا يعرف أحد بوجودي أو مهمتي. لهذا سارعت إلى مغادرة الطائرة مبتعداً عن عيون المستقبلين والإعلاميين.

■ **كنت نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة؟**

ـ لم يكن هناك منصب نائب الرئيس، لكنني كنت الثاني في الترتيب بعد معمر.

■ **لماذا كنتم تريدون قنبلة نووية؟ لحل النزاع مع إسرائيل دفعة واحدة؟**

ـ كنا شباناً ومتحمسين ونعتقد أن العرب يجب أن يمتلكوا قدرة على الردع في مواجهة الترسانة الإسرائيلية.

■ **هل كنتم ستلقون القنبلة على إسرائيل لو كانت في حوزتكم؟**

ـ لا. استخدام السلاح النووي ليس أمراً بسيطاً. أريد هنا أن أشير إلى شيء قمنا به وهو تكريس قومية العمل الفدائي. دربنا الكثيرين من الفدائيين العرب. من سورية والعراق وتونس وغيرها. حاولنا لاحقاً إرسال من تدربوا إلى مصر وسورية فكان الرد بالرفض.

■ **وما السبب؟**

ـ اعتبرت الدولتان أن وجود الفدائيين يزج البلد الذي يقيمون فيه في معركة.

■ **وذهبت أيضاً إلى موسكو لشراء السلاح السوفياتي؟**

ـ ذهبت قبل ذلك إلى فرنسا لشراء طائرات من طراز «ميراج». التقيت في باريس رئيس الوزراء ووزير الدفاع ميشال دوبريه.

قبل الذهاب إلى باريس قمت برحلة توقفت فيها في القاهرة في الطريق إلى الخرطوم. وكانت المرة الأولى التي ألتقي فيها الرئيس عبدالناصر.

طبعاً كان عبدالناصر زعيماً كبيراً وكان مثالاً بالنسبة لنا، ولا يزال بالنسبة لي. وكنت اعتقد أنني حين أصل إلى مقره سأشاهد الحراسات والمراسم وأنني سأنتظر في مكتب جانبي قبل الدخول للسلام عليه. وفوجئت بأنهم أخذوني من المطار إلى منزله لأفاجأ به واقفاً عند باب السيارة التي أقلتني. واحتضنني بحرارة إلى درجة أن قبعتي العسكرية وقعت.

سألت عبدالناصر: «إلى ماذا نحتاج كي نحرر فلسطين؟». فأجاب: «إننا نحتاج إلى طائرة قاذفة مقاتلة والسوفيات ليس لديهم ذلك». شرحت وجهة نظري وهي أن التوازن مع العدو لا يقوم على توازن بين دبابة وصاروخ بل هو قبل ذلك توازن على الصعيد الإنساني والاجتماعي، وأن تحرير الإنسان العربي هو الأساس في التوازن.

طلبت منه خبراء وأطلعته على أنني سأزور فرنسا لشراء طائرات من طراز «ميراج». ابتسم عبدالناصر وقال لي: «أنتم أولاد صغار ما تفهموش. الميراج لا يمكن أن تكون في الوقت نفسه

عند إسرائيل وعندنا». وكرر: أنتم أولاد صغار ماتفهموش بالسياسة. قلت له: «مع ذلك نحن سنحاول».

الحقيقة أن زيارة فرنسا كانت ناجحة وشملت الصفقة ١١٠ طائرات ميراج. بعدها التقيت عبدالناصر وسألته رأيه في الصفقة فأجاب ضاحكا: «أنتو بتذلوني بقى».

■ هل صحيح أن القذافي غضب في ١٩٧٣ لأنه لم يكن على علم بموعد الحرب مع إسرائيل؟

ـ لا. كان حديث الحرب مفتوحاً في إطار اتحاد الجمهوريات العربية الذي ضم مصر وسورية وليبيا. في الحقيقة كنت أشارك في لقاءات القادة حتى حين كانت تقتصر عليهم فقط. كان معمر يحرص على إشراكي في اللقاءات حتى ولو طلب الرؤساء الآخرون من نوابهم الخروج من قاعة الاجتماع أو عدم المشاركة. في أحد اجتماعات مجلس الرئاسة تقدمنا نحن بخطة عسكرية لتحرير الأراضي المحتلة في ١٩٦٧ وحتى فلسطين. تقترح الخطة أن تكون جبهة سيناء جبهة تثبيت لاستدراج أكبر قوة لدى العدو على أن يكون الهجوم الرئيسي من سورية والأردن بحيث تدور المعارك على الأرض الفلسطينية المحتلة في ١٩٤٨ مع الإفادة من البحر. علّق السادات: «يا معمر وعبدالسلام جرى إيه. نحن نعرف أنكما تعرفان بالثورة لكن الخطة التي نتحدث عنها نحن أعدتها أكاديمية ناصر».

رفضوا خطتنا على أساس أننا نفهم بالثورة لا بالعسكر، وأن خطتهم كانت من صنع جنرالات محترفين. وكان ردنا: «سميتم حرب ١٩٦٧ نكسة. إذا طبقتم خطتكم فابحثوا عن اسم جديد لتغطية النتائج. نحن لا نريد المشاركة في ادعاء النصر لكننا لا نريد أيضاً أن نكون شركاء في الهزيمة. ما تريدونه مالياً من ليبيا سنقدمه لكننا لن نشترك في القرار ولا في ادعاء النصر ولا في الهزيمة».

■ **كيف كانت علاقة القذافي مع الرئيس حافظ الأسد؟**

ـ كانت علاقة عادية وفيها نوع من الاحترام. نحن كنا متحمسين ولم نكن موافقين على تعبير الصمود ونعتبره موقفاً سلبياً. كنا نريد صموداً إيجابياً ومتحركاً. كانت هذه نقطة خلاف.

■ **وذهبت أيضاً لشراء السلاح من موسكو؟**

ـ نعم. التقيت ليونيد بريجنيف وألكسي كوسيغين وبودغورني ومسؤولين في وزارة الدفاع. طلبنا أسلحة فوافقوا ولم يضعوا أي شروط.

في اللقاء مع بريجنيف كان السفير المصري حاضراً. وفوجئ بأنني استخدمت لهجة قوية في القول إن الاتحاد السوفياتي لا يتخذ موقفاً قوياً بما يكفي في دعم العرب والفلسطينيين. بعد خروجنا قال لي السفير المصري إن الوضع الاقتصادي صعب في مصر، وإن عبدالناصر لا يستطيع أن يقول لبريجنيف ما قلته أنا له.

■ كيف كانت العلاقة مع صدام حسين؟

ـ أنا كنت مختلفاً معه منذ البداية. عقليته لم تعجبني.

■ لماذا؟

ـ عقليته طاووسية وتتسم بالعنجهية. عقلية ديكتاتور بكل ما للكلمة من معنى. وهو غير مثقف. حافظ الأسد كان مختلفاً. وكذلك هواري بومدين. صدام يعطي انطباعاً أنه قبضاي. عقلياتنا مختلفة.

■ لم يحصل انسجام معه؟

ـ زرته بعد إعلان الحرب على إيران. دخلت فوجدته مرتدياً بزة عسكرية وبرتبة فريق. حاول أن يدخلني إلى غرفة العمليات وكان مبتهجاً لأن الجيش العراقي تقدم بضعة كيلومترات في الأراضي الإيرانية. قلت له: «لن أدخل غرفة العمليات والموضوع ليس عسكرياً. لا أنت عسكري ولا أنا عسكري فلنتكلم في السياسة. إذا كنت تعتقد أن جيش الشاه دمر وأن إيران في موقع ضعيف يجب أن تعرف أنك ستواجه سبعين مليون ثوروي إسلامي وهؤلاء أخطر من جيش الشاه.

■ بماذا أجاب؟

ـ رفض. نحن اتخذنا موقفاً مؤيداً لإيران.

■ وزودتم إيران صواريخ أرض ـ أرض؟

ـ نعم.

■ ومجاناً؟

ـ نعم. سورية وقفت معنوياً مع إيران. ليبيا وقفت معها سياسياً ومعنوياً ومادياً. الأميركيون قالوا إن ليبيا بموقفها أفسدت محاولتنا جعل الحرب فارسية - عربية.

■ من أين اشتريتم السلاح للإيرانيين؟

ـ من دول شرقية.

■ ويدفعون ثمنه؟

ـ طبعا. نحن أعطيناهم الصواريخ بلا مقابل. حصل خلاف في موضوع الصواريخ. معمر كان متردداً. قال لي: «كيف ستضرب صواريخنا مدينة عربية؟». أنا كنت متحمساً واقتنع.

■ من أي طراز كانت؟

ـ صواريخ سكود روسية مداها ٢٨٠ كيلومتراً.

■ وهل مسموح أن تنقلوا هذه الأسلحة إلى طرف ثالث؟

ـ لم تكن اتفاقاتنا مع السوفيات مرفقة بشروط.

■ زرت إيران بعد أيام من عودة الإمام الخميني إليها، كيف كانت هذه الزيارة؟

ـ لا أبالغ إن قلت إنها كانت أهم زيارة في حياتي. تعلمت كثيراً منها واعتبرتها دورة تنشيطية لتفكيري الثوري. وكان اللقاء مع الإمام الخميني دافئاً وحميماً.

■ هل كنتم على علاقة بالخميني قبل عودته؟

ـ حين ضغط شاه إيران محمد رضا بهلوي على صدام حسين لإخراج الخميني من العراق أرسلنا إلى الخميني وأبلغناه استعداد ليبيا لاستقباله وإعطائه إذاعة لدعم تحركه. وكان رده: من سيسمعني هناك؟ وأوضح أنه يريد المغادرة إلى مكان في الغرب يكون له ثقل إعلامي. وشكرنا على مبادرتنا.

حين توجه الخميني إلى فرنسا أرسلنا إبراهيم البشاري وسعد مجبر حيث لازماه هناك كحلقة اتصال معنا ورافقاه في رحلة عودته إلى طهران. أعتقد أنني توجهت إلى طهران في اليوم الرابع بعد عودته. اتصل قائد الطائرة بالمطار فمنعونا من الهبوط لأنني لست مدعواً من قبل الحكومة. اضطروا إلى القبول بهبوط الطائرة بعدما شارف وقودها على النفاد. بقيت في المطار نحو خمس ساعات. أنا ذاهب لزيارة الثورة والحكومة تقول إنني غير مدعو. بعدها جاءت أعداد غفيرة من رجال الثورة يتقدمها محمد منتظري وحسن الخميني. تلقى صادق طباطبائي صفعة على وجهه ونزلنا في موكب مهيب إلى طهران. ولدى وصولي إلى الفندق استقبلني الصحافي والديبلوماسي الفرنسي أريك رولو بسؤال فأجبته «هذه ليست ثورة إيرانية. هذه ثورة الإسلام وثورة حضارة الشرق ضد الغرب». في اليوم التالي توجهت إلى المكان الذي كانت تشغله السفارة الإسرائيلية فوجدت ملايين الإيرانيين يواصلون الاحتفال برفع العلم الفلسطيني على المكان وكان بعضهم يقبّل العلم ويبكي.

■ واللقاء مع الخميني؟

ـ كان ودياً. والحقيقة أنني كنت شاباً ومتحمساً وأثرت نقطة ربما لم تكن ضرورية في ذلك الوقت بالذات. قلت له يا سماحة الإمام كيف تسمون الخليج العربي الخليج الفارسي. رد قائلاً: أنتم تقيمون على ضفة منه ونحن نقيم على الأخرى. وهو يفترض أن يكون خليجاً إسلامياً. إننا نتناقش الآن في موضوع ليس لنا. الخليج حالياً أميركي فلنحرره أولاً ثم نبحث في التسمية. وتطرقنا إلى التعاون بين الثورتين الإيرانية والليبية واقترحت أن تكون هناك قيادة للثورة الإسلامية على المستوى العالمي. لم تحصل متابعة لهذه المقترحات. زرت قم وأبلغني علي خامنئي وهاشمي رفسنجاني أنهما كانا يحتفلان في السجن بذكرى ثورة الفاتح فقد كان لدينا إذاعة بالفارسية.

■ **هل تطرق الخميني إلى موضوع اختفاء رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان الإمام موسى الصدر أثناء زيارته ليبيا في صيف ١٩٧٨؟**

ـ نعم. تمنى صدور توضيح حول ملابسات هذه المسألة وكي لا تكون هناك أي عقبة أمام التعاون بين الثورتين. خلال وجودي في الفندق نظمت تظاهرة أمامه ضمت ٣٧ شخصاً بقيادة شقيقة الصدر وزوجها وأطلقوا هتافات لكن عناصر الأمن التابعين للثورة سارعوا إلى إبعادهم وتفريقهم.

■ هل تحول عدم صدور التوضيح إلى عقبة لاحقاً؟

ـ لا. وكما قلت لك سابقاً أعطينا إيران صواريخ ولعبنا دوراً أساسياً في حصولها على أسلحة. يجب أن أشير هنا إلى أننا في ليبيا ساهمنا في إسقاط طاغيتين هما شاه إيران وأمبراطور الحبشة هيلاسيلاسي. قدمنا ما نستطيع تقديمه. في ١٩٧٥ صافحت شاه إيران في الجزائر فقال لي: أكرهكم لكنني أحترمكم. وكان رئيس الوزراء الباكستاني الراحل علي بوتو يقول لنا إن شاه إيران يطلب منكم وقف القنابل وكنا نجيبه بأن هذه قنابل إيرانية.

■ **ماذا تعرف عن قضية اختفاء الإمام الصدر؟**

ـ اجتمعت به مرة واحدة في منتصف السبعينيات في لبنان. لم أكن أصلاً على علم بزيارته. حين عرفت باختفائه تألمت كثيراً لسببين: الأول يتعلق بشخصه وما يمثله. والثاني لأنني اعتبرت الفعل خسيساً إذ ليس من عادات العربي أن يدعو أحداً إلى بيته أو بلده ثم يوقِع به. لا الأخلاق العربية تقبل ولا القيم الإسلامية. كانت القصة غريبة وفُرض عليها تعتيم شديد.

■ **ألم تسأل القذافي عن موضوع اختفاء الصدر؟**

ـ لمّحت مرة إلى الموضوع فاكتفى بالقول سائلاً: «أتتهمني؟». وتوقف الحديث.

■ **قيل إن مشادة كلامية حصلت بين الاثنين؟**

ـ لا أعرف التفاصيل. لكنني سمعت قبل سنوات أن ضابط الشرطة الذي انتحل شخصية الصدر وزار إيطاليا بجواز سفره

بعد اختفائه وضع له معمر حراسة مشددة خوفاً من اختطافه بعدما بدأ الحديث عن دوره هذا.

■ هل تقديرك أن الصدر قتل ودفن؟

ـ عقلي يقول لي هذا. يستحيل أن يكون مخفياً حتى الآن. طبعاً أنا كنت سمعت من القذافي قبل الحادثة ما يعبر عن انزعاجه من قيام إيران بإرسال رجال دين ليصبح لديهم نفوذ لدى الشيعة العرب. الحقيقة لم أكن أتصور أن يصل الأمر إلى هذه الدرجة.

■ القذافي كان إذاً متردداً في موضوع الصواريخ؟

ـ نعم. كان متردداً في موضوع آخر وهو تسليح جون قرنق زعيم الجيش الشعبي لتحرير السودان. كان يعتقد أن تسليح قرنق يمكن أن يؤدي إلى انفصال السودان. اجتمعت بقرنق وأقنعني أنه وحدوي وأنه يقاتل لرفع الظلم اللاحق بالجنوب والبلاد بأسرها. وقال لي: أنا لن أسقط جعفر النميري بل سأعمل على استنزافه وحين يحصل ذلك ستبادر القوى المعارضة في الشمال إلى الانقضاض على نظامه. أحضرت قرنق إلى السودان في الثمانينيات وسجلنا معه حديثاً تلفزيونياً يقول فيه إنه متمسك بوحدة السودان وإنه يعمل من أجل قيام دولة عادلة تحترم حقوق مواطنيها. وهكذا بدأنا مساعدة قرنق. وأذكر في تلك الفترة أنني لعبت دوراً بارزاً في التوصل إلى اتفاق عدن.

■ حدثنا عن هذا الاتفاق؟

ـ إنه اتفاق بين ليبيا وإثيوبيا واليمن الديموقراطي (الجنوبي). ربطتني علاقة حميمة بالرئيس الإثيوبي السابق منغيستو هايلي مريم. إنه رجل ودود وثقافته الماركسية رائعة ومن الطراز الأول. الشريك الآخر في الاتفاق كان الرئيس علي ناصر محمد وكانت لي علاقة معه لكنني اتخذت موقفاً منه حين قام بتفجير القيادة ما أدى إلى مقتل عدد من زملائه. الواقع كانت لي علاقات واسعة بزملائه علي سالم البيض وعلي عنتر وغيرهما.

■ ماذا كان الغرض من اتفاق عدن؟

ـ إقامة تحالف ثوري بين الدول الثلاث، وتشكيل جيش قواه البشرية من إثيوبيا، وتقدم ليبيا الدعم المالي والتسليح ويكون الطرف اليمني جزءاً من هذا البرنامج. أذكر أن منغيستو نظر إلي وقال: لو تحقق ما نتحدث عنه فسيكون المد التقدمي من البحر الأحمر إلى البحر المتوسط.

أنا أعددت الاتفاق ثم ذهب الطاغية ووقعه. بعد تجهيز الاتفاق صعدت ومنغيستو في طائرتين قادرتين على الهبوط في أماكن عادية وزرنا قرنق في موقع في جنوب السودان. وجدنا في المعسكر أكثر من ١٨ ألف متطوع وقد سلحناهم نحن. كان الترحيب بنا حماسياً وكانوا ينشدون: القذافي أعطانا السلاح ونحن جئنا إلى الغابة استعداداً لإسقاط نميري. ألقيت خطاباً

باللغة العربية وألقى منغيستو كلمة. بعدها قال لي كيف تكلم الأفارقة بالعربية، فأجبته أن القومية العربية لا تستند إلى العرق إنها قومية ثقافية وحضارية وتنصهر فيها كل الانتماءات. في المفهوم الديني سكان الجنوب من المسيحيين لكن بالمفهوم الثقافي هم عرب.

■ لم يعش اتفاق عدن طويلاً. أين كان السوفيات؟

ـ نعم لم يعش طويلاً. أما عن الاتحاد السوفياتي فقد كان ضعيفاً في تلك الفترة. لا أبالغ إذا قلت إن ليبيا كانت تلعب دوراً محورياً في ما يتعلق باليسار وحركات التحرر في العالم. في السودان حصلت انتفاضة وزحف الناس في اتجاه القصر. كان النميري في أميركا وكان القائد العسكري العام عبدالرحمن سوار الذهب الذي أقسم للنميري على القرآن أن لا يخونه. عندما زحف الناس اجتمعت القيادة العسكرية وقررت عدم إطلاق النار على الناس. أحرج سوار الذهب، وهو صوفي، وراح يدور على عدد من الزوايا الصوفية يبحث عن فتوى مضمونها أنه لم يخن النميري. حين سقط النميري اتصلنا بمنغيستو وقلنا له إن الهدف قد تحقق. رد بالقول إن الهدف لم يتحقق كاملاً وإن أميركا تدفع بقوى رجعية بينها الصادق المهدي للالتفاف على الثورة. وهكذا اختلفنا معه.

■ أرجع إلى القذافي. هل كان يكره صدام؟

ـ كان من الصعب قيام علاقة بينهما حتى ولو كانا في النهاية

من عقلية الاستبداد نفسها. مواصفات الرجلين لا تسهّل قيام علاقة بينهما. الحقيقة أن معمر لم يرتح إلى صدام منذ البداية. الحقيقة أن تصرف كل منهما مقزز. انظر ماذا فعل صدام بالعراق وماذا فعل الطاغية بليبيا.

■ القذافي وصدام كلاهما حاول أن يكون كاتباً؟

ـ لا مجال للمقارنة، فالقذافي قرأ أكثر من صدام. كلاهما قاس. القذافي طاغية من الطراز الأول وفرض على الليبيين النفاق بالقوة. الليبيون جائعون ويقولون الحمد لله نحن شبعانون بالقوة.

■ لماذا ساعد القذافي الأكراد في العراق؟

ـ لديه نظرية مفادها أن تجاهل المشكلة ليس حلاً وأن الأكراد كلما أحسوا بدورهم لعبوا دوراً أكبر ضمن أمتهم العربية والإسلامية، واعتبر أن البديل بالنسبة إليهم سيكون الوقوع في يد الصهيونية. هذا ما قاله، لكن لا أعرف إن كانت له أغراض أخرى.

■ ما سر العلاقة بين القذافي والجزائر؟

ـ تألمت جداً من موقف الجزائر. عندما أممت الجزائر النفط جاء وزير الخارجية يومها عبدالعزيز بوتفليقة موفداً من الرئيس هواري بومدين طالباً تأييدنا. اجتمع بي ولم يقابل القذافي. قلت له: اكتب البيان الذي تريده ونحن نوقع عليه. فكتب بياناً ضعيفاً لم يعجبني، فمزقته وكتبت أنا بياناً قلت فيه إن النفط

الليبي هو النفط الجزائري ولا يمكن للنفط الليبي أن يكون بديلاً للنفط الجزائري وأن احتياطات ليبيا من العملة الصعبة تحت تصرف الجزائر. دمعت عينا بوتفليقة وعانقني. لقد تألمت من موقف الجزائر، فهو غير مفهوم حقيقة. يمكن أن يكون السبب أن نظام الجزائر لا يحتمل ثورتين على حدوده. النقطة الثانية، أن ما آلمني أنه في أول لقاء بيني وبين أحمد بن بلة، ومعمر في سرت قال بن بلة لمعمر: أنت محظوظ فأنا وعبدالناصر كان معنا أناس يشدون بنا إلى الوراء بينما أنت معك شخص يدفعك إلى الأمام. ومع ذلك أنا عاتب على بن بلة ففي الوقت الذي كان الطاغية يقمع الليبيين ويمثل بهم أقنعه أن يكون على رأس «جائزة القذافي لحقوق الإنسان» وكان هذا مؤلماً لي ولكل الليبيين. قرار الوقوف في الحرب في ١٩٥٤ مع الجزائر ضد فرنسا كان قرار الشعب الليبي وليس قرار الملك، وحتى الأسلحة التي كانت ترد من مصر كانت تمر عبر الليبيين وأنا كنت رئيس لجنة مهمتها جمع المساعدات. المكان الوحيد الذي شعر فيه المجلس الوطني للثورة الجزائرية بالأمان كان ليبيا، لا تونس ولا المغرب، لسببين: فلا تأثير سياسياً عليهم لأنهم كانوا أحراراً في قراراتهم، ولأنهم شعروا بالأمان لناحية الأمن الشخصي.

الحقيقة أنني كنت قبل ذلك تلقيت اتصالاً من شخص كان مهماً في الثورة الجزائرية وهو مقرب من السلطات هناك، ولن أذكر اسمه، وقال لي إن السلطات الجزائرية مستعدة لإرسال «كوماندوس» لإخراجي من ليبيا فقلت له: أنا أفضل أن أموت

في ليبيا على أن تخرجني الجزائر وهي تقف مع الطاغية وتأخذ هذا الموقف.

■ في سنة ١٩٧٦ ذهبت بوساطة إلى لبنان، أخبرنا عن تلك الوساطة.

ـ اجتمعت دول الصمود والتصدي في ليبيا بعد أن بدأ الصدام بين الفلسطينيين والحركة الوطنية من جهة وسورية من جهة أخرى. وتم الاتفاق على أن أتوجه مع وزير التعليم الجزائري لإيصال رسالة إلى حافظ الأسد والعودة. أنا اتخذت قراراً بأن أبقى لأن الوضع شديد الخطورة.

■ ماذا قال حافظ الأسد عن الفلسطينيين والحركة الوطنية؟

ـ أنا ما عدت اهتممت بالرسالة بل أعددت خطة ومعمر رفض أن أبقى في سورية أو أن أتوجه إلى لبنان إلى درجة أنه قال لي: لن أكلمك هاتفياً إلى أن تترك سورية ولبنان وتعود إلى ليبيا. قرار البقاء كان قراري الشخصي. عندما وجدت الوضع خطراً حاولت إعداد خطة لوقف إطلاق النار وإيقاف القوات (السورية) الزاحفة إلى بيروت عبر ضهر البيدر وعبر جزين. بقيت ٤٨ ساعة أتحاور حول كيفية التوصل إلى وقف للنار وهو يفترض أن يتم بين قوتين، بينما سورية لا تريد أن تعترف بأن جيشها في مواجهة مع الفلسطينيين والحركة الوطنية. بعد ٤٨ ساعة اقترحت حلاً يوقف القتال بين قوتين متحاربتين من دون

ذكر الأسماء. فوافق حافظ الأسد وتوقفت القوات المتقدمة في ضهر البيدر وفي جزين. كانت هناك كتيبة من «الصاعقة» (السورية) في رأس بيروت يحاصرها الفلسطينيون والحركة الوطنية واستشهد منهم ٨ جنود وسقط جرحى، والفلسطينيون والحركة الوطنية منعوا الجيش السوري من إخلائهم. في عقيدة الجيش يجب إخلاء الجثث والجرحى بالقوة وإلا يفقد بقية أفراد الجيش الدافع للقتال. وكانت هناك قوات سورية في المطار. اتصل بي حافظ الأسد وقال لي يا عبدالسلام أنا أعتبر نفسي في حل من اتفاق وقف إطلاق النار وأنا أعطيت أمراً للقوات أن تتقدم من ضهر البيدر وسأصدر أمراً أن يقصفوا بالطيران لأن تحرير فلسطين لن يقوم به هؤلاء «الأوباش» بل الجيش السوري سيقوم بتحرير فلسطين. فقلت له إنني مستعد للتوجه إلى بيروت، بعد أن قال لي إن المسألة خطيرة، لكن عندي شرطين: الأول أن تبعث معي سياسيين فلا أريد التحدث إلى ضباط الجيش السوري، والثاني ألا أكون في بيروت وتبدأ بضرب الفلسطينيين والحركة الوطنية بالدبابات والصواريخ. أرسل معي محمد حيدر نائب رئيس الوزراء ووزير الاقتصاد، وناجي جميل قائد القوات الجوية، وتوجهنا في أربع طائرات هليكوبتر عمودية. السوريون أبلغوا جيشهم المنظم والفلسطينيون أرسلوا برقية لفصائلهم ولكنهم كانوا غير منظمين فلم تصلهم البرقية، فعند محاولتنا الهبوط في مطار بيروت اعتقد الفلسطينيون أننا قوات إمداد فأرادت قوات أحمد الخطيب وعدة جهات ومجموعات فلسطينية إطلاق النار علينا.

محمد حيدر وناجي جميل قالا لي: إذا كنت أنت تريد الموت فلماذا أتيت بنا معك. محمد حيدر قال: لو كنا على الأرض لكنّا استطعنا الاحتماء بأي شيء لكن نحن في الجو. وكان معنا أحمد جبريل الذي كان شجاعاً وتوجه إلى قائد الطائرة وقام بتوجيهه لتحاشي المضادات الجوية. وهبطنا على الشاطئ وبقينا نزحف أربع ساعات ونحن نتعرض للقصف. وصلنا إلى المطار وملابسنا في حالة مزرية. اتصلت من المطار بالفصائل الفلسطينية: أبو جهاد (ياسر عرفات كان في ليبيا حينها) وأبو أياد ونايف حواتمة وطلبت منهم أن يأتوا إلي في المطار فقالوا لن نأتي، فاستفسرت منهم هل أنتم لا تريدون المجيء لأنكم لا تريدون التباحث في أرض «معادية» ولأنكم خائفون من السوريين؟ قالوا نحن خائفون من السوريين، فقلت أنا مستعد للقائكم في بيروت. وتوجهنا في سيارات وتم استهدافنا، فسيارة المرسيدس التي كنت بداخلها أصابها الرصاص. ثم انتقلت إلى بيروت وأقمنا في شقق مختلفة في الحمراء. وأذكر عجوزاً مسيحية قالت لي: يا عبدالسلام كنا نستمع إليك عبر الإذاعة ونعتقد أنك رجل كبير في السن وأنت شاب. وسألتني: هل زرت بيروت سابقا؟ فقلت هذه أول زيارة لي في الحرب. فقالت عليك أن تزور بيروت في أيام السلم لا أيام الحرب.

عقدنا اجتماعات يومية دامت ساعات للبحث في كيفية سحب العناصر السورية. واجتمعنا مع الفلسطينيين ومع كمال جنبلاط من الحركة الوطنية، وهو يستيقظ باكراً ويدير الاجتماع ابتداءً من الثامنة والنصف صباحاً بينما الفلسطينيون يطيلون السهر في

الليل ويأتون إلى الاجتماع متأخرين فكان يقول لهم: أنتم الفلسطينيين... تنامون في النهار وتسهرون ليلاً. كان يصحبني أبو حسن سلامة إلى منطقة المتحف حيث ينتظرنا بشير الجميل ونتوجه في سيارة جيب عبر الحازمية للقاء والده بيار الجميل وكميل شمعون.

في أول اجتماع لي مع بيار الجميل قال إنه غريق وتمسَّك باليد التي امتدت له (قاصداً سورية التي دخل جيشها إلى لبنان لمساعدة المسيحيين). لكنه أضاف أن سورية ألد أعدائه فهي لا تعترف بلبنان (كبلد مستقل) وليس لديها سفارة فيه.

■ كيف كانت علاقتك مع بشير الجميل؟

ـ كانت علاقة ممتازة. كنا على خلاف معه لكن لديه شهامة ورجولة وصادق مع نفسه وهو زعيم لديه احترام ويمتاز بأنه ليس تاجراً سياسياً.

■ وماذا كان انطباعك عن كمال جنبلاط؟

ـ إنه إنسان حكيم ويمتاز بهدوء مؤثر وحدة تفكير وعقل ثاقب. وفي الاجتماعات كنت أتعرف إلى أفكار كمال جنبلاط عبر ما يطرحه محسن إبراهيم وجورج حاوي اللذان كانا يحرصان على التشاور الدائم معه.

لقد تعرضت خلال مهمتي هذه للموت المحقق ١٤ مرة. في إحدى المرات كنت مع ياسر عرفات في منزل نتناول الغداء، وبعد ثوان من مغادرتنا سقط صاروخ من المنطقة الشرقية من

بيروت ودمر المكان الذي كنا فيه. وكانت الإذاعات الإسرائيلية واللبنانية المسيحية تهاجمني كثيراً. وفي إحدى المرات كنت سأستقل طائرة عمودية متوجهاً للقاء حافظ الأسد فبدأوا بقصف المطار واضطررت إلى التوجه براً في سيارة عبر مناطق مسيحية ملغمة واتصلت بالجيش السوري في الجبل. كانت تجربتي في لبنان زاخرة جداً.

■ **ماذا كان يقول حافظ الأسد عن اللبنانيين؟**

ـ نحن في جبهة الصمود كان تقييمنا أن هناك مؤامرة الغرض منها تدمير سورية معنوياً وتدمير الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية مادياً، وكنا نعتقد بوجود مخطط في هذا الاتجاه. وجاء بعد ذلك موضوع زيارة أنور السادات للقدس. لم نكن نعرف التفاصيل في حينها لكننا رأينا أن هناك مؤامرة لضرب سورية. حافظ الأسد كان يقول لي يا عبدالسلام أنتم تقولون هناك مؤامرة نحن ننفذها، أما بالنسبة إلينا فنحن تدخلنا لمنع المؤامرة. وأنا بقيت خمسة أشهر بين لبنان وسورية من دون موافقة القذافي. وكان القذافي قال لي لا تتصل بي إلى حين رجوعك إلى دمشق من دون التوجه مجدداً إلى بيروت على أن تعود إلى ليبيا.

في نهاية الخطة أحضرت قادة فلسطينيين في طائرة هليكوبتر للقاء حافظ الأسد وألقيت كلمة قصيرة قلت لهم فيها إن قرار بقائي في لبنان لمنع المؤامرة قرار شخصي مني، وكنت رئيس وزراء ليبيا في ذلك الوقت، وليبيا بحاجة إلي ولدينا حرب في

تشاد، ولأن كلمة السر في ثورة الفاتح كانت القدس وفلسطين مهمة لنا اتخذت قرار البقاء كل هذه الفترة. لقد تعرضت لخطر الموت مرات ومرات لكنني أحمد لله أنني استطعت تحويل الرصاص إلى قبلات بعد أن عانق أبو أياد الأسد وكذلك جورج حبش وأحمد جبريل وياسر عرفات أيضاً كان حاضراً. وعقد عرفات مؤتمراً صحافياً قال فيه إن عبدالسلام جلود وليبيا يستحقان أكبر وسام قومي. لكن بعد ذلك باع عرفات جهودي لدولة خليجية وغير رأيه. الفصائل الأخرى وقفت ضده: جورج حبش وأحمد جبريل ونايف حواتمة و«أبو نضال».

■ **كيف كانت علاقة أبو أياد بالقذافي؟**

ـ القذافي كان في السابق حريصاً على أن تفرض الثورة الفلسطينية وضعاً جديداً على العالم العربي فلا يدجنها العرب بل تقحمهم وتغيرهم، لذلك هم حاربوا قومية العمل الفدائي أما نحن فقمنا بتدريب فدائيين في ليبيا وسلحناهم ثم أرسلناهم إلى سورية ولبنان.

■ **كم قدمتم مساعدات إلى لبنان؟**

ـ مساعدات كثيرة ببلايين الدولارات، وأعطيك مثلاً: لدى البحث في اتفاق ١٧ أيار (مايو) اللبناني ـ الإسرائيلي التقيت الرئيس أمين الجميل في الهند وكان معه رئيس الوزراء (شفيق) الوزان وذلك في مؤتمر دول عدم الانحياز. قلت له إننا نحذرك من توقيع اتفاق ١٧ أيار، فوقف وقال لي: أنتم لستم مسؤولين

عنا. أقفلوا دكاكينكم في بيروت. قلت له اجلس، نحن نحذّرك. واختلفنا.

بعد ذلك توجهت إلى دمشق واجتمعنا مع الحركة الوطنية والفلسطينيين، وقررنا أن نضاعف أعداد المتطوعين وأن نخصص مرتبات للمتطوعين اللبنانيين والفلسطينيين. وكان وليد جنبلاط حاضراً الاجتماع وجورج حاوي وجورج حبش ونايف حواتمة والفصائل الفلسطينية، ومن الجانب السوري عبدالحليم خدام. وكان الاجتماع برئاستي. قررنا أن نسلّحهم لإسقاط الاتفاق بالقوة. حولنا الأموال اللازمة وحدثت انتفاضة الجبل وانتفاضة الضاحية وتغيرت المعادلة.

توجه أمين الجميل إلى أميركا وفرنسا والمغرب، فاتصل ملك المغرب بمعمر القذافي وقال له: أمين الجميل يريد زيارتكم فهل تستقبلونه؟ اتصل بي معمر وأجرينا مباحثات هاتفية وأنا كنت ضد الفكرة فقال لي: لا يا عبدالسلام، من الأفضل أن يأتي إلينا لأن زيارته لنا اعتراف بأن الحل في طرابلس ودمشق وليس في باريس وواشنطن، وكانت أميركا بدأت الدخول في أجواء الانتخابات الرئاسية. أقنعني معمر بحجته واستقبلت أمين الجميل في مطار طرابلس وكان يريد إقناعنا بتجميد اتفاق ١٧ أيار بدلاً من إلغائه. رفضت وقلت نحن نريد استغلال هذه السنة «الميتة» في السياسة الأميركية قبل الانتخابات. أنت اتفقت مع الأميركيين على تجميد الاتفاق ثم يأتينا رونالد ريغان قوياً ووزير خارجيته شولتز. وصلنا إلى باب العزيزية وخيمة معمر فوجدنا معمر أعد له شريط فيديو يظهر المدمرة الأميركية

«نيوجرسي» خلال قصفها جبل لبنان، بعد انسحاب القوة المتعددة الجنسيات وهروبها. قال له معمر: في هذا الوضع كيف تستعين بقوة أجنبية على جزء من شعبك؟ هذا يعني أنك لست رئيس لبنان، فأُحرج أمين الجميل. لكن كاد أمين أن يقنع معمر: بتجميد اتفاق ١٧ أيار لكنني رفضت ووافقني معمر الرأي. قلت لمعمر هذا موضوع الاتفاق مع الأميركيين ولديهم سنة ميتة (راكدة) قبل الانتخابات يريدون خلالها تجميد الاتفاق ثم يأتوننا بعد الانتخابات وريغان قوي لفرض الوضع علينا. يجب علينا استغلال السنة الميتة وإلغاء الاتفاق.

خلال مرافقتي له في طريق عودته إلى المطار قال لي أمين الجميّل: كنت أعتقد أنني سأجد صعوبة في إقناع معمر فوجدت أن الصعوبة في إقناعك أنت يا عبدالسلام.

■ **كيف كانت علاقتك بوليد جنبلاط؟**

ـ جيدة. إنه شخص يمشي مباشرة إلى الهدف، ليس مراوغاً، ومقلّ في الكلام وفي كلمات بسيطة وعفوية وصادقة يحدد هدفه.

■ **دعمتم الملازم أحمد الخطيب يوم قاد انشقاقاً عن الجيش اللبناني، ودعمتم أبو موسى في الانشقاق عن «فتح».**

ـ نعم دعمناهما وخصصنا للانتفاضة الفلسطينية ٦٠ مليون دولار سنوياً بمعدل خمسة ملايين شهرياً.

■ ما القوى التي دعمتها ليبيا في لبنان؟

ـ دعمنا كثيرين. الحزب الشيوعي، والحزب السوري القومي الاجتماعي الذي كنا نكنّ له التقدير والاحترام لتعاونه واعتبرناه صاحب موقف جذري، والحزب التقدمي الاشتراكي والقوى الناصرية. وقدمنا مساعدات لمؤسسات إعلامية وفكرية وشخصيات. الثورة الفلسطينية لم تكن قوة فاعلة قبل العام ١٩٦٩ ولا نبالغ في القول إن دعمنا المالي والعسكري والسياسي لها ساعدها على ترسيخ موقعها.

■ هل صحيح أن القذافي نصح القادة الفلسطينيين بالانتحار عند الغزو الإسرائيلي لبيروت في ١٩٨٢؟

ـ حاولنا عقد مؤتمر قمة فلم تنجح، وحاولنا إيصال السلاح للفلسطينيين وفشلنا، وكان صالح الدروقي في سفارتنا (في بيروت) فقلنا له أن يحاول شراء السلاح من السوق السوداء للفلسطينيين والحركة الوطنية لأننا أخفقنا في إيصال السلاح عن طريق سورية وعبر البحر.

كان العرب مهزومين فالقتال الحقيقي ليس بين سلاحين بل بين إرادتين: إرادة مصممة على النصر وإرادة مهزومة. العرب كانوا مهزومين. والمهزوم مهما زودته بالسلاح لن ينتصر.

■ لماذا دعمتم الانشقاق على ياسر عرفات؟

ـ لأننا اعتبرنا أن عرفات يخون القضية الفلسطينية بعد أن بدأ يسعى إلى حلول تؤدي إلى اضاعة الحق الفلسطيني والحق

التاريخي للعرب في فلسطين، وشعرنا بأن السلطة الفلسطينية أصبحت عبارة عن حاكم بلدية في ظل الكيان الصهيوني.

■ كيف كانت علاقة القذافي بياسر عرفات؟

ـ بعد ١٩٦٩ قدمنا للمنظمات الفلسطينية دعماً مالياً وعسكرياً وسياسياً وكان لهذا الدعم دور أساسي في نقل منظمة التحرير من مرحلة إلى أخرى. نحن بادرنا بالدعم وشجعنا دولاً وحركات سياسية على التحرك في الاتجاه نفسه. لقد وقفنا بقوة مع الثورة الفلسطينية. العلاقة مع عرفات كانت تتوتر بين حين وآخر سواء مع القذافي أو معي شخصياً. للتوترات علاقة بالسياسة والممارسة والأسلوب. سأعطيك مثالاً: كان عرفات معنا في ليبيا وفجأة ألح على ضرورة توفير طائرة له للانتقال إلى مصر. لم نكن نحن نعلم أن أنور السادات سيلقي خطاباً يضمّنه استعداده لزيارة القدس. أدت الحادثة إلى جفاء مع عرفات. لكن التوتر مع عرفات لم يدفعنا إلى وقف الدعم.

■ هل كان القذافي يحاول إهانة عرفات؟

ـ لا.

■ من كان القذافي يحب من الفلسطينيين؟

ـ المسألة لا تتعلق بالمشاعر أو الاستلطاف. في البداية كان معمر يرفض أن يزور الدكتور جورج حبش ليبيا لأنه شيوعي.

■ لأنه شيوعي أم لأنه مسيحي؟

ـ لا لأنه ماركسي. تدخلت أنا في الموضوع وغيّر معمر رأيه وصار حبش يزورنا.

■ كيف كانت علاقتك مع حبش؟

ـ حبش رجل صادق ومحترم. نحن كنا ندعم فتح لكن سياستنا كانت تلتقي عملياً مع مواقف المنظمات الراديكالية «الشعبية» و«الديموقراطية» و«فتح ـ القيادة العامة» بزعامة أحمد جبريل وآخرين.

■ لماذا كان لأحمد جبريل علاقة خاصة مع ليبيا؟

ـ توطدت العلاقة لأن جبريل قام بعمليات مهمة في تلك الفترة. عمليات الطائرات الشراعية وخطف جنود إسرائيليين وأكبر صفقة لتبادل أسرى. مشكلة أحمد جبريل أنه غير سياسي. عسكري وعملي وقلبه على عمله وهو عروبي ووطني ونظيف. طبعاً هناك جهات فلسطينية تغمز من قناة علاقته بسورية. نحن لم نلاحظ هذا الأمر. نحن كنا نهتم بمن هو أكثر جدية ومن هو القادر على تنفيذ عمليات.

■ وما رأيك في ياسر عرفات؟

ـ عرفات أفسد الثورة بالمال وهمّشها وأدخلها في متاهات ومستنقعات. تآمر في شكل ممنهج. أنا أحترم جورج حبش كثيراً وأحمد جبريل، لكن جبريل غير مفهوم فلسطينياً لأنه وطني وغير مسيّس، وقالوا عنه إنه عميل لسورية وصنيعتها،

وهذا غير صحيح. أحمد جبريل قال لحافظ الأسد على الهاتف أمامي: يا سيادة الرئيس حرر فلسطين أولاً. لن تدخلوا بيروت إلا على أجسادنا.

■ **هل تعرفت إلى القائد الفلسطيني الدكتور وديع حداد؟**

ـ لا.

■ **وكارلوس؟**

ـ لا.

■ **أنت بدأت أهم صفقة سلاح مع الاتحاد السوفياتي.**

ـ كل العلاقات مع الدول الشرقية وأوروبا واليسار في السبعينيات، في فرنسا وألمانيا وإيطاليا. لم أنجح في بريطانيا.

■ **هل خزّن حلف وارسو أسلحة في ليبيا؟**

ـ لا. قمنا بدور كبير في دعم نيلسون مانديلا في جنوب أفريقيا وروبرت موغابي في زيمبابوي. أمدّيناها بالسلاح. دربنا لزيمبابوي ٢٧ ألف مسلح ورئيس أركان. كان لنا دور في أنغولا والرأس الأخضر وموزامبيق. كان عندنا ضباط قاتلوا.

■ **لماذا تورط القذافي في حرب تشاد؟**

ـ القرار كان قرار مجلس قيادة الثورة لأنه حتى النظام الملكي كان يقف مع حركة تحرير تشاد. كان سلطان تشاد موجوداً في الزاوية. كانت حكومة الملك تساعد في شكل محدود،

بسبب محدودية الإمكانات. كان هناك تداخل بين التشاديين والليبيين. كان النظام الملكي يعتبر أن مليوناً ونصف مليون مسيحي يتحكمون بستة ملايين مسلم. نحن أكملنا الدور، لكننا أعطيناهم إمكانات أكبر. بدأنا بتسليحهم، ثم ساندناهم بالمدفعية، قبل أن نتدخل عسكرياً. لكن سبب الإخفاقات في تشاد أن القذافي بدأ التفكير في نشر الإمبراطورية والجماهيرية وتطبيق «الكتاب الأخضر» إضافة إلى أنه على مدى ١١ سنة استشهد ليبيون في حرب سرية ونحن نعلن انتصار حركة تحرير تشاد.

■ هل كلفت حرب تشاد كثيراً؟

ــ نعم. كلفت كثيراً، لكنها قادت إلى أن المسلمين هم من يحكمون تشاد.

ذهبت إلى فرنسا وعرض (الرئيس الفرنسي) فاليري جيسكار ديستان خريطة لتشاد قائلاً: من خط ٢٢ شمالاً لكم، وجنوبيّه لفرنسا. قلت له نحن لن نتاجر بتشاد، فرد قائلاً إن أي صدام مع فرنسا سيكون صداماً مع أوروبا.

■ العلاقات مع المغرب كانت تراوح بين التأزم والتعاون؟

ــ ضَعُفَ موقف الجمهوريات حين أصبحت أسوأ من الملكيات. ذات مرة، فوجئنا بالملك الحسن الثاني يرسل موفداً يقول إن هناك عواصم تستهدف المغرب العربي والحل

في الوحدة بين المغرب وليبيا. قلنا له: كيف وأنت نظام ملكي ونحن نظام ثوري؟ وهل سيسمح لك الأميركيون؟ فرد بأن الضرورة تحتم ذلك. وافق معمر وعقد اتفاقية وحدة، لكنني رفضت. كان يفترض أن أصحبه للتوقيع، لكنني لم ألحق به في المطار، فاضطر إلى السفر بمفرده. لحقت به في ما بعد والتقيت الملك الذي حاول إقناعي.

■ متى كانت آخر مرة التقيت فيها العقيد معمر القذافي؟

ـ سنة ١٩٩٨ حاول بعض القذاذفة اغتياله، ولم يتم إطلاق النار عليه لأن المؤامرة اكتشفت، وقد أعدم من قاموا بها ومثّل بهم. قبلها بقي أربع سنوات يطلب مقابلتي وقلت له: لا يمكن أن أمد إليك يدي ما دمت تقمع الليبيين وتجوّعهم وتشهّر بهم. وقررت أن لا أقابله. لكن بعد تلك المؤامرة قلت لعلنا نحصل منه على نتيجة وربما كانت تلك المحاولة درساً له. اتصلت به وقلت له إنني سأزوره. وهذا ما حصل. عندما وصلت إلى باب العزيزية استقبلني معانقاً باكياً متأثراً من المؤامرة، وكان عبدالله السنوسي ومنصور ضو موجودين فشعرا بالخجل وابتعدا عنا، وكنا في الساحة الخارجية. قام بذبح خروف لأنني لم أره منذ مدة، وجلسنا في الخيمة. قال لي: هل ترضى يا عبدالسلام، أقاربي يريدون قتلي والتمثيل بي؟ قلت له: ما السبب يا معمر؟ هناك خطأ وأنت سائر في درب خاطئ عليك أن ترجع (عنه). قلت له إن الحل سياسي واقتصادي وليس أمنياً. لقد استخدمت كل وسائل القمع في دول العالم الثالث

وزدت عليها وسائل إضافية بينما الحل سياسي. يمكنك أن تستخدم الحلول الأمنية فتأخذ خمسين قراراً أمنياً أو مئة أو مئة وخمسين، لكن هذا يعني أنك في دوامة. الحل سياسي. وقلت له: مذبحة بو سليم أكبر مذبحة منذ مذابح هتلر. فقال: لو لم أفعل ذلك لأحرقوا طرابلس وأحرقوك معها. فقلت له: حرق طرابلس وحرقي أهون من قتل ١٤٠٠ شاب. قال لي: هذا لن أتحمله ولن أغفره لك ولن أنساه. موقفك هو الذي جعلني مداناً في الداخل والخارج.

■ **ما تفاصيل مذبحة بو سليم؟**

ـ إسلاميون في السجن بدأوا تمرداً أخاف القذافي لأنهم إذا خرجوا من السجن وفي ضوء تمسكهم بعقيدتهم يمكن أن يخوضوا مواجهة. تصرفت السلطة بحماقة.

■ **هل يمكن قتل هذا العدد من دون أوامر من القذافي؟**

ـ لا أعتقد، خصوصاً بعد أن قال إنه لو لم يفعل ذلك «لأحرقوا طرابلس وأحرقوني معها».

■ **ما هو الحديث الذي دار بينكما في ذلك اللقاء؟**

ـ اختلفنا، فقد كنت أعتقد أنه مهيأ وأن تلك المؤامرة شكلت صدمة له ويمكن أن يعود إلى رشده.

■ **هل صحيح أنه أعدم أقاربه وقام بتعليقهم على الأشجار؟**

ـ نعم، كما تم ربطهم بالسيارات وسحلهم في الطريق في باب العزيزية.

■ ألم تلتق به بعد ١٩٩٨؟

ـ بعد ذلك قال لي بعض الضباط الأحرار: إذا لم تشأ مقابلته فعلى الأقل قم بزيارته في العيدين (الفطر والأضحى) كلفتة إنسانية. فكنا نتقابل في العيدين فقط في باب العزيزية ولا أتكلم معه في السياسة.

■ وتعرّض القذافي لحادث في رجله.

ـ تعرض القذافي لحادث في البيضا في التسعينيات وزرته هناك.

■ كيف بدأ الخلاف بينكما؟

ـ أول خلاف لي معه كان سنة ١٩٨٠ عندما بدأ بتصفية الليبيين في شوارع أوروبا، وكان يدعوهم «الكلاب الضالة». قلت له إن ثورة تصفي أبناءها في شوارع أوروبا تنتهي أخلاقياً وسياسياً وأيديولوجياً. بقيت في بيتي حوالى ستة أشهر ثم طلبني للحوار. وأنا في طريقي للحوار، وكدليل على أن ما أقوله صحيح، قبل دخولي إلى مكتبه رأيت رجلاً أسمر طويلاً متورماً بعدما تعرض للضرب ورأسه ووجهه تغطيهما الدماء جاء راكضاً نحوي باكياً. سألته من يكون؟ فقال إنه حامد الحضيري رئيس تحرير «الزحف الأخضر». وقال: اتصلوا بي من القيادة وأعطوني رؤوس أقلام وقالوا لي اكتب مقالاً هاجم فيه

عبدالسلام الزادمة، أحد ضباط الأمن المقربين، وقل عنه إنه فاسد. أتاه الزادمة ملثماً مع إخوته وهجموا عليه في «الزحف الأخضر» وضربوه. أنا لم أقترب يوماً من جماعة الأمن. أخذت موقفاً من الأقارب والأمن لأنهم هم أخطر ناس على الشخص القيادي. طلبت إحضار عبدالسلام الزادمة. فأتوا به، وهو ما زال حياً يرزق ومعروف من قبل الليبيين، فقلت له: ضربته؟ فقال ضربته سيدي. أنا لأول مرة أضرب شخصاً لأنني لم أتمالك أعصابي فصفعته صفعتين وأرسلته إلى السجن. ودخلت على معمر الذي قال لي بتهكم واستهزاء: أنت جلست في منزلك فمن معك غير علي الفضيل (مدير مكتبي)؟ حتى قبيلتك معي. فرددت عليه: أخاف عليك يا أخ معمر أن يأتي عليك يوم لا يكون فيه معك سوى أحمد إبراهيم (أحد أقارب القذافي ويتعاطى الجانب الفكري). بعد ذلك تحاورنا ومشينا إلى الخيمة فوجدت فيها سعيد راشد وعبدالله السنوسي ومحمد المجذوب وبعض الأشخاص، فقال لهم: اليوم تتوقف التصفية. وأمر بإبلاغ الخلايا التابعة لهم بذلك. فقلت له إنني سأعود إلى عملي في اليوم التالي، وفعلاً عدت.

■ لماذا اتخذ قرار تصفية هؤلاء الليبيين في الخارج؟

ـ لا يريد أي صوت خارج ليبيا ينغّص عليه. يعتقد نفسه إلهاً ولا يجوز لأحد أن يعارضه أو يمس صورته. وكان يعتقد أن الغرب قد يلجأ إلى دعم بعض الأصوات الليبية في الخارج، لهذا كان يحاول التخلص منها.

■ من نفذ عمليات الاغتيال في الخارج؟

ـ بالتأكيد جماعة القذافي.

■ هل لعب أبو نضال دوراً في هذه الاغتيالات؟

ـ طبعاً، علاقة أبو نضال مع النظام معروفة، لكن للأمانة أقول إنني لا أملك تفاصيل لأنني اخترت الابتعاد عن دوائر الأمن. أنا أعتقد أن الأمن والأقارب والمستشارين مهمتهم إقناع أي قائد أن الجميع ضده وأنهم الأحرص عليه، وهذا ما تعلمته من التاريخ، لذلك اتخذت موقفاً من الأمن ومن الأقارب ومن المستشارين إلى درجة أنني في اليوم الثالث للثورة سنة ١٩٦٩ جئت بإخوتي الثلاثة ورفعت بوجههم البندقية وقلت لهم، أنتم اعتباراً من اليوم لستم إخوتي، أنا إخوتي الذين خرجوا معي إلى الثورة وأنا أخ لكل الليبيين. وحذرتهم من تحويلهم إلى مستشارين غير معينين، إذ قد يقصدهم من يريد تحديد لقاء معي أو رفع ملف إلي، لأن للدولة أطراً وسياقات. كما نبهتهم إلى أن أناساً «قد يدعون صداقتكم بعد الثورة بينما عليكم المحافظة على صداقاتكم التي كانت يوم ٣١ آب أغسطس ١٩٦٩.

في سنة ١٩٨٦ قصدت القذافي محذراً من أنه إذا لم يحدث تغيير فسأعود إلى بيتي. أقمنا حواراً في سرت استمر ١١ يوماً وانتهت اجتماعاتنا في ١١ حزيران يونيو ١٩٨٦ وكان يوم ذكرى طرد القوات الأميركية. بعد أن اتفقنا على تغيير شامل وكتبنا

خطة التغيير استقللت معه السيارة (من طراز أودي) وكان يقودها إلى أن وصلنا إلى مهبط كان يستخدمه الأميركيون رديفاً لقاعدة الملاحة (كانت أكبر قاعدة أميركية خارج الولايات المتحدة في طرابلس) ولديهم مهبط احتياطي في رأس الأنوف. ووجدنا أن ليس هناك حضور (كثيف) في الاحتفال، كان أبو موسى وأحمد جبريل حاضرين لكن عدد الليبيين كان بسيطاً جداً. توجهنا إلى الهراوة، وهي منطقة قبيلة أولاد سليمان، حيث احتفلوا بنا وتناولنا الغداء، وبعده غادر الحضور وبقينا مع مشايخ القبيلة الذين أحضروا طفلة عمرها حوالى خمس سنوات قالت لنا: يا عم معمر وعم عبدالسلام أنا لي خمس سنوات لم أتناول فيها تفاحة. مشايخهم قالوا لنا بالحرف الواحد يا معمر ويا عبدالسلام إذا قلنا لكم إن معكم ١٠ أو ١٥ في المئة من الليبيين نكون نكذب عليكم فانتبهوا. وهذا يؤيد دعوتي إلى التغيير في حينه لأني كنت مدركاً للوضع.

توجهنا إلى مشارف البيضا حيث أفطرنا حوالى الساعة ١٢ في اليوم التالي وراجعنا الخطة ثم توجه القذافي إلى البيضا وعدت أنا إلى بنغازي حيث كانت تنتظرني الطائرة للعودة إلى طرابلس. اتفقنا على أساس أن نُعد أوراق التغيير الشامل ونعقد مؤتمراً للجان الثورية. أذكر أن الدكتور جورج حبش اطلع على بعض الأوراق التي كنت أكتبها وعانقني وقال لي يا عبدالسلام أهنئك، فنحن فصائل وارتكبنا أخطاء في بيروت خرجنا بسببها من لبنان، وقمنا بالنقد في مجالسنا كفصائل ولكننا لم نصل إلى جرأة التحليل التي تقوم أنت بها. وأذكر أيضاً أن السفير

الروسي جاءني يطلب أخذ نسخة من النقد الذي أعددته إلى القيادة الروسية.

عقد مؤتمر اللجان الشعبية في جامعة الفاتح في طرابلس سنة ١٩٨٦ وقدمت الأوراق بحضور ٣٠ ألف شخص، بينهم أشخاص من الثورة الحالية إذ كان معظمهم يعمل للقذافي في الخارج. ألقى القذافي خطاباً قال فيه بالحرف الواحد: نحن قدمنا نموذجاً سيئاً ودمرنا أنفسنا ولا نريد أن نتراجع، فصفق الـ٣٠ ألفاً. أصبت بخيبة وأعلنت عبر المذياع أنني أرفض هذا الكلام، ولدي ٣٠ ألف شاهد ليبي من الحضور، وقلت: الشيء السيئ لا يشكل نموذجاً بل الشيء الجيد هو الذي يشكل نموذجاً. فاعتقد بعض الحضور أننا سنختلف وانفض المؤتمر.

بعد ذلك سنة ١٩٩١ أقمنا حواراً واتفقنا على تغيير شامل. وقلت له: يا أخ معمر، إذا كان لديك تحفظ أكتبُ البرنامج وحدي فلدي الأفكار كلها، وإذا كنت غير متحفظ فإنني أريد أن أستعين بعدد من المثقفين والكوادر والكتّاب. قال: لا تحفّظ، اختر من تشاء. فانتقيت حوالى ٨٠ شخصاً من الكوادر الاقتصادية والمثقفين والكتاب والأدباء وأجرينا حواراً واتفقنا على تغيير شامل. بعد أن اتفقت مع القذافي توجه هو إلى فزان في جنوب ليبيا ثم اتصل بي بعد عودته وقال لي: أريد لقاءك في الخيمة لمناقشة البرنامج. وصلت إلى الخيمة قبله ومعي الملفات، علماً أن الثمانين شخصاً الذين أشركتهم هم من الاقتصاديين وعلماء الاجتماع المعروفين. وصل القذافي بعدي

ومعه الفريق أبو بكر يونس، فعندما وجدت أبو بكر معه عرفت أن هناك أمراً ما وسيناريو محضراً. فور وصولهما، وكان أبو بكر يونس طيباً معي، قال لي أبو بكر بطريقته الشعبية: «يا بوي هذا برنامج مفروض علينا من الخارج». عرفت أن القذافي غير جاد وقلت له يا معمر، أنت كلفت أبو بكر هذا السيناريو وهو بسيط لا يجيد إخراجه. وحاولت أخذ الملفات والمغادرة فأمسكني القذافي مطيباً خاطري وطلب من أبو بكر الانصراف قائلاً له: على الأقل عبدالسلام يأخذ مواقف وطنية وقومية وأنت تأخذ مواقف أمام الجنود، فقال أبو بكر سأترككما «كباش تتناطح».

اتصل بي القذافي مرة ثانية في بداية التسعينيات بعد أن فاز حسني مبارك في «الانتخابات المزورة» وكان القذافي حينها ضعيفاً جداً لأنني أضعفته. ووافق القذافي (على خطتي) وتوجهت إلى أمانة المؤتمر الشعبي العام واللجنة الشعبية وعرضت عليهم كيفية إدارة خطة التغيير، وإذا به يتصل بي في اليوم التالي وهو متجه مع أعضاء مجلس قيادة الثورة وأبو بكر يونس والخويلدي الحميدي ومصطفى الخروبي إلى السلوم على الحدود المصرية للالتقاء بحسني مبارك لتهنئته بفوزه. قال لي: ما رأيك يا عبدالسلام أن تؤجل هذه الخطة؟ فقلت له: أنت بهذا نسفت المشروع وأنا أعرف أنك لست جاداً. ثم قال بتهكم: ما رأيك أن تأتي معنا لتهنئة حسني مبارك؟ قلت له يا معمر الثورة الليبية ضعفت إلى هذه الدرجة. حسني مبارك لا يستحق برقية وأنت تصطحب أعضاء القيادة لتهنئته. وقلت له لو

لم أكن مستقيلاً لما تركتكم تغادرون أنتم والقيادة إلى السلوم. القائد (يظهر ضعفه) ليس فقط حين يكون ضعيفاً في الداخل بل أيضاً حين يكون ضعيفاً في الخارج. وفشلت محاولتي.

ثم حاولت مرة أخرى، وكنا خارج سرت الساعة الحادية عشرة والنصف في سيارة صحراوية يقودها الضابط المقرب عبدالسلام الزادمة والقذافي جالس في المقعد الأمامي وأنا في المقعد الخلفي. فقال له الزادمة يا قائد أراك دائماً تتفق مع عبدالسلام الجلود وتخلف بوعدك وأنا هذه المرة شاهد عليك. فربت القذافي كتفه وقال له مازحاً: وقد السيارة.

■ هذا يعني سلسلة من المحاولات الفاشلة؟

ـ قبل ذلك كنت في بيتي في البحر ومر علي الصديق الصادق النيهوم واطّلع على خطة التغيير كاملة. عانقني وقال لي: يا بطل إذا تحقق ذلك فسأرجع من سويسرا ونصدر صحيفة. وحتى صديقه يوسف الدبري وهو من الضباط الأحرار، وكان أسمر البشرة، قال إن الصادق النيهوم طرق بابه الساعة الثالثة والنصف وقال له افتح يا «عبد»، أريد أن أحتفل في بيتك على طريقتي بمناسبة برنامج عبدالسلام لأن الكحول كانت ممنوعة ولدى يوسف بعض منها.

فشلت هذه المحاولة أيضاً. ثم حاولت مرة جديدة بعد أن أحضرت عدداً من المثقفين وعلماء الاجتماع المعروفين في ليبيا وهم أحياء يمكنكم الاتصال بهم، وقلت لهم نظموا حواراً

حقيقياً صادقاً على التلفزيون حول شخصنة الوطن والسلطة والثورة، فكل شيء مرتبط بمعمر، واعرضوا التزييف. فقالوا لي: ما حدود الحرية؟ قلت لهم الحرية لا حدود عليها إلا ضمائركم والقيم الأساسية للمجتمع، وكلمت علي الكيلاني، وكان مسؤولاً عن الإذاعة المرئية، وطلبت منه تجهيز صالة لهم والعمل على خدمتهم من دون أي تدخل في شؤونهم. في الليلة الأولى نقل الحوار مباشرة وربما لأول مرة. في الليلة الثانية، وهم في سياق الحوار، قام القذافي بمداخلة هاتفية وقال لهم هذه مؤامرة أميركية وأنتم تنفذون مؤامرة أميركية، وقطع البث عنهم. اتصلت به بعدها وقلت له: يا أخ معمر نحن بيتنا من زجاج ولا نقدر على احتمال رأي مخالف لمدة ساعات. قال لي: أنت تخرف وهذا يشجع الآخرين، وهذا بداية ثورة مضادة لا نسمح بها.

ثم بدأ القذافي يرسل إلي ضباطاً وأعضاء من القيادة. اتصل بي والتقينا وقال: أنت تحرض علي وأنا لا أريد أن أرى رجال الأمن يهينونك قبل أن يقتلوك، وأنت تحرض علي ومن تدافع عنهم كتبوا ضدك مئات التقارير ،وأنا لا أريدك أن تهان أو تقتل بل سأترك لك البلاد. فقلت له يا معمر أنت لست مستعداً لترك البلاد بل أنت مستعد أن تحكم ليبيا من دون شعب. فقال للأعضاء: هل رأيتم؟ هذا يعني أنه مصرّ على التحريض علي. فقلت له اسمع يا معمر، جهز التقارير والرفوف والدروج. ثم استدعى الأعضاء وقال لهم لا تكونوا كالمسبحة حين ينفرط عقدها فإذا أخذ عبدالسلام موقفاً تأخذون أنتم أيضاً موقفاً.

وقال القذافي: على المستوى الاجتماعي نحن أولاد قبيلة واحدة وعلى مستوى الثورة أنا وهو (عبدالسلام) أدرنا الثورة. أنتم ضباط فاشيون قمنا باستغلالكم. هو كان خائفاً إذا غادر وهم موجودون أن يأخذوا موقفاً ضده، لكن يختلف الوضع إذا غادرت أنا المجلس أولاً. قلت له يا معمر أنا لست مؤمناً بالأولى (القبيلة) وأنت لست مؤمناً بالثانية (الثورة). رد علي مصطفى الخروبي قائلاً: سجل هذا تاريخاً.

بعد ذلك قررت ألا أحاول مرة أخرى. ضغط علي الضباط الأحرار والأعضاء وقالوا لي يجب أن تستمر في الحوار، فقلت لهم لا فائدة من الحوار. فقالوا لي ما الحل؟ قلت لهم عندي الحل: الوضع في ليبيا وصل إلى درجة تستحق مغامرة غير محسوبة: نجتمع والضباط الأحرار والأعضاء في بيتي ونفرض عليه التغيير. فقالوا لا، هو سيقتلنا أما أنت فمحميّ. قلت إذاً لا تكلموني مجدداً لأن الحوار ليس جاداً ولا فائدة منه. وتوقف الحوار بيننا. ومنذ ذلك الوقت كنت ألتقي القذافي في العيدين فقط ويكون اللقاء عادياً جداً وعائلياً بحضور زوجته وأولاده ونتناول الطعام ونتكلم على أمور سبقت سنة ١٩٦٩ ولا نتكلم في السياسة.

اتصل بي القذافي وبعث إلي ثلاثة أعضاء من مجلس قيادة الثورة وقال: سنضعك أمام الأمر الواقع ونعلن في الإذاعة المرئية أنك أمين اللجنة الشعبية ولديك الصلاحيات الكاملة. قلت له: اسمع يا معمر، إذا أردت أن تُضحك الناس عليك

فهذا شأنك، لكن أنا لست من الأشخاص الذين تستطيع أن تفرض عليهم وضعاً لا يريدونه. حتى لو أعلنت فلن أطبق، فلما قلت له ذلك تراجع. ثم حاول القذافي محاولات أخرى.

بعد أن أوقفت الحوار معه سنة ١٩٩٢، بعد استنفاد كل تلك المحاولات، كنت ذات يوم في البحر عندما جاءني اللواء عبدالفتاح يونس الذي استشهد، وكان من الضباط الأحرار الممتازين، وأحمد قذاف الدم وقالا لي: كنا للتو في رئاسة الأركان وجاءت تعليمات للجيش ورئاسة الأركان وقيادة الجيش وأبو بكر يونس واللجنة الشعبية والمؤتمر الشعبي العام ممنوع على أحد الاتصال بالرائد عبدالسلام جلود، وقال القذافي لا أريد سلطة معارضة. وقالا: جئنا، وكأن التعليمات لم تصلنا، للسلام عليك فربما لن نستطيع أن نراك ثانية.

بعد ذلك عشت في عزلة لمدة ثماني سنوات لا أقابل سوى ثلاثة أشخاص. بقيت مقيماً في منزل قرب البحر في طرابلس. في أول فاتح بعد ١٩٩٣ مر يخت أمامي وكان اشتراه الملك إدريس، لكن عند حدوث الثورة في ١٩٦٩ كان ما زال قيد التصنيع في اليونان واسمه «هنيبعل»، وأصبح القذافي وأولاده يستخدمونه. لم أكن أعرف اليخت، لكن كان معي أشخاص من البحرية فسألتهم: ما هذا اليخت؟ فأخبروني. وكنت متضايقاً فقلت لهم: استفسروا عن حالته فإذا كان صالحاً للإبحار أريد الخروج به لبضعة أيام في البحر. كانت ليبيا ترزح تحت نظام استخباراتي. وصل الخبر إلى القذافي فاعتقد أنني

أريد الهرب فأرسل إلي عبدالله السنوسي وقال لي: كيف تفكر بالهرب؟ ثم زارني بعض العرب خفية من سورية والأردن واليمن وسألوني: قضيت ثماني سنوات كاملة (من ١٩٩٣ إلى ٢٠٠١) في البحر فما الحكمة من ذلك؟ فقلت: لأن الأرض تلوثت بالكذب والنفاق والسطحية فتركت الأرض وراء ظهري واتجهت إلى البحر لأنني أجد فيه الصفاء والعمق.

▣ خلال فترة الخلاف مع القذافي هل كنت تزوره في الأعياد؟

ـ لم ألتق به لأربع سنوات من ١٩٩٤ إلى ١٩٩٨ أي إلى ما بعد المؤامرة في ١٩٩٨ حين بدأت بزيارته.

في سنة ٢٠٠٠ تعرضت لوعكة صحية واضطررت للتوجه إلى سويسرا للعلاج حيث أبلغني الأطباء بضرورة العودة باستمرار لإجراء فحوصاً دورية، فأصبحت أسافر لمدة شهر أو شهرين كل سنة. بعد عودتي من أول رحلة للعلاج زارني القذافي فقلت له: يا معمر انسني ولا تفكر بي، فأنا الآن مواطن عادي وأريد السفر بحرية من دون طلب الإذن منك. فقال لي: إذا أردتني أن أتركك فعليك أنت أن تتركني بحالي فلا تشوش علي. لم أعلق.

هناك موضوع اجتماعي مهم. في ١٩٨٤ أراد سيف الإسلام أن يخطب ابنتي فرفضت. وكان رفضي بأسلوب أدبي إذ طلبت من أبن أخي، واسمه صلاح، أن يقول لسيف إنه خاطب ابنة عمه

ويريد أن يتزوجها. لا أؤمن بزواج الأقارب وحدث أن تزوج ابن أخي صلاح ابنة أخي الآخر فجاؤوني مستفسرين، فقلت: أنا لا أريد تزويج ابنتي بسيف ورفضت بطريقة أدبية. وقد عتب القذافي علي لذلك. بعد استقالتي طلب الساعدي خطبة ابنتي الأخرى وكنت جالساً مع صديقي وجاري واسمه راسم بن عثمان، وهو عديلي ومن عائلة وطنية من طرابلس، وعديلي الآخر اسمه الدكتور يوسف المارمي، وكنا في منزلي قرب البحر. جاءت زوجة القذافي مع أقرباء طالبين ابنتي سعدى للساعدي، فقال لي ابني البكر: إن هذا سيسبب لنا مشكلة فهم طلبوا مصاهرتنا في السابق ورفضنا وإذا رفضنا مرة أخرى فسيكون الوضع صعباً. فقلت له: أنا جاهز لمشكلة فلا أحد يخرج من جلده ورفضت. واتصلوا بي طالبين معرفة الأسباب، فقلت لا لزوم لتوضيح الأسباب. الحقيقة أنني كنت مختلفاً مع القذافي وكان من شأن قبولي بهذه المصاهرة أن يضرب صدقيتي لدى الليبيين. وما سهّل علي القرار هو الموقف الرافض لزوجتي وابنتي، وأريد في هذه المناسبة أن أشكرهما.

قبل الثورة في ١٧ شباط / فبراير ٢٠١١ كنت في باريس حين كتب القذافي مقالاً، أعتقد في «قورينا»، يقول فيه إن البلاد فسدت وعلى عبدالسلام جلود أن يعود ويحصل على صلاحيات. وأرسل إلي ابنيه المعتصم والساعدي إلى باريس وقالا لي يا عم عبدالسلام الحكومة واللجان الثورية في حال من الخوف والجماهيرية الثانية ستكون مختلفة عن الجماهيرية الأولى، إذ كانوا لا يزالون يحلمون، وعليك العودة والحصول

على صلاحيات فرفضت طبعاً. وعند عودتي إلى ليبيا طلب القذافي مقابلتي فرفضت. ثم اقترح أن يعطيني الصلاحيات للعودة فرفضت. وكان ذلك قبل الثورة بحوالى شهرين. حتى أن مجالسيه المقربين نقلوا لي عن القذافي قوله في مجلس خاص: ألم أقل لكم أن عبدالسلام سيحرن (كما الجمل).

■ كيف كانت علاقتك بسيف الإسلام؟

ـ لم تكن بيننا علاقة، وأنا أخذت موقفاً من القذافي وجميع أبنائه. الحقيقة أن أولاد القذافي كانوا يحترمونني جداً.

■ كان هناك حديث عن مشروع لـ «توريث» سيف الإسلام وأن يمهد له بتوليك رئاسة الوزراء؟

ـ هذا غير صحيح.

■ متى كان آخر لقاء لك بالقذافي وفي مناسبة أي عيد؟

ـ في العيد الأخير لم أكن في ليبيا. كنت في فرنسا. لدى قيام الثورة خاف بعض الليبيين أن يقوم بتصفيتي وخاف آخرون أن يضغط علي لأؤيده ضد الثورة. فقلت لهم بالنسبة لي الموت الجسدي لا يهمني ولكن لا يمكن أن أقبل بموت مبادئي.

■ هل حاول الاتصال بك بعد ١٧ شباط فبراير؟

ـ طلب الاجتماع بي فرفضت. ثم طلب مني أن أظهر في الإذاعة المرئية وأدعو الناس والشباب إلى الوقوف معه وتأييده والالتفاف حوله، وأن أهاجم حلف الـ «ناتو» فرفضت. كان

الاتصال عبر ابنه الساعدي وأرسل إلي المحامي إبراهيم الغويل وصحافياً ليبياً. المقربون مني كانوا يقولون لي نحن خائفون عليك لكن في جميع الأحوال إياك أن تتكلم. فقلت لهم أنتم تعرفونني جيداً ولو خيرت بين الموت المادي والموت المعنوي لقبلت بالموت المادي لا المعنوي. عند بدء الثورة كنت في طرابلس وقمت بتحريض الشباب على الثورة لأن في الفترة الأولى حدثت انتفاضة في طرابلس يومي ١٨ و١٩ شباط/ فبراير: إلى درجة أنني كنت قرب البحر ولم أستطع العودة إلى منزلي داخل طرابلس. الشرطة أخلت الشوارع بعد أن وصل الناس إلى بعد حوالى ٣٠٠ متر من باب العزيزية. وصلت الجماهير إلى شارع جامع القدس القريب من العزيزية لكن للأسف سرت شائعة بأن القذافي هرب وهبطت حماسة الناس فلم يعودوا بالاندفاع السابق نفسه. ثم استُهدفت الجماهير بالرشاشات وبالقوة وقضي على الانتفاضة في طرابلس. الناس في البداية كانوا خائفين والشباب يخرجون وأمهاتهم خائفات عليهم ويمانعن ولا يردن ذلك، لكن في الفترة الأخيرة، سبحان الله، انقلبت الآية فأصبحت الأمهات يحمسن أبناءهن على الثورة.

قررت مع مجموعة معي، لأن طرابلس لم يكن فيها أسلحة في بداية الثورة، شراء أسلحة خاصة لثوار تاجوراء وسوق الجمعة وفشلوم والضهرة. اشترينا بنادق وذخائر ثم قال لنا ضابطان في البحرية مسؤولان عن مخازن سلاح: كفوا عن شراء الأسلحة فنحن سنزودكم بها. وأصبحا كل أسبوع يحضران لنا صندوقاً

فيه عشر قطع نوزعها على الثوار. وكان أحد الضابطين وهما من ترهونة، ظروفه صعبة ويخضع للعلاج في تونس، فعرضنا عليه المساعدة المادية فقال لو كانت الظروف عادية لقبلت منكم المساعدة أما الآن فلا يمكن لأنها ستحسب علي أنني استفدت من تسليح الثوار، فقلت له أنت بطل شجاع.

■ متى غادرت طرابلس؟

ـ أول اتصال بالمجلس (الانتقالي) كان في ١٥ آذار/ مارس وبالمكتب التنفيذي. أوفدت الدكتور محمود التليسي من قبيلة ورفله إلى تونس للاجتماع بممثلي المجلس هناك. كنت متردداً بيني وبين نفسي فلم أكن أريد مغادرة ليبيا كهارب لأنني أفضل أن أموت مع الشعب، ولكن أغادر إذا كانت مغادرتي تفيد الثورة. كنت أريد إيفاده إلى بنغازي فقال لي: أهلي هنا، إذا توجهت إلى بنغازي فلن أتمكن من العودة وعلي العودة، فأقنعني بأن يجتمع بممثلي المجلس في تونس ويتواصل هاتفياً عن طريقهم مع أصدقائه، وبينهم مصطفى عبدالجليل ومحمود جبريل. سألتهم إذا كانوا يريدون مني الخروج من ليبيا، فطلبوا مني المغادرة في أسرع وقت لأن خروجي سيوفر في رأيهم عشرات الآلاف من الشهداء والجرحى وسيقصم ظهر الطاغية ويسقط كل الأوراق من يده. قلت إن لدي شرطين للمغادرة: الأول، أنا لا أريد أن أغادر وأصدر بياناً وينتهي الأمر، أريد مخاطبة الليبيين يومياً في المناطق الغربية التي لم تتحرر بعد وتحريضهم على التمرد على قمع القذافي وأن يتخلصوا من

الرعب ويدوسوا على الخوف وينتفضوا. والثاني، أن أستغل موقفي الدولي للاتصال بالدول لحشد التأييد للشعب الليبي ولثورة ١٧ فبراير. ردوا علي: اخرجْ والأرض مفروشة أمامك لتفعل ما تريد. فقلت: أنا لا أريد أن أخرج لأكون رديفاً أو موازياً لكم أو بديلاً لكم لأن سلاحنا الوحدة والإخلاص ونكران الذات. ولم أقتنع، فأرسلت بعد ذلك وفداً آخر يضم راسم بن عثمان وجلال التليسي، وهو أخ الدكتور محمود، فتوجها إلى تونس واجتمعا بممثلي المجلس وقالا لي: عليك الخروج بسرعة، وعن طريق البحر لأن الخروج براً مستحيل. القذافي أوقف كل البواخر خوفاً من تهريب الأسلحة، وحتى الصيد كان ممنوعاً. رفضت المغادرة بحراً عن طريق الـ «ناتو» لأنني خفت إذا فشلت عملية إخراجي من ليبيا أن يقتلني القذافي بعد أن ينهيني سياسياً ويبين أنني عميل لـ «الناتو». وقلت إنني سأغادر براً، فأصروا علي أن طريق البر مستحيل.

أحضروا لي معهم (من تونس) جهاز اتصال هاتفي عبر الأقمار الاصطناعية للتواصل معهم ومع الـ«ناتو». المعلومات التي جاؤوا بها أن قوارب الـ«ناتو» تستطيع أن تصل إلى بعد حوالى نصف كيلومتر عن الساحل الليبي وأنا لدي قارب صغير طوله نحو المترين ومحركه تسعة أحصنة ولا يتسع إلا لشخصين ونحن مجموعة من ١٣ شخصاً. كنا قد اتفقنا على أن نبقى فترة نصف ساعة في الخمس، حيث لدي بيت صغير، بزعم أنني متوجه إليه لتغيير الجو قرب البحر. بقينا من الساعة الثالثة إلى الساعة السابعة إلا ربعاً مساء في رمضان. وكان الذين جاؤوا

إلينا مع الـ«ناتو» وبينهم محمد بشير ممثل المجلس في تونس (وهو من قبيلة ورفله) قالوا لنا إن القاربين سيكونان من إيطاليا كونها الأقرب وقواعدها فعالة في حلف شمالي الأطلسي. لم نلتق القوارب واتصلنا فقال لي «أبو ليلى» إن لدى الطاغية صواريخ غراد ونحن قرب قاعدة بحرية ولا نستطيع الاقتراب منكم وعليكم أنتم أن تتولوا حماية أنفسكم لتصبحوا على مسافة تسعة أميال. قلت لهم إن الطاغية أوقف كل القوارب والقارب الوحيد الذي أملكه صغير يستطيع الإبحار ٥٠٠ متر. وبقينا على اتصال و«أبو ليلى» (وهي كنية موظف إيطالي) يتشاور مع القيادة والبحرية حتى قالوا إن علينا أن نصل إلى مسافة ستة أميال، فقلت هذا صعب. وعدنا إلى طرابلس.

قررت شراء قارب بخمسين ألف دينار (حوالى أربعين ألف دولار) وقلت أنا مستعد للمغامرة والإبحار بالقارب من طرابلس على رغم أن أي قارب يبحر إلى مسافة يوقف فوراً. وطلبت من ابنتي، وهي طالبة جامعية، وأحفادي أن يسبحوا حول القارب لمعرفة رد الفعل، فلم يركزوا علينا فاطمأننت إلى أن من الممكن الإبحار من طرابلس، وتواصلت مع الـ«ناتو» فاستمهلوني ساعتين ثم قالوا إن المغادرة من طرابلس مستحيلة وخطرة لأن هناك قوارب للطاغية.

حاولنا المغادرة براً ثماني مرات وفشلنا، مع أن جماعة المجلس كانوا ضد المغادرة براً لكنني حاولت، وعلى مسؤوليتي الخاصة، عبر ثوار في الجميل وفي الزاوية وفي ككلا. بعد

وصول الثوار إلى الزهراء وبير الغنم أصبحوا على بعد أقل من ٤٠ كيلومتراً من طرابلس وتحرير الزاوية. كان هناك فقط آخر نقطة للخروج من طرابلس باتجاه الغرب. وهناك أربع نقاط تفتيش للطاغية، فأرسلنا أشخاصاً لاستكشاف مدى جدية نقاط التفتيش وصرامتها، وبقي الأشخاص يحاولون ثلاثة أيام وأبلغونا أن الأمر يتوقف على الجنود المناوبين والضباط، فقررنا السفر. لكن ثواراً من مدينة ككلا في الجبل قالوا لنا: نحن سنرافقكم عبر طريق زراعي ترابي فلا تمرون عبر نقاط تفتيش من طرابلس إلى أول نقطة للثوار، وهذا ما حدث. فساروا أمامنا، واحد في سيارة أجرة وآخر في سيارة صغيرة، وكان معهم نسيبي مصطفى وهو يعرفهم، والأسرة كانت طبعاً قلقة، لكن أنا لدي مقولة عندما كان الليبيون يقولون لي كيف تقول للقذافي «لا» وتبقى في ليبيا؟ فأقول لهم إن الخوف يخاف مني. وقدنا سياراتنا وراءهم في طريق ترابي عبر المزارع في ١٨ آب/أغسطس، سيارة يقودها ابني وسيارة يقودها زوج ابنتي، إلى أن لمحنا بعد ما قطعنا مسافة ٣٧ كيلومتراً علم الاستقلال فبدأت زوجتي وابنتي بإطلاق الزغاريد فرحاً، واحتفى بنا ثوار الزاوية الموجودون في الزهراء وعانقونا وطلبوا مني إلقاء كلمة. ممثل المجلس في تونس محمد بشير اعتقد أننا سنمر عبر نقاط التفتيش، ونسينا نحن إبلاغه أننا أمنّا مساعدة لتفادي المرور عبر نقاط التفتيش، فكان هناك أشخاص في انتظارنا على طريق نقاط التفتيش لمرافقتنا. عند وصولنا إلى نقطة الثوار لم نجد أحداً منهم في استقبالنا، فاتصلنا به إلى تونس وشرح لنا أنهم ينتظروننا بعد نقاط التفتيش. جاؤوا

إلينا واصطحبونا على وجه السرعة لأن المجلس طلب منا مغادرة ليبيا بسرعة، ووصلنا إلى زنتان، حيث تمنى علينا الأهل هناك المبيت عندهم فاعتذرنا. ورافقنا رئيس المجلس العسكري لثوار الزنتان ومجموعة ثوار وسرنا تحت حراستهم باتجاه هيبة، وهي منطقة حدودية قبل نالوت على الحدود الجنوبية، حين أُذِّن للمغرب فأفطرنا وواصلنا المسير إلى الهيبة، واتصل بي محمود جبريل ومصطفى عبدالجليل وقالا لي: خروجك انتصار للثورة. وأخذنا الإخوة من قطر من نقطة الحدود في حراستهم براً من هيبة إلى جربة حيث كانت تنظرنا طائرة أقلتنا إلى صقلية حيث بقينا يومين. وفي ليلة وصولنا أذعت بياناً لليبيين غيّر المعطيات فثارت طرابلس وترهونة. كنا قد غادرنا طرابلس حوالى الواحدة والنصف ظهراً وأفطرنا في الجبل. واتصل بي الليبيون وقالوا لي أنت غيّرت المعادلة، كما اتصل بي الأخ منصور عبدالجليل والأخ محمود جبريل وقالا لي: كلامك كان كالرصاص، وغيّر المعطيات كون لدي شعبية كبيرة لأن الليبيين يثقون بي، والأهم من هذا قالوا لي: إن كلامك صادق وصدر من القلب فوصل إلى قلوب الليبيين. وبعد زيارة لقطر أتيت إلى روما.

■ **ما أبرز الجرائم التي ارتكبها القذافي؟**

ـ دمّر ليبيا ودمّر الشعب الليبي أخلاقياً ونفسياً ومعنوياً واقتصادياً واجتماعياً. ودمّر الروح الوطنية والنسيج الاجتماعي. فرض على الليبيين القمع.

■ **من هو فريق القذافي في العشرين السنة الماضية؟**

ـ القذافي كان يحكم وحده مع أولاده، والباقون عبيد. القذافي هو الأول والأخير. وكان يقول لي: أنا يا عبدالسلام في هذه البلاد لا أحترم إلا أنت. وكنت أرد عليه قائلاً: إذا كنت تحترمني فاحترم الشعب الليبي. ومرة كنت زعلان فقلت له أهنّي واحترم الشعب الليبي فهذا أفضل بالنسبة إليّ.

■ **ماذا كان دور أبو بكر يونس وموسى كوسا؟**

ـ كان لديهما دور أمني. القذافي كان يحكم بالأمن، وهو كان شيخ قبيلة عنده الأمن وعناصر مجموعة من السارقين والأفاقين، لكن لم يكن القرار لهم فلا يجرؤ أحد على التحدث إليه بل كان يأمر فيطاع وكأنه إله على الأرض.

■ **متى تغيّر، وهل تعتقد أنه مريض؟**

ـ تغيّر وأصبح لديه جنون العظمة وحوّل النفاق نهجاً وأسلوب عيش. للأسف في العالم نرى نوعاً واحداً من النفاق. أناساً مرضى ونفعيون يريدون أن يعيشوا منافقين. لكن في ليبيا أصبح هناك نفاق تطوعي ونفاق بالقوة.

■ **من كان المحيطون به والمقربون في السنوات العشر الأخيرة؟**

ـ المقربون كانوا جماعة الأمن وأولاده. في البداية كان المقربون دائرة الأمن وبعضاً من اللجان الثورية لكنهم عبيد، ثم عندما كبر أولاده أصبحوا الدائرة الأولى. أما الدائرة الثانية فكانت الأمن.

ضده فهذا من المحرمات. يقمع الإرادة وأي شخص يحاول الاحتجاج أو المعارضة يكون مصيره القتل والتخوين والمحاربة. إنه مريض بالسلطة. يعتبر نفسه قائداً تاريخياً. وكنت أقول له إنه لا يوجد قائد حوله نكرات. القائد يكون قائداً بمجموعة قادة حوله، فيردّ: أنت تتكلم كالطالب في المرحلة القومية في الخمسينيات والستينيات.

كنت أقول له: كيف تبعد الضباط الأحرار وتقربّ عبدالله السنوسي وضباطاً من المقارحة ومن الورفله وأعضاء من اللجان؟ فهم هكذا يشعرون بأننا قمنا باستغلالهم. فيقول: هؤلاء دائماً يعتقدون أنهم شركاء لكن مهمتهم انتهت ونحن نبحث عن أشخاص يكون لنا جميل عليهم.

■ هل كان القذافي يحب المال؟

ـ هو بسيط في مأكله وحياته، لكن في الفترة الأخيرة لاحظنا أنه في كل مدينة وكل منطقة وكل واد اتخذ له قصراً أو فيلا، وباتت له مقار في طول البلاد وعرضها وله فيها سيارات. إنفاق كبير وهائل. كان همه عندما يكتشف معارضاً أن يصفيه أو يذله بالمال.

■ كيف كان يشتري الولاءات؟

ـ بالتخويف والمال، وهو مكيافيلي. وكان يقول لي: يا عبدالسلام الليبيون إذا أعطيناهم قليلاً طلبوا الكثير، ويشير بيده إلى أنه لن يعطيهم شيئاً.

▪ متى التقيت القذافي للمرة الاولى؟

ـ التقيته في السجن سنة ١٩٥٩. كنت في سبها. كان في مدرسة داخلية وأنا في مدرسة عادية. لم أكن أعرفه لكن كان معي زملاء بدأت الدراسة معهم في براك الشاطئ (هي منطقة في فزان شمالي سبها تبعد عنها حوالى ٦٠ كيلومتراً) سنة ١٩٥٢ حين دخلت الصف الابتدائي الأول يعرفونه. أنا من مواليد ٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٦. وكان بينهم محمد الزاوي أمين المؤتمر الشعبي العام، وعبدالرحمن الصويد، والمرحوم الهادي الفضل، وعبد الكبير الشريف وهو ضابط من ضباط الحرس، اذ بدأنا جميعاً الدراسة معاً. في براك لا توجد مدرسة إعدادية، فأتوا بهم إلى قسم داخلي فالتقوا معمر في تلك الفترة وتعرفوا إليه وقامت صداقة بينهم. واتفقوا على أساس أن نقوم بتظاهرة ضد الملكية يكون الطلبة أساسها، ونحاول جر (إشراك) المواطنين فاتصلوا بي وكان ذلك سنة ١٩٥٩، على أن يشارك طلبة من مدرستي وطلبة من مدرستهم، وقامت تظاهرتنا لكن التظاهرة التي نظمها طلاب مدرسة القذافي فشلت.

كنت في السجن بسبب دوري في التظاهرة حين أدخل القذافي، ولم أكن أعرفه. قال لي: أنا سمعت عنك. وبسبب نقص البطانيات أقترح أن نتقاسم بطانية واحدة. وهذا ما حصل. بعد خروجي من السجن وخروجه بفترة أرسل لي محمد الزاوي يقول إنه يريد أن يراني على انفراد. التقينا في غابة نخيل اسمها

حجارة تبعد نحو سبعة كيلومترات إلى الشمال من سبها. جاء حاملاً سبعة كتب على ما أذكر. كتاب عن الثورة الفرنسية وآخر عن الثورة الصينية وثالث عن الثورة الكوبية، وكتب لساطع الحصري وكتاب لأنور السادات عن جمال عبد الناصر عنوانه «يا بنيّ هذا عمّك جمال». طلب مني قراءة الكتب لنناقشها لاحقاً.

في تلك الفترة اتفقنا على إنشاء حركة مدنية اسمها «حركة الوحدويين الأحرار»، وقلنا نذهب إلى الجامعات وننظم تظاهرات واعتصامات لنشجع الجماهير على إسقاط النظام.

لاحقاً بدأ القذافي يغيّر رأيه. قال: إن الحل يتم عبر القوات المسلحة فالبلد فيه قواعد أجنبية ولن تجدي التظاهرات وحدها. وإذا انتظرنا كل سنة لإدخال اثنين أو ثلاثة من حركتنا إلى القوات المسلحة، فنحتاج إلى أربعين سنة للقيام بالثورة. لا بد أن نمضي سريعاً. الحل أن تمضي معي ونتعاون لتجنيد أكبر عدد من الضباط الفاشيين، ونستغلهم في الثورة، ثم نتخلص منهم. وقتها رفضت. قررت إتمام دراستي الإعدادية في طرابلس العام ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ لأن أخي كان هناك.

بعدها طردوه من ولاية سبها. جاء إلى مصراتة وساعده بعض شباب مصراتة، والتحق بمدرسة داخلية. كان يأتي كل خميس من مصراتة إلى بيتنا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معنا.

في يوم اربعاء من أيام العام ١٩٦٣، وجدته واقفاً على رأسي

في مقهى اسمه «الخضرا» كنت أرتاده، سألني: هل أعددت أوراقك للكلية؟ قلت له: أنا لا أريد أن أصبح عسكرياً، فشدني إلى الإدارة العامة للمباحث في منطقة سيدي عيسى لاستخراج شهادة حسن السير والسلوك، وأقنع الضابط المسؤول وقتها، واسمه العقيد خالد غريبة، بمنحي الشهادة، رغم انه كان يفترض أن أحصل عليها من منطقة سكني. كان غريباً جداً.

مشينا إلى مقهى «لارورا» وكتب طلب الالتحاق بالكلية نيابة عني. انضم إلينا بشير هوادي الذي كان يستعد ليصبح مدرساً في سبها. سألنا عن وجهتنا، فقلنا الكلية، فذهب معنا إلى باب العزيزية وقدمنا الأوراق في اليوم الأخير للتقديم. وفي يوم الكشف الطبي، كتب الأطباء أنني غير صالح طبياً بسبب مشكلة في طبلة أذني. كان معمر ينتظرني في الخارج، وعندما أبلغته بالنتيجة، ركض إلى داخل الكلية والتقى رئيس اللجنة العقيد الركن حاتم السنوسي الذي كان شخصية ممتازة. وقال له: حرام أن تخسر المؤسسة العسكرية طالباً ذكياً منظماً كهذا، فقرر السنوسي منحي فرصة أخرى، ونجحت.

■ التحقتم بالكلية؟

ـ نعم. ويمكننا أن نعتبر أن الثورة انتهت في هذه السنة، عقائدياً وأيديولوجياً، بعسكرتها. كان معظم الضباط بلا تكوين سياسي. كنا نحن الوحيدين من الحركة، أنا وهو وعمر المحيشي. كان المحيشي مثقفاً جداً ومن عائلة كبيرة في مصراتة.

■ لماذا حاول المحيشي الانقلاب؟

ـ كان مرتبطاً بالماركسيين. ومع أن معمر كان يعطف عليه كثيراً، لكن المحيشي وصل إلى قناعة بأنه لم يأخذ حقه. كان يستخف بباقي الأعضاء في مجلس قيادة الثورة ويعتبر نفسه مثقفاً وثورياً. اكتُشفت محاولته في اللحظة الأخيرة.

■ هل كانت المحاولة جدية؟

ـ نعم. كانت جدية وخطرة. على المستوى الإيديولوجي، الثورة انتهت سنة ١٩٦٣ بعسكرة الحركة، وعلى المستوى السياسي، انتهت سنة ١٩٧٥. فشل الانقلاب، لكنه أسس لانقلاب قاده هو (معمر) إلى بداية الثمانينيات، بتأسيس الكتائب ومنح الأولوية للقذاذفة وبعض المقارحة.

■ كيف كان سلوك القذافي في الكلية؟

ـ كان حاداً ومتعالياً. كنت أنا الآمر على القذافي في الكلية والمسؤول عنه. كان استخدام المذياع ممنوعاً في الكلية، لكننا كنا نستخدمه للاستماع إلى أحمد سعيد وخطب جمال عبدالناصر في إذاعة «صوت العرب». كانت هناك مجموعة أخرى تحب الموسيقى الغربية، فجاء إلي وقال لا بد من أن تمنعهم، فقلت له: ما دمنا نستخدم المذياع فلا يمكننا منعهم. فذهب إلى إدارة الكلية وقال إنني أدير نادياً ليلياً وأُخلُ بالانضباط، فعاقبوني.

■ هل كان متديناً؟

ـ القذافي كان منضبطاً وحسن السلوك. كان لا يدخن ولا يعاقر الخمر، لكن سلوكه انقلب تماماً بعد العام ١٩٧٥. أصبح أكثر عنجهية وتعالياً.

■ من اختار كلمة «القدس» كلمة سر؟

ـ حركة الضباط الأحرار. كنا ١٢ عضواً في الكلية. لكن نحن الثلاثة (جلود والقذافي والمحيشي) إضافة إلى عبدالرحمن علي الصيد ويوسف الدبري، كنا من الحركة المدنية والتحقنا بالكلية بهدف الثورة، والباقون التحقوا بالكلية ليصبحوا ضباطاً، فجندهم القذافي. كنا تنظيماً مدنياً من العام ١٩٥٩ بقيادة معمر. وكان هناك قرار في الحركة المدنية بأن يلتحق كل الأعضاء بالكلية العسكرية وإلا سقطت عضويتهم.

لكن كانت هناك استثناءات. محمد الزاوي كان صديقي، وخاله رئيس وزراء، وشقيقه مدير مكتب ولي العهد. اتصل بي القذافي وقال لي إن علي أن أقنع الزاوي بالالتحاق بالكلية، فضغطت عليه وتقدم في السنة التالية ونجح، لكن خاله وشقيقه رفضا وأرسلاه لدراسة الحقوق في القاهرة. وكذلك كان أهل المحيشي، وهم من الأعيان، ضد التحاقه بالكلية، لكنه تمرد عليهم.

■ هل كان معمر يحب التاريخ؟

ـ كان يحب أن يقرأ كثيراً. بنى سياسته الماكيافيلية على القمع والقهر والتخويف والتجويع والتجهيل. كانت هذه سياسته بعدما

تفرد بالسلطة إثر انقلابه في ١٩٧٥. دمّر التعليم، لأنه كان يعرف أن فرنسا قبل الثورة كانت تعيش أحسن مستوى اقتصادي، ومع ذلك قامت الثورة، لأنه إذا كان الوضع الاقتصادي جيداً، فسيهتم الناس بالشأن العام ويقرأون ويتابعون، لكن عندما يكون المرء تحت ضغط الفقر، سيعمل ٢٤ ساعة لتوفير رغيف الخبز، ولن يكون لديه وقت للتفكير.

■ **هل جاء تفجير طائرة لوكربي رداً على الغارة الأميركية على باب العزيزية العام ١٩٨٦؟**

ـ طبعاً.

■ هل يعني هذا أن الأجهزة الليبية نفذت؟

ـ لا أعرف تفاصيل التنفيذ. قضايا الأمن لدي منها موقف ولا أقبل بالدخول فيها، إلى درجة أنه بعدما وقعت عملية لوكربي، دعاني صديقي صالح الدروقي لحضور زواج ابنته في بيروت، وصافحني شخص لا أعرفه بحرارة، ثم سألني عبدالله حجازي: ألا تعرف هذا الشخص، هذا عبدالباسط المقرحي، فقلت له: لا أعرفه. ولم أكن أعرفه. لم أتحدث عن هذا الموضوع مع أي مسؤول.

■ وماذا عن ملف إخفاء المعارض منصور الكيخيا وزير الخارجية السابق؟

ـ كنت أحب الكيخيا كثيراً. سمعته في إذاعة الشرق يقول إن على أميركا اقتلاع معمر. أدركت أن القذافي لن يتركه. لم يكن

ذكاءً من الكيخيا أن يذهب إلى القاهرة بعد تصريح كهذا. كانت هناك علاقات شخصية بين حسني مبارك ومعمر القذافي.

اتصلت بالسفير عاشور قرقوم وقلت له: إذا استطعت الاتصال بالكيخيا أبلغه أن هذا التصريح خطر وأن القذافي لن يتركه بعده لأن معمر لم يكن يخاف سوى أميركا التي كانت تمثل له ضغطاً نفسياً شديداً يفرغه في استئساده على الليبيين.

■ **هل خاف عندما سقط صدام؟**

ـ خاف وشعر أن الدور سيأتي عليه. كان يعتقد أن الليبيين سيقبلون به وبأولاده إلى الأبد بلا مقاومة، إذا توصل إلى حل مع أميركا. سلّم الأسلحة. البرنامج النووي كان مبالغاً فيه، والغرب كان يعرف ذلك. لكن الغازات كانت موجودة. والليبيين كانوا محبطين من الغرب.

■ **برأيك، هل لعب الحلف الأطلسي دوراً أساسياً في حماية الليبيين هذه المرة؟**

ـ طبعاً. الطاغية عنده آلة عسكرية ضخمة. دبابات وصواريخ وطائرات. الليبيون كانوا في رعب. كان يعتقد أن الليبيين يخافون من ظله. حين انشققت عنه، نصحني كثيرون بترك البلاد، لكنني كنت أعرف كل أسلحته.

■ **هل كان القذافي يرجع إلى مجلس قيادة الثورة في قرارات التعامل مع كارلوس وجماعة الجيش الأحمر الياباني مثلاً؟**

ـ لا. كانت هذه قراراته الخاصة مع أجهزة الأمن.

■ **إلى متى استمر مجلس قيادة الثورة في الاجتماع؟**

ـ إلى ١٩٧٧. الحقيقة أن معمر كان يتهم كل من يعارضه أو يتحرك ضده بأنه ضد سلطة الشعب. حين أرسلت له تصوراً لإعداد ليبيا للقرن الحادي والعشرين، قال إنه عظيم جداً. وحين التقينا في أول اجتماع بعدها، قال: ليبيا في القرن الرابع عشر، وليس من حق أحد أن يكون وصيا على الليبيين!

■ **«الكتاب الأخضر» صدر في هذا التوقيت تقريباً. هل كان جزءاً من مشروع التفرد بالقرار؟**

ـ «الكتاب الأخضر» تجميع لأفكار طوباوية وفوضوية ومثالية، مع شيء من التروتسكية. الله وحده يعلم! أبلغني أناس أن ماسونيين كانوا وراء فكرة هذا الكتاب.

■ **هل سألك عن رأيك فيه؟**

ـ طلب مني الاطلاع على الجانب السياسي، وأعطيته ملاحظات على الجانب الاقتصادي. يجب أن أوضح هنا أنني عارضت تجربة اللجان الثورية بالطريقة التي اعتمدها. كنت أريدها حزباً عقائدياً وهرمياً، فأصر على أن تكون موزعة ومفتوحة في إطار كلامه على سلطة الشعب.

■ **أريد تكرار السؤال: من هم أصحاب الأدوار المهمة حول القذافي؟**

ـ لا وجود لهؤلاء. القذافي لا يقبل مطلقاً أن يكون حوله أو قربه صاحب دور. إنهم في الحقيقة خدم وعبيد مهمتهم التطبيل والتزمير والكذب والنفاق. إنهم بالتأكيد أقل من موظف عادي جداً. مهمتهم القبض والتنكيل بالناس وإرضاء الطاغية. كان يدير البلد على هواه وفقاً لمزاجه ويعامل مواطنيه كالأغنام ويعتبر البلد مزرعة له ولأبنائه وحاشيته. من تعتبرهم أفراد فريقه كانوا مجرد ديكورات يحركهم بالهاتف وينصاعون. لا أحد منهم يجرؤ على النقاش أو الاعتراض أو الرفض. يعتبرهم خدماً وعبيداً وأدوات وطبالين هدفهم الوحيد إرضاء سيدهم.

■ هل أفهم مثلاً أنه لم يكن هناك دور لوزير الخارجية المدير السابق للاستخبارات موسى كوسا؟

ـ لا دور له على الإطلاق. الأمر نفسه بالنسبة إلى عبدالله السنوسي (عديل القذافي ومسؤول الاستخبارات). إنهم أدوات للتنفيذ يطيعون الأوامر وينفذونها بحرفيتها. إنهم عبيد. لم يكن حوله أي شخص قادر على التصريح أو التلميح إلى خطأ يجب إصلاحه أو خطوة يجب عدم الإقدام عليها.

■ هل ينطبق ذلك أيضاً على رفيقه وزير الدفاع أبوبكر يونس جابر؟

ـ ينطبق على كل الأسماء التي يمكن أن توردها.

■ هل تعتبر القذافي مثقفاً؟

ـ نعم.

■ **يحب القراءة؟**

ـ نعم يحب القراءة.

■ **هل تعتقد أنه وقع في عبادة الذات؟**

ـ صار يعتبر نفسه كل شيء في البلاد. وزير الداخلية. وزير الاقتصاد. وزير الدفاع. مسؤول الحدائق. ومسؤول شارات المرور. ومدير الجمارك. والرياضي الأول.

■ **غير أسماء الأشهر أيضاً؟**

ـ لم يتوقف عند حد. لم يعد يقبل بأي نقاش. صار فوق الجميع. صار يحتقر الآخرين بلا استثناء. أخبرني شخص أنه عندما جاء المبعوث الدولي عبدالإله الخطيب واقترح على سيف الإسلام محاورة المعارضين، سمع جواباً من نوع: كيف نحاورهم؟ إنهم خدم، وكانت مهمتهم أن يلعقوا أحذيتنا.

■ **هل كان القذافي معجباً بجمال عبدالناصر؟**

ـ نعم.

■ **لماذا قال عبدالناصر إن القذافي أمين على القومية العربية؟**

ـ ما لا يعرفه الناس هو أن القذافي قبل عام ١٩٧٥ شيء وبعد ذلك التاريخ شيء آخر. اكتشف القذافي خطة لإطاحته شارك فيها بعض الضباط الاحرار وبينهم عمر المحيشي. قبل ذلك

كان القذافي يثق بالآخرين. الحرس الجمهوري كان ضباطه وجنوده من غير الأقارب. كان يثق كثيراً بعسكريين من مصراتة التي درس فيها سابقاً. بعد المؤامرة، التي كان أهم المشاركين فيها المحيشي (عضو مجلس قيادة الثورة)، فقد القذافي الثقة بالليبيين وعاد إلى قبيلته. شرع هو في تنفيذ انقلاب استمر حتى بداية الثمانينيات. أسس الكتائب ووضع ضباطاً من القذاذفة على رأسها. ذوب الجيش وأنشأ وحدات عسكرية وأمسك تماماً بالحرس والردع والأمن. على مدى ثماني سنوات بنى قوى يسيطر عليها أقاربه ومعهم بعض الضباط من ورفلة والمقارحة. وللتمويه، وضع على رأس هذه الوحدات أسماء من الضباط الأحرار لكن من دون صلاحيات أو فاعلية.

- **استعاد القذافي عمر المحيشي (عضو مجلس قيادة الثورة الذي اتهم بإعداد محاولة انقلاب) من المغرب بموجب صفقة؟**

- نعم. وأريد أن أروي لك شيئاً. ذهبت للقاء الطاغية في سبها. قبل الاجتماع جاءني سيد قذاف الدم، شقيق أحمد، وكان حزيناً ويبكي وقال: «هل تصدق أن شقيقي جاء بالمحيشي الذي وصل من المغرب في حالة يرثى لها». خدرت الاستخبارات المغربية المحيشي قبل نقله بالطائرة وجاء التخدير قوياً إلى درجة ألحقت ضرراً بمعدته وأمعائه. بعدها دخلت على الطاغية وقلت كلاماً قاسياً عن الملك الحسن الثاني وما سميته «الصفقة القذرة»، فابتسم معمر ولم يجب.

■ **هل تولى شخصياً عملية قتله؟**

ـ لم أتابع هذا الأمر ولم أسأل عن الملابسات. الرجل وصل أصلاً في وضع سيئ. سيد قذاف الدم قال إن المحيشي وصل في حالة تشبه الموت السريري.

■ **من تحب من الشعراء العرب؟**

ـ المتنبي ومحمود درويش ونزار قباني. يعجبني الهم الوطني. الجمع بين المرأة والوطن. ولا تعارض بين الاثنين.

■ **كم عدد أولادك؟**

ـ أربع بنات وولدان. وستة أحفاد.

■ **هل تشعر بأنك أضعت كثيراً من عمرك الشخصي وعمر ليبيا في عهد القذافي؟**

ـ ليبيا كانت من السبعينيات إلى بداية الثمانينيات ورشة عمل. كانت نقطة تسوق للخليجيين والغربيين. العاهل المغربي الملك الحسن الثاني أرسل مدير مخابراته إلى ليبيا بجواز سفر مزور في السبعينيات، وعاد بتقويم أنه إذا استمرت ورشة العمل المفتوحة آنذاك والتطور هذا، فستسقط تونس والجزائر. كان معدل النمو، حسب تقديرات الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي، من ١٤ إلى ١٦ في المئة. كان مستوى المعيشة مرتفعاً جداً.

■ **هل أنت قلق على الوضع الليبي الحالي؟**

ـ طبعاً أشعر بالقلق لأن الجماهير تبحث عن حلول سريعة. في مصر، رحل الطاغية حسني مبارك بالتظاهرات في ميدان التحرير. وفي تونس، شكل ميدان القصبة نقطة رحيل الطاغية زين العابدين بن علي. لكن في ليبيا، جرت حرب إبادة. وحين فرضت الحرب على الليبيين، تقبلوها بشجاعة. وكان موقفهم رائعاً. هذا جعل الشرعية الثورية في يد الثوار المقاتلين. هم يعتبرون أنهم الشرعية. وأي تجاهل لهذه الحقيقة يجعل هناك صعوبة في الانسجام ووحدة القرار. كل الثورات العربية ثورات غضب لإسقاط الطغاة، وليست ثورات بالمفهوم العلمي تحمل مشروعاً فكرياً سياسياً أيديولوجياً للتغيير.

هذه هي المشكلة. الشعارات التي رفعت عريضة: الكرامة والديموقراطية والتعددية. هذه كلمات يمكن أن يقولها من لا يؤمن بها. ليست لدينا خبرة بالديموقراطية ومنظمات المجتمع المدني. الكل، مثقفين ومواطنين عاديين، أقوياء في الدفاع عن الديموقراطية، لكنهم ضعفاء عندما تتعلق الديموقراطية بأنفسهم وكيف يمارسونها كسلوك. نحن محتاجون إلى مدة طويلة لتصبح الديموقراطية سلوكاً وقناعات.

■ **هل تعتقد أن الإسلاميين سيحكمون؟**

ـ لا يزال الوقت مبكراً للحكم على ذلك. أنا أحيي الشباب الذين تصدوا لكتائب القذافي بصدورهم العارية. أتمنى أن يعتبر الليبيون عبدالفتاح يونس وطياريه من «ثوار ١٧ فبراير». أهم

انشقاقين هما انشقاق يونس وطياريه، الذين رفضوا أوامر القذافي وأبنائه بقصف المواطنين.

عندما فشلت معركة القذافي في بنغازي، ركز على الزاوية ودمرها بشدة. ولو سقطت الزاوية التي تبعد عن طرابلس ٤٠ كيلومتراً، في وقت مبكر، لسقط الطاغية منذ أشهر.

■ **من أحببت من الزعماء العرب؟**

ـ جمال عبدالناصر وهواري بومدين.

■ **كيف كانت طبيعة بومدين؟**

ـ كان عروبياً، وسلوكه حميمياً ولطيفاً. كانت بيننا علاقة جيدة. كنا نتحاور كثيراً وقلت له: إنه حكم المخابرات والحل بإعادة حزب جبهة التحرير كما كان في الخمسينيات. وذات مرة قال لي: سنتخلص من هذه العقدة ونعود إلى الشعب لبناء الحزب.

عندما تزوجت، حضر معمر وكيلاً عني وبومدين وكيلاً عن زوجتي. كان في زيارة، وبعدما وقّع قال لي ممازحاً: أي خلاف بينك وبين زوجتك يعني حرباً بين ليبيا والجزائر. كان يحبني كثيراً.

■ **ما رأيك في الوضع في سورية الآن؟**

ـ لست متابعاً للموضوع السوري بالتفصيل. لكن جغرافية سورية وتكوينها لا يسمحان بالدخول في المجهول، مع ذلك

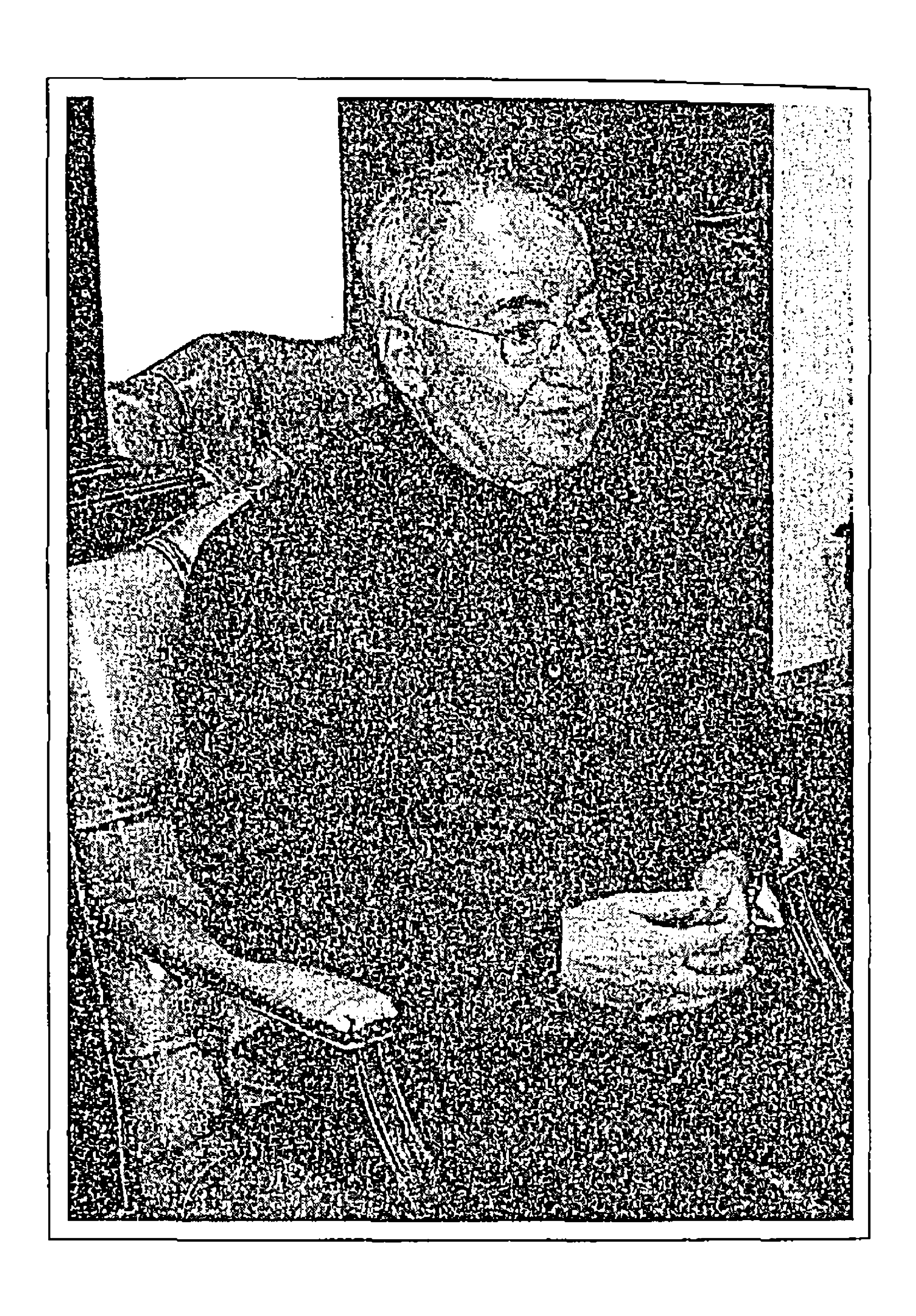
لا يمكننا وباسم الممانعة وباسم الصمود أن نصادر حرية أي شعب. دخول الثورة في العنف كان خطأ. لا بد أن تستمر الثورة سلمية. وأعتقد أن التفكير بأنه إذا نعم الشعب السوري بالديموقراطية سيتقلص دوره العروبي تفكير مغلوط. كلما كان الشعب حراً كان أقدر على المقاومة واسترداد الحقوق، وأقوى على البناء. كل السوريين، من أكثرهم تثقيفاً إلى أبسطهم، لديهم ثوابت العروبة وتحرير فلسطين في تكوينهم.

■ **مع من من الشخصيات الدولية كونت صداقات؟**

ـ مع الأوروبيين، مثل المستشار الألماني السابق فيلي برانت ورئيس الوزراء السويدي أولوف بالمه الذي كان شخصية بسيطة ومتواضعة. أتمنى أن يكون عندنا هذا السلوك في العالم الثالث. وهو دفع ثمن بساطته. كذلك، رئيسا الوزراء الإيطاليان السابقان ألدو مورو وجوليو أندريوتي، وفيديل كاسترو، كنا نركب الخيل معاً حين زار ليبيا. تعرفت أيضاً إلى ليونيد بريجنيف وأعجبني فيه أنه رجل شعبي.

■ **لماذا سعى القذافي إلى أن يصبح «ملك ملوك أفريقيا»؟**

ـ من ثوري إلى ملك ملوك معناه أنه فقد عقله.



عبد المنعم الهوني



لماذا الحوار مع عبد المنعم الهوني؟ الجواب بسيط وهو أن هذا الضابط الذي شارك معمر القذافي في حركة «الفاتح من سبتمبر» ١٩٦٩ يعرف الكثير. غداة الحركة كان عضواً في مجلس قيادة الثورة. وشغل في النصف الأول من السبعينيات مناصب حساسة، فهو عمل مديراً للاستخبارات ووزيراً للداخلية والخارجية. ومنذ منتصف السبعينيات حتى بداية القرن الحالي كان الرائد الهوني معارضاً ومطارداً. وفي العقد الماضي عاود الحوار مع النظام الذي عينه مندوباً لبلاده لدى جامعة الدول العربية وهو المنصب الذي استقال منه للانضمام إلى المحتجين.

قبل خمسة عشر عاماً بحثت عن الهوني. التقيته في النهاية في فندق في لندن وقد أُبلغت بمكان اللقاء قبل وقت قصير من الموعد. وخلال اللقاء الليلي الطويل كان الهوني قلقاً وكان محقاً، فأجهزة النظام الليبي

كانت تحاول اصطياد المعارضين في الخارج بعدما سمتهم «الكلاب الضالة». وقبل سقوط القذافي بأسابيع عرفت بوجود الهوني في لندن فاتصلت به لزيارته فأعرب عن رغبته في زيارة «الحياة». واضح أن نظام القذافي الذي كان يحاول معاندة العاصفة لم يعد يثير المخاوف.

اغتنمت زيارته لأراجع معه محطات أمنية وسياسية، ووافق هذه المرة على الخروج من تحفظه السابق. تساعد رواية الهوني في اللقاءين على فهم سلوك نظام القذافي وتسلط الضوء على الأسلوب الذي أتاح للعقيد أن يحكم ليبيا بقبضة من حديد على مدى أربعة عقود تغير فيها العالم وسقطت جدران كثيرة وانظمة كثيرة.

■ هل تعتقد أن نظام القذافي يتفكك حالياً؟

ـ إن شاء الله. أنا أعتقد أن المسألة مسألة أيام وليس أكثر. للأسف، أعتقد في الوقت نفسه أن الأمر سيكون مكلفاً لليبيا والليبيين، فهذا الرجل يمكن أن يُقْدِم على أي شيء وكل شيء.

■ كيف تفسر هذه التصدعات المتسارعة التي تبنئ بانهيار قريب للنظام؟

ـ دعني أختصر لك الوضع بعد ٤٢ عاماً من حكم القذافي.

أفضَلُ ما يختصره هو عبارة «طَفِحَ الكيل». لم يعد الشعب قادراً على احتمال المزيد. حين تسيطر هذه الحالة على شباب بلد ما، فإن التغيير يصبح حتمياً.

■ هل تأثروا بشبان تونس أو مصر؟

ـ قد يكون موضوع بوعزيزي (التونسي الذي أحرق نفسه) شجَّع كل المظلومين، وربما تأثر الشباب بما حدث في مصر، لكن التأثر بالخارج لا يكفي ما لم تكن هناك في الداخل ظروف تدفع إلى الانتفاض أو الثورة.

■ كيف كانت علاقة القذافي بالرئيس زين العابدين بن علي؟

ـ كانت علاقة جيدة جداً، طبعاً مع فارق أن بن علي اهتمَّ، على رغم ممارسات نظامه، ببناء مؤسسات تعليمية وصحية وسياحية. في ليبيا لا شيء من هذا النوع.

■ من كان يحكم ليبيا حتى الأيام القليلة الماضية؟

ـ القذافي وأولاده، ويمكن أن تضيف إليهم عشرين شخصية مجرمة.

■ أين عبدالسلام جلود؟

ـ في منزله، ولا علاقة له بممارسات القذافي في الفترة الأخيرة.

■ ورئيس الأركان أبوبكر يونس جابر؟

ـ يقال إنه هو الآخر في بيته، لأنه رفض إصدار أوامر إلى الجيش بإطلاق النار على المدنيين. يجب أن نعرف أن الجيش الليبي تعرَّض لعملية تصفية. الجيش الحقيقي في ليبيا هو الكتائب الست التي يقودها أبناء العقيد وأطلقت عليها اسماؤهم: الخميس، والساعدي، وفضيل (. . .).

■ من هم أصدقاء القذافي في العالم؟

ـ سيلفيو برلوسكوني (رئيس الوزراء الإيطالي سابقاً). هناك مصلحة لبرلوسكوني. وللقذافي علاقة برئيس جنوب افريقيا جاكوب زوما. طبعا له علاقة معروفة بنيلسون مانديلا. تشافيز ايضاً يُعتبر من أصدقائه، لهذا بدأ يتردد انه قد يغادر إلى فنزويلا او جنوب أفريقيا. أما أنا، فرأيي انه حسم أمره: إما قاتل وإما قتيل.

■ إنك ترسم للقذافي صورة شبيهة بصورة صدام حسين؟

ـ إنه أسوأ من صدام حسين. صدقني، إنه أسوأ بكثير. يخيل إلي أن صدام كانت لديه بقية من عقل، هذا الرجل ليس لديه أي عقل أو تعقل.

■ هل ستعود إلى العمل السياسي في ليبيا؟

ـ أنا أعود كرجل متقاعد. نحن اختلفنا مع القذافي لأنه رفض

تقصير المرحلة الانتقالية. محمد نجم طالَبَ بألّا تزيد المرحلة الانتقالية على سنتين، وبعد انقضائها استقال.

■ **هل يعتقد القذافي أنه زعيم تاريخي؟**

ـ إنه متأكد. أكثر من ذلك، إنه يعتقد أن العناية الإلهية أرسلته. أنا لا أبالغ. هذه حقيقة مشاعره، وأقواله تؤكد هذا الجنوح لديه. كان يضرب مثلاً شديدَ الدلالة. كان يقول إن المشركين كانوا يهزأون من سيدنا نوح حين كان يُعِدّ المركب ويتندرون حول ما يقوم به. ويضيف أن من كانوا مع نوح في المركب هم الذين نجوا حين جاء الطوفان. وهلك الذين كانوا يضحكون منه.

■ **سلوكه عنيف؟**

ـ الحقيقة أن السلطة مفسدة، خصوصاً حين يقبض شخص واحد على كل الخيوط ولا تكون هناك ضوابط أو مؤسسات أو محاسبة. لقد تورمت الأنا لديه بعد إمساكه بالسلطة، وظهرت نرجسيته كعاشق أضواء وظهرت قسوته أيضاً.

■ **هل يحب المال؟**

ـ لا، إنه يحب السلطة، ويعرف أن السلطة تضمن كل شيء.

■ **وما رأيك في نجله سيف الإسلام؟**

ـ الانطباع العام أنه انتهى بعد الكلمة التي وجَّهها إلى الليبيين

وضمّنها تهديدات. تصوَّرْ أنه وصف المحتجين بأنهم مجموعة من المهووسين والمدمنين والمجرمين.

■ هل هناك خطر اندلاع حرب أهلية؟

ـ لا أعتقد أن حرباً أهلية ستقع. أعتقد أننا سنشهد مجازر فظيعة، لكنني واثق أن الشعب سينتصر في النهاية.

■ هل أنت نادم لمشاركتك مع القذافي في حركة «الفاتح من سبتمبر»؟

ـ لست نادماً، لكنني أشعر أننا خذلنا الشعب الليبي. كان يجب أن ننجح في عمل شيء قبل مغادرتنا في منتصف السبعينيات ولو حصل ذلك لوفرنا على ليبيا الكثير، فقد نُكِّلَ بأبنائها، وبُدِّدَت ثروتُها، ووقعت فيها عمليات ظلم رهيبة. لقد طارد نظام القذافي الليبيين في الداخل والخارج، وفرض مناخاً من الرعب، واستخدم كل الأساليب والأدوات والخبرات لقصم ظهر من يعترض أو يناقش.

■ تركت في ١٩٧٥ بعد خلاف؟

ـ تركت بعدما اتهمت بأنني كنت مع عمر المحيشي وراء حركة ١٩٧٥. حتى في السنوات الأخيرة، كان لدي يقين بأن النظام كان يرتِّب لقتلي في حادث سيارة، على غرار ما فعل بإبراهيم البشاري وكثيرين، بينهم وزراء وضباط. أنا واثق بأن النظام سينتهي قريباً، ولكن للأسف التكلفة عالية.

■ هل تعتقد أن القذافي يجب أن يحاكَم؟

ـ إذا بقي حيّاً يجب أن يحاكم. لو كنت قاضياً ورئيس محكمة لاعتبرت أن المسؤولية تقع أيضاً على من كانوا حوله، وعددهم لا يزيد على العشرين. هؤلاء أفادوا منه كثيراً.

■ حاول اغتيال قادة في الخارج؟

ـ نعم، خطط لاغتيال الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وقد أفرجت السعودية عن الرجلين الضالعين بالمؤامرة، وليتها حاكمَتْهما قبل إطلاقهما، لأن النظام راح يروّج أنهما بريئان. لم يتعظ النظام، وكرر المحاولة، وتم اعتقال أشخاص من جديد. وفي السابق خطط القذافي لاغتيال الملك حسين.

■ متى التقيت العقيد القذافي للمرة الأخيرة؟

ـ قبل نحو عامين في شرم الشيخ، كان يشارك في القمة الأوروبية ـ الأفريقية ـ العربية.

■ كيف كانت علاقتك به؟

ـ الحقيقة أنها كانت باردة. لا حميمية ولا دفء. ولهذا الأمر علاقة بما جرى في العقود الماضية. نحن كنا معاً في الإعداد لـ «الفاتح من سبتمبر»، ثم افترقت خياراتنا لاحقاً. سبب عتبه المباشر في السنوات الأخيرة هو قراري عدم الذهاب إلى ليبيا ابتداء من العام ٢٠٠٣. أنا رجعت إلى ليبيا في شهر آب/ اغسطس ٢٠٠٠ وبعد غياب دام ٢٥ سنة، اذ إنني كنت غادرت طرابلس في آب ١٩٧٥.

■ رجعت في سياق مصالحة؟

ـ رجعت في مناخ كانت فيه آمال ومطالب. كان القذافي يقول إنه جاهز للتغيير ولسماع الرأي الآخر. التقيته ليلة ٢٩ آب/اغسطس في مقر كتيبة الساعدي في سرت. خلال فترة الانقطاع الطويلة عن زيارة ليبيا، التقيته مرتين، الأولى في الجزائر بعد وساطة رسمية جزائرية. في ذلك اللقاء اقترح عليَّ أن أعود معه، لكنني رفضت، والتقيته مرة ثانية في قصر القبة بعد وساطة مصرية، ولم نتفق.

في لقاء عام ٢٠٠٠، عبَّرَ عن اعتقاده بأن السلطة الشعبية التي يطرحها هي الحل الأنسب لليبيا. أنا ارتأيت أن هذه السلطة الشعبية لا بد من تقنينها، أي لا بد من صناديق الاقتراع والمؤسسات، إذ لا يجوز الاستمرار في الشكل الهمجي المتخلف.

كان اللقاء عادياً، وحاول أن يضفي عليه شيئاً من الود. قال إنه افتقدني، وسألني معاتباً لماذا انضممت إلى المعارضة، قائلاً: كيف تعارض نفسك؟ في إشارة منه إلى اننا كنا معاً ساعة الوصول إلى السلطة وفي مجلس قيادة الثورة. تناقشنا في الحاجة إلى دستور للبلاد، وأظهر اقتناعاً بما أقول. تحدثنا عن الصيغ المعمول بها في تركيا وتشيلي وإيران. المقصود بإيران وجود مرشد، وهذا ما كنا نفرضه عليه.

في نهاية الجلسة سألني إن كنت سأبقى في ليبيا، فأجبته أنني

عائد إلى مصر، حيث عائلتي وأعمالي الشخصية. عندها طلب مني أن أكون مندوب ليبيا في جامعة الدول العربية كغطاء لوجودي في مصر، وهكذا أتردد عليه ونتحاور ونبحث.

■ وتكررت زياراتك واللقاءات؟

ـ كنت أذهب بمعدل ثلاث إلى أربع مرات في السنة، وكنت ألتقيه في كل زيارة. في عام ٢٠٠٣ تلقيت اتصالاً منهم يوم ثلاثاء، قالوا: «القائد عايزك»، فأجبتهم أنني سآتي الخميس وأمكث حتى الإثنين. عندما ذهبت لم يستقبلني، ولم أحصل على تفسير. لا أعرف ما إذا كان ذلك مرتبطاً بتصريح نسبَتْه إليّ إحدى الصحف، والحقيقة أنني لم أُدْلِ به. نسب إلي صحافي، وعن حسن نية، كلاماً عن الإصلاح والتغيير.

في ٢٠٠٤ كانت رئاسة دورة الجامعة العربية لليبيا. فرضَت الضغوط الأميركية على الدول العربية قبول ممثلين للحكومة العراقية، التي كانت آنذاك مشكّلة تحت الاحتلال الأميركي. واعتبرتُ الحكومة العراقية تلك غير شرعية وممثّلة للاحتلال. أيدتني طرابلس، واقترحوا أن أنسحب إذا حضر الوفد العراقي، وأن أسلِّم رئاسة الدورة لمصر التي تأتي بعدنا في الترتيب. وهذا ما حصل. يومذاك قررتُ عدم حضور أي اجتماع للجامعة، خصوصاً أن الأمين العام للجامعة رضخ بدوره للضغوط. طلبت من موظفي الجامعة منع أعضاء الوفد العراقي من دخول مبنى الجامعة، فجاء الرد أن ذلك ليس من حقي

كرئيس للدورة، وأن الجامعة بيت العرب. ومنذ ذلك الوقت لم أحضر اجتماعات. طبعاً كنت أنقل إلى الأمين العام أيَّ رسالة من القذافي في حال وجودها. وكنت أرتّب زيارة الأمين العام إلى ليبيا ولكن لا أذهب معه. وكنت في هذه الفترة ألتقي القذافي في حال مجيئه إلى مصر.

■ كيف كانت علاقته مع الرئيس السابق حسني مبارك؟

ـ كان يقول إن مبارك تقدَّمَ في السن وخرّف، وإن مصر تعيش بلا قيادة (يضحك). وكان يلمح إلى أن ليبيا لا تتسع لقدراته. كانت العلاقة هادئة وباردة، وبدا لي أن الرئيس مبارك هو الذي كان حريصاً على العلاقة أكثر من القذافي.

■ الآن ستُفتح ملفات عهد القذافي الطويل. أنا تلقيت رسالة من كارلوس (الفنزويللي الشهير) تقول إن فكرة خطف وزراء منظمة «أوبك» من فيينا في ١٩٧٥ جاءت من القذافي نفسه. ماذا تقول؟

ـ أنا لم أكن في ليبيا آنذاك، لكن الفكرة تبدو قذافية. أنت تلقيت رسالة من المنفِّذ المباشر. وأدلى كارلوس بتصريحات أكد فيها أن الفكرة ليبية، وكذلك الخطة، بما فيها خطف الوزراء إلى الجزائر لإبعاد الشبهة عن ليبيا. الأمر نفسه تحدَّث عنه وزير النفط السعودي أحمد زكي يماني الذي كان بين المخطوفين.

■ وقضية تفجير الطائرة الأميركية فوق لوكربي؟

ـ المعلومات الحقيقية موجودة عند عبدالباسط المقرحي، الذي أعيد إلى ليبيا. المتداول أن المقرحي أَرسل من سجنه في إسكتلندا تهديداً إلى النظام يطالبه فيه بفعل أي شيء لضمان الإفراج عنه، وإلا فهو سيروي القصة بتفاصيلها وسيكشف خيوطها. طبعاً النظام دفع تعويضات وتمكّن من إخراج المقرحي من سجنه.

هذا النوع من العمليات يطبخ في حلقة ضيقة جداً، نظراً لخطورته وعواقب انكشافه. إن تاريخ هذا النظام يساعد على وضعه في موضع الشبهة.

■ وقصة اختفاء الإمام موسى الصدر ورفيقيه خلال زيارة إلى ليبيا قيل إنها شملت لقاءً غير ناجح مع القذافي؟

ـ واضح أن الإمام الصدر تعرض للتصفية. هذه القصة يقينية، وهي قناعة كل الليبيين الذين التقيتهم.

سأكشف لك مسألة. كان عديلي طياراً يقود طائرة القذافي واسمه نجم الدين اليازجي، وكان برتبة مقدم. بعد فترة وجيزة من اختفاء الإمام الصدر تعرض عديلي للتصفية. أفراد الأسرة قالوا إن لاغتياله علاقة بقصة الصدر، فهو تولّى نقل جثة الإمام لدفنها في جنوب ليبيا في منطقة سبها. ويقول الأقارب إن معرفته بقصة موسى الصدر دفعت الأجهزة الليبية إلى قتله لإخفاء السر، وهي مسائل تحدث في مثل هذا النوع من الجرائم.

■ وطائرة الـ «يوتا» الفرنسية؟

ـ هذه أقرّوا بها ودفعوا تعويضات. مَن حكَمَتْ عليهم المحاكم الفرنسية موجودون وأحياء.

■ مَن تعرَّض للتصفية من أركان النظام؟

ـ طبعا هناك عمر المحيشي. حصلت صفقة سياسية تعهد القذافي بموجبها بوقف دعمه لجبهة «البوليساريو» وطلب في المقابل من الملك الحسن الثاني تسليمه أربعة أشخاص من المعارضة الليبية بينهم عمر المحيشي، الذي كان عضواً في مجلس قيادة الثورة، واتُّهم بقيادة محاولة انقلابية وفَرَّ إلى مصر. أقام معي في مصر كلاجئ سياسي ثم غادر إلى بريطانيا، وحين تعب منها أراد الإقامة في المغرب. دفع المحيشي ثمن الصفقة، التي شملت أيضاً فناناً ليبياً معارضاً.

■ هل حاول نظام القذافي اغتيالك في الخارج؟

ـ كل ليبي معروف غادر إلى الخارج تعرَّض لمحاولة اغتيال أو تم التفكير في اغتياله. أنا حاولوا اغتيالي في مصر وفي بريطانيا.

في ١٩٩٣ جاءني وفد إلى مصر على رأسه المرحوم اللواء محمود شيت خطاب الوزير العراقي السابق، وهو كان مقيماً في مصر وتربطه بالقذافي علاقة جيدة. طلب الوفد مني أن تكون لي بالقذافي علاقة مستمرة، أي أن يكون بيننا اتصال دوري. وقالوا إنه يريدني أن أغادر مصر التي أبرمت اتفاقاً مع إسرائيل وطلبوا مني أن أختار أيَّ بلد. جئت إلى بريطانيا وأمضيت شهراً

أبحث عن بيت، وكنت طلبت أن أحصل على ما يمكّنني من شراء بيت، وأنني أريد ألاّ تكون لي علاقة شهرية مع السفارة تنال من استقلاليتي، وقد وافقوا على طلبي. اتفقنا على ثلاثة ملايين دولار، إضافة إلى ثمن بيت. حوّلوا لي مبلغ مليون وثلاثمئة ألف دولار.

خلال بحثي عن منزل، علمتُ بطرقي الخاصة أن مجموعة أُرسلت لاغتيالي. وطلبوا من السفير الليبي آنذاك محمد المسماري أن يقدِّم مذكرة رسمية إلى وزارة الخارجية البريطانية يقول فيها إن الاستخبارات المصرية تُعِدّ مؤامرة لتصفية عبدالمنعم الهوني، أي أنهم كانوا يريدون قتلي واتهام الاستخبارات المصرية. أنا سارعت إلى المغادرة وعدت إلى مصر التي لقيت فيها معاملة جيدة.

- **هل تحمّل نظام القذافي أيضاً مسؤولية اغتيال منصور الكيخيا وزير الخارجية السابق؟**

ـ بالتأكيد. أجرى منصور الكيخيا، رحمه الله، حسابات خاطئة. كنا، محمد المقريف والكيخيا وأنا، معاً في الجزائر كوفد من المعارضة. التقينا المسؤولين الجزائريين وطلبنا دعماً سياسياً وأدبياً. أعتقد أن ذلك كان في ١٩٩٢. بعض الإخوة في المعارضة لم يقدِّروا خطورة الظروف ونشروا لنا صوراً ونحن في الجزائر. اعتبر المسؤولون في طرابلس الأمر خيانة كبرى. بدأوا التركيز على منصور، وأرسلوا أصدقاء له طلبوا عبرهم اللقاء به في أي مكان.

اتصل بنا الرئيس الجزائري السابق أحمد بن بله وألحّ على الالتقاء بنا فالتقيناه، منصور وأنا، في فندق «إمباسادور» في جنيف. جاءنا برسالة مصدرها القذافي تطلب منا العودة إلى ليبيا مع استعداد لإعطائنا وظائف سياسية إذا كنا نطلب ذلك، أو حتى إذا رغبنا في الإقامة كمواطنين عاديين. التقى بن بله أيضاً في لقاء آخر عزالدين الغدامسي ومحمود المغربي.

أنا ومنصور قلنا إننا لا نريد وظائف، بل نريد تغييراً في البلد. نقل بن بلة نتيجة اللقاء إلى القذافي، فبدأ الأخير بخطة لتصفية منصور. أرسل له إلى جنيف أحمد قذاف الدم، الذي عرف أن منصور سيغادر في اليوم التالي إلى مصر. أبلغ قذاف الدم الكيخيا أنه سيرسل إليه في القاهرة مسؤولاً رفيعاً للقائه والاستجابة إلى طلباته.

كان منصور رجلاً سياسياً لكنه كان بعيداً عن الحس الأمني. وكان يردد: أنا لماذا يقتلني العقيد؟ لم أحمل سلاحاً ضده ولن أحمل. بصري ضعيف وصرت في السبعين.

ذهب الكيخيا إلى القاهرة فتلقى اتصالاً قال فيه المتصل: نريد التحاور معك في بيت السفير الليبي في مصر ومندوب ليبيا لدى الجامعة العربية إبراهيم البشاري. طبعاً البشاري تولى لاحقاً إدارة الاستخبارات وقتلوه في حادث سيارة مفتعل.

■ لماذا قتلوه؟

ـ القصة متداوَلة بين أركان النظام. اتهموه بأنه سرّب معلومات

عن تفجير طائرة الـ «يوتا» إلى الفرنسيين، كما اتهمه بعضهم بتسريب معلومات عن حادث لوكربي. طبعاً تفجير الـ«يوتا» حصل لأن الأجهزة الليبية تلقت معلومات عن وجود شخصية ليبية معارضة على الطائرة وهي الدكتور محمد المقريف. وهذا كان الهدف. شاءت الصدفة أن المقريف سافر في وقت قريب جداً، لكن ليس في ذلك النهار بالذات.

■ لنعد إلى البشاري؟

ـ استقبل البشاري الكيخيا في منزله. وتقول الرواية المتداولة أن الكيخيا أعطي حقنة في المنزل ونقل بسيارة تحمل لوحة دبلوماسية إلى الحدود المصرية ـ الليبية وصولاً إلى مطار طبرق، حيث كانت طائرة تنتظره، فنقلته إلى طرابلس وقتل هناك.

سأخبرك بما سمعته من القذافي شخصياً عن المحيشي. قال لي: «المحيشي أجرم وأفشى أسرار الجيش الليبي. أخضعه الضباط الأحرار لمحاكمة عسكرية ونفّذوا فيه حكم الإعدام. أنا ما ليش علاقة». هذا هو أسلوب القذافي.

■ **استخدم القذافي مجموعات كان العالم يعتبرها إرهابية؟**

ـ نعم. استخدم مجموعة «أبو نضال» وكارلوس و«الجيش الأحمر الياباني» و«الألوية الحمر» و«بادر ماينهوف» ومجموعات أخرى كثيرة، ودَعَمَ معارضات واحتجاجات، وتورَّطَ في مغامرات عسكرية في تشاد وغيرها. دَعَم حَتى مجموعة «أبناء الله» في أميركا.

■ هل يكره القذافي أميركا؟

ـ في البداية تعامل الأميركيون معنا بنوع من الصلف والتعالي. قالوا: «أوقفوا الحديث عن الوحدة العربية فنعطيكم سلاحاً. وحددوا علاقتكم بوضوح مع جمال عبدالناصر».

■ هل كان القذافي معجباً بجمال عبدالناصر؟

ـ أُقسم أنني أقول الصدق. في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٩ ذهبت معه إلى اللقاء الأول مع عبدالناصر. كانت الزيارة سرية وتضمنت جلسات عدة مع الرئيس المصري. زارنا عبدالناصر مرتين في ليبيا. حضر احتفالات جلاء القاعدة الأميركية ثم زاره القذافي في مرسى مطروح. بعد عودته سألناه عن رأيه فردّ: «إن عبدالناصر رجل بوليسي» وكان يقصد أنه قمعي.

■ لنعد إلى اللقاء الأول؟

ـ أعتقد أن الإخوة المصريين توهّموا أنه سيكون رجلَهم في ليبيا. طلبنا من الجانب المصري إبرام اتفاق حول وحدة عسكرية، وأننا نحتاج الآن إلى تأمين الثورة في ليبيا بانتظار إعداد الجيش الليبي، لهذا نحتاج إلى قوات مصرية للمرابطة في طرابلس وبنغازي. تجاوب عبدالناصر وأرسل فوراً قوات خاصة. طلبنا أيضاً خبرات قانونية وزارنا لاحقاً جمال العطيفي ومحمد حسنين هيكل. أعددنا إعلاناً دستورياً ولم نستكمل شيئاً. لا دستور في ليبيا. هناك نص اسمه وثيقة الشعب، وهي وثيقة مبايعة للقذافي. وطبعاً هناك الكتاب الأخضر.

■ ما هو أخطر حادث وقع في مجلس قيادة الثورة أثناء مشاركتك فيه؟

ـ حصلت صدامات كثيرة. في أحد هذه الصدامات كاد معمر أن يُقتل، وبالتأكيد كان قُتل لو لم نتدخل. حصل هذا الصدام بين معمر وعمر المحيشي. هنا لا بد من أن نرجع إلى محاولة الانقلاب التي قادها آدم الحواز وموسى أحمد. وقع صدام بين موسى أحمد وزير الداخلية وعمر المحيشي الذي وجه إهانات إليه بالكلام والإشارات معاً. طلب موسى أحمد من معمر تشكيل محكمة ليمثل الاثنان أمامها وأن تصدر المحكمة حكمها لمصلحة أحدهما. كان المحيشي عضواً في المجلس ووزيراً في حكومة برئاسة معمر شكلت بعد حكومة المغربي. وفي الحكومة الجديدة دخلنا أنا وعبدالسلام جلود ومحمد المقريف. توليت أنا وزارة الداخلية وجلود الاقتصاد والمحيشي التخطيط والمقريف الإسكان.

بداية الصدام بين المحيشي وأحمد كانت تافهة، لكن المحيشي انفعل ولم يكن محقاً في نظر الأعضاء. وماطل معمر في الرد على طلب تشكيل محكمة فنقل موسى أحمد ما حصل في الجلسة إلى بقية الوزراء فتعاطف معظمهم معه. آدم حواز تعاطف مع موسى أحمد وقال له: ما دام هؤلاء الناس يعاملونك على هذا النحو فماذا ننتظر لنتخلص منهم.

الصدام وقع في حضور أعضاء مجلس قيادة الثورة، وصادف أن دخل موسى أحمد. قرر أن ينتقم وهو أقسم أن يفعل ذلك إذا

لم نأخذ له حقه من المحيشي. بدأ يتصل بالضباط، وهكذا تم الإعداد لما سمي حركة موسى أحمد أو حركة الحواز إلى أن قبض عليهم في ٢٤ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٦٩.

ألقى معمر خطاباً في مصراتة وقال: سننفذ الوحدة ولو سرت وحدي ولو بقوة هذا الرشاش (ورفع رشاشاً في يده). حين عاد إلى طرابلس لامه الأعضاء وقالوا له كلنا مع الوحدة فلماذا هذا الكلام؟ تحدث عمر المحيشي فرد عليه معمر: أنا الذي أحميك ولولا حمايتي لقتلك موسى أحمد. انفعل المحيشي وتناول الرشاش وقال: أنا لا أحد يحميني لا أنت ولا غيرك، واقترب بالرشاش وصوبه في اتجاه معمر فقفزنا أنا وأبو بكر يونس وانقضضنا عليه وطرحناه أرضاً وانتزعنا الرشاش منه. كان معمر في هذه الأثناء قد سحب مسدسه والأكيد أن عمر المحيشي كان سيطلق النار وسيقتل معمر لو لم نكن إلى جانبه ونسارع إليه.

■ هل هذه هي المرة الوحيدة التي حصل فيها سحب مسدسات؟

ـ لا، حصلت أكثر من مرة. لكن الحادث الذي أشير إليه كان الأول من نوعه وسُحِب فيه رشاش وليس مجرد مسدس. هذه أخطر حادثة، وقد أنقذنا القذافي من الموت المحتم.

■ إلى أي تنظيم كنت تنتمي أو إلى أي تنظيم كنت أقرب؟

ـ كان تأثير حركة القوميين العرب كبيراً علينا. وجود الحركة كان ملموساً في طرابلس القريبة منا (الهوني من مواليد قرية قريبة من طرابلس) وكانت لعناصر منها علاقة مع قريب لي فكان لهؤلاء تأثير في تشكيل وعيي وإدراكي وطموحي. هذه العلاقة مع الشخص المعني توطدت بعد دخولي الكلية العسكرية. لم يكن للأحزاب ترخيص ووضع قانوني لكنها كانت تمارس نشاطها وتسيطر تقريباً على كل النقابات والنشاط الثقافي والصحافي.

■ عمن كنت تسمع من رموز حركة القوميين العرب؟

ـ كان رمز القومية العربية الذي لا يختلف عليه اثنان آنذاك جماؤ عبدالناصر. ثم كنا نسمع عن قيادة الحركة على المستوى القومي كالدكتور جورج حبش ثم نايف حواتمة. أما على الصعيد الوطني فكنا نسمع بالقيادات كلها وبينها الأخ عزالدين الغدامسي وعمر المنتصر الذي كان عنصراً قيادياً.

■ هل كان هناك تخطيط حزبي لدخولكم الكلية الحربية؟

ـ نعم كان هناك نوع من التخطيط، فالمجموعة التي كنا على علاقة بها اعتبرت أن دخول القوات المسلحة هو الطريق الوحيد لتحرير ليبيا وإحداث تغيير فيها. القوات المسلحة هي الجهاز الوحيد المنظم والجهة الوحيدة التى كانت قادرة على التغيير.

■ من هم أفراد المجموعة التي كانت تحرضكم على دخول الجيش؟

ـ من بينهم جمعة الفزاني وغيره. القوميون العرب كانوا يحرصون على دفع الشباب إلى الكلية العسكرية. والأمر نفسه بالنسبة إلى حزب البعث. في دفعتنا كانت هناك عناصر كثيرة من القوميين العرب والبعث والإسلاميين.

■ هل كان هناك تنسيق بين القوميين والبعث أم تنافس؟

ـ كان هناك تنافس.

■ لماذا لم يتعرض النظام لكم؟

ـ استهدف قيادة التنظيم وحكم على قياديين بالسجن سنوات، ولكن لم تصل الملاحقة إلى القواعد. وحتى بعد محاكمة القيادات أعاد عناصر الصف الثاني تنظيم أنفسهم وبدأوا بتحريك الشارع. وربما كان النظام ينظر إلى تحركات الشباب تحت سن الـ ٢٥ كحركات طائشة وهوجاء تنطلق من الحماسة. وبهذا المعنى لم يكن النظام الليبي السابق يتعامل مع الأصوات المعارضة أو المحتجة بالحسم والقسوة اللذين يميزان التعامل الحالي. أكثر من ذلك: وردت خلال التحقيقات أسماء عسكريين يمارسون نشاطات حزبية ولم يُلاحقوا.

■ متى التقيت القذافي للمرة الأولى؟

ـ التقيته للمرة الأولى صيف ١٩٦٣ وكان يزور أحد أصدقائه

في بلدة جنزور ويدعى رجب خليفة حسين، وكان يدرس معه في ثانوية مصراتة. وعُيّن في وكالة الأنباء الليبية كما عُيِّن ناطقاً رسمياً في الأيام الأولى بعد الحركة. وكان شقيق رجب يسكن لدى أحد أقاربي وكنت أزور هذا القريب بالصدفة. سألت عن الشاب فأجابوني أن اسمه معمر القذافي وهو من سرت. حصل تعارف وكان أول سؤال وجهه إلي: هل تحب جمال عبدالناصر أم لا؟ طبعاً أجبت أن كل الليبيين يحبون عبدالناصر. شخص واحد في قريتنا لم يكن يحب عبدالناصر وهو إمام المسجد وأصله من مصراتة ويحب بورقيبة الذي ينتمي إلى المكان نفسه وكان يهاجم عبدالناصر آنذاك.

في ذلك اليوم ألقى بورقيبة خطاباً هاجم فيه عبدالناصر. وفي حواري مع القذافي هاجمت مواقف بورقيبة. وسألني القذافي السؤال نفسه يوم التقينا في الكلية العسكرية إذ قال لي: «هل ما زلت تحب عبدالناصر». وحين رددت بالإيجاب أعطاني كتاباً للزعيم المصري اسمه «قصة الثورة»، نزع غلافه لئلا يعرف الآخرون أي كتاب يحمل، وطلب مني أن أقرأه. بعد يومين أعدت إليه الكتاب فأعطاه لآخرين.

كنا نلتقي في الإجازة الأسبوعية في بنغازي. الكلية الحربية كانت في شرق ليبيا، ونتكلم في أمور كثيرة باستثناء فكرة إقامة تنظيم. وكان يعرف علاقاتي القوية بحركة القوميين العرب.

■ كيف كان القذافي يفكر في تلك المرحلة؟

ـ في قصته التي كتبها بنفسه يقول إنه انتمى إلى الجماعات الإسلامية أو تأثر بالفكر الأصولي الإسلامي في مدينة سبها، وذكر أحد الأساتذة الذين أثّروا فيه. ودخل حزب البعث من طريق وزير الزراعة محمد التبو. ثم دخل تنظيم حركة القوميين العرب من طريق طاهر المحيشي شقيق عمر المحيشي. هذا ما يقوله هو ليصل إلى خلاصة واحدة هي أن هذه التنظيمات بعيدة كل البعد عن الواقع الليبي والواقع العربي.

■ كيف كان القذافي يبدو آنذاك؟

ـ بصراحة أقول، كنا نتصور أنه شخص مثالي، شديد التأدب في حديثه وشديد البساطة في عيشه ويكره البهرجة في اللباس، وهذا ما كنا نعتبره تواضعاً وبساطة. كان القذافي أيضاً شديد التمسك بمواقيت الصلاة ويحض الآخرين على التزامها.

في أحد أيام الإجازة الأسبوعية توجهت إلى طرابلس وإذ به يصل. فوجئت بزيارته وكان عندي أحد أعضاء حركة القوميين العرب، ولن أذكر اسمه، ولاحظ كأننا في لقاء تنظيمي. سألني: هل صحيح أنك ارتبطت مع القوميين العرب، وكنا لا نزال طلاباً في الكلية الحربية التي دخلناها في ١٩٦٣. عندما عدنا إلى بنغازي فوجئت به يقول لي: «نحن العسكريين علينا أن نقطع صلاتنا بالتنظيمات السياسية المدنية. هل قرأت الكتاب الذي أعطيتك إياه؟ («قصة الثورة» لجمال عبدالناصر). أنا أسعى كي نقيم تنظيماً على الطريقة التي اعتمدت في مصر، أي على غرار الضباط الأحرار وأنت أول شخص أفاتحه

بالموضوع». قلت له: هل يبدأ التنظيم بي وبك فقط، فأجاب: «يمكن أن نضم شخصين آخرين». فطلبت أن نلتقيهما.

بعد أسبوع التقينا: القذافي وأنا وعبدالسلام جلود وأبو بكر يونس. هذا هو الاجتماع الأول وكان رباعياً وعقد في الكلية العسكرية. استمرت اجتماعاتنا أسبوعية. كان هذا في ١٩٦٣. انضم إلينا لاحقاً شخص خامس اسمه سالم مسعود البوصير وهو طالب من الدفعة نفسها. اتفقنا على المواصفات التي يمكن على أساسها ضم عنصر جديد إلى التنظيم. وكانت المواصفات كلها أخلاقية أي أن يصلي ويكون معروفاً بانضباطه، وأن لا يشرب وأن تكون خلفيته الأسرية معقولة. لم يكن القذافي يحبذ أن نفاتح أبناء الأسر الكبيرة والغنية، كنا نخاطب أبناء الطبقة الوسطى. فاتحنا عدداً من العسكريين.

هكذا استمر العمل وفي آب/ أغسطس ١٩٦٥، قبل التخرج بنحو عشرة أيام، شكلت اللجنة المركزية للضباط الوحدويين الأحرار. عقد الاجتماع في بنغازي. كان من التقاليد أن يقضي الطلاب الشهر الذي يسبق التخرج في الصحراء في تدريبات نهارية وليلية يتم في ضوئها إعطاء علامات المادة العملية، وبعدها تعلن نتائج النظري والعملي، وفي ٩ آب/ أغسطس يتخرج الطالب أو يعيد سنته تبعاً لعلاماته.

أصرّ القذافي على أن تكون اللجنة من ١٢ ضابطاً وكان ينقصنا شخص واحد والكلام يدور على الاختيار بين اثنين: عبدالرحمن الصيد ومصطفى الخروبي. وتقرر في النهاية أن

يكون الخروبي هو العضو الثاني عشر. كنا نحن من أنصار اختيار الخروبي لأننا نعرفه أكثر وهو من دفعتنا، في حين كان الصيد من الدفعة اللاحقة لكن معمر كان يعرفه أكثر.

والأعضاء هم: عمر المحيشي، بشير هوادي، الخويلدي الحميدي، مختار القروي، محمد المقريف، عوض حمزة، معمر القذافي، محمد نجم، عبدالسلام جلود، أبو بكر يونس وأنا. ودخل الخروبي لاحقاً بعد أربعة أشهر تقريباً من بداية الحياة العملية في المؤسسة العسكرية. كنا من الدورة نفسها باستثناء المحيشي والمقريف فقد كانا من الدورة اللاحقة لنا، وكنا نحن الدفعة السابعة من الكلية الحربية.

■ تخرجتم برتبة ملازم وتفرقتم؟

ـ نعم، وصادف أننا عيّنا في معسكر واحد، معمر وأنا. في معسكر قار يونس الذي يبعد نحو عشرة كيلومترات عن بنغازي. كان المعسكر يضم صنفين: الإشارة والهندسة. عينت في مدرسة الهندسة وعين معمر في سلاح الإشارة. وجدنا معاملة جيدة جداً من الضباط الأقدم منا فاقت تصورنا. كنا نخشى من أن نواجه بمشاكل واحتكاكات في ضوء ما كنا نسمعه، لكننا وجدنا كل مساعدة ومساندة. تابعت دورة لسلاح الهندسة وتابع معمر دورة في مدرسة الإشارة التي لم تكن في المعسكر نفسه. مدة الدورة أربعة أشهر وعاد القذافي إلى قار يونس وأمضينا السنة الأولى هناك.

تلك السنة كانت حاسمة بالنسبة إلى التنظيم. عرفنا للمرة الأولى أنه توجد داخل القوات المسلحة تنظيمات متعددة ومجموعات متنافسة. مجموعة الضباط المتخرجين من العراق كانت مترابطة ومتماسكة، والأمر نفسه بالنسبة إلى الضباط المتخرجين من مصر. كان الجيش في السابق يعتمد على الضباط المتخرجين من العراق أو مصر أو الأردن. الضباط الذين تخرجوا من العراق كانت تربط بينهم علاقات قوية وكذلك الذين جاؤوا من مصر. فوجئنا بهذه التنظيمات. وكانت هناك تنظيمات أخرى تسعى إلى إطاحة النظام. كان علينا أن نسبق هذه التنظيمات وقررنا تركيز جهودنا على الضباط الأدنى رتبة منا. ولهذا تلاحظ أن التنظيم تكوّن من طلاب الدفعة السابعة إلى طلاب الدفعة العاشرة.

عقدنا اجتماعات دورية وكنا نلتقي في منطقة الشرق شهرياً. والأمر نفسه في المنطقة الغربية. وكان يعقد لقاء موسع مع اللجنة المركزية كل ثلاثة أشهر. كل هذه اللقاءات كانت سرية وكانت ترتب بالاتصال المباشر لا بالهاتف ولا بالرسائل.

■ هل ظهر دور القذافي القيادي في تلك المرحلة؟

ـ نعم، كان صاحب المبادرة الأولى في إقامة التنظيم. طبعاً كانت لمعظم الذين انضووا في التنظيم علاقات حزبية أو تنظيمية من قبل. أبو بكر يونس كان مع البعثيين. ربما لأن العسكريين كانوا يبحثون آنذاك عن سبل تغيير النظام. أعود وأقول للأمانة إن القذافي كان صاحب المبادرة التي أدت إلى

ضم كل هؤلاء في تنظيم عسكري. والواقع أن التعصب للتنظيم جعلنا لا نتوقف عند المآخذ على تصرفاته والتي كان الضباط الأرفع رتبة يبدونها. بعضهم كان يتهمه بالافراط في المظاهر خصوصاً حين يكون في النادي العسكري ويحين موعد الصلاة وينادي الحاضرين للصلاة معه. يضاف إلى ذلك أنه كان يعارض استخدام أي شتيمة في الحديث أو أي نعت قاسٍ بحق أحد الزملاء. إذا حدث شيء من ذلك كان يترك الجلسة ويعتبر ما حدث سقطة كبيرة جداً. وكان لاحقاً يعاتب من ارتكب ما يعتبره هو خطأ كبيراً وربما امتنع عن الكلام مع هذا الشخص يومين أو ثلاثة احتجاجاً.

■ هل تعرّفت إلى والد القذافي ووالدته؟

ــ نعم، أعرفهما شخصياً. زرت منزله وأكلت عنده في سِرت. هذا حصل خلال سنوات الدراسة وبعدها. ذهبنا إلى مسقط رأسه عند حافة الوادي وحكى لي كيف ولد في بيت الشعر وأين وضعته أمه.

■ متى بدأ الإعداد الفعلي لموعد ما لتنفيذ الحركة العسكرية؟

ــ في ١٩٦٦ اتسع التنظيم اتساعاً جيداً. انضم الينا عدد كبير من الدفعات التالية، ثم صرنا نحو ٩٠ ضابطاً إضافة إلى أعضاء اللجنة المركزية. كانت لدينا اشتراكات رمزية. وكان هناك نوع من التعاون والتعاضد. إذا تزوج ضابط كنا نجمع من رواتبنا

ونساعده. ولم تكن الاشتراكات شهرية بالضرورة، وكان هناك بعض التبرعات من الأعضاء للتنظيم. في ١٢ آذار/ مارس ١٩٦٩ شعرنا بأن لدينا من القوة ما يكفي للقيام بعمل عسكري يؤدي إلى إسقاط النظام.

كنا في عامي ١٩٦٦ و١٩٦٧ أحسسنا بأن تنظيم الضباط الأحرار صار يمتلك من القوة ما يؤهله للدخول في حوارات مع التنظيمات الأخرى. وهكذا بدأنا حواراً مع التنظيم الذي كان يقوده مكي أبو زيد، وهو ضابط معروف بخلقه، وكذلك مع عبدالمطلوب عزوز وهؤلاء من الناصريين. وكان الهدف من الحوار البحث عن صيغة لدمج التنظيمين. والحقيقة أن معمر كان حريصاً على أن يفاوض شخص واحد باسم تنظيمنا وأن يكون هو هذا الشخص. أي أن يكون هو حلقة الاتصال الوحيدة مع سائر التنظيمات لضمان عدم تسرب شيء عما يجري. فخليل جعفر مثلاً كان الرجل الثاني في المخابرات الحربية وعضواً في التنظيم الآخر. لهذا كان لا بد من التحسب خوفاً من أن يكون الحوار محاولة لاستدراج تنظيمنا وكشفه. الوحيد الذي كان يحاور التنظيمات كان معمر القذافي، وفي بعض الحالات كنا نشارك أنا ومصطفى الخروبي لأن عبدالمطلوب عزوز كان معنا في المعسكر نفسه وكنا نحاوره على صعيد الأفكار لإبراز عدم وجود فوارق كبيرة وبالتالي أهمية التنسيق إذا تعذر التحالف.

قبل ١٢ آذار/ مارس ١٩٦٩ بثلاثة أسابيع اجتمعنا في بنغازي

وحصرنا إمكاناتنا العددية وانتشار ضباط التنظيم في الوحدات، فتأكد أن تنظيم الضباط الأحرار بات موجوداً في كل وحدات الجيش الليبي وفي كل الأسلحة: المدرعات والهندسة والإشارة والمدفعية والمشاة. وخدمتنا الظروف حين حصلت عمليات انتقال لبعض الكتائب وجاءت لمصلحتنا، إذ بات لنا وجود كثيف في المدن. كانت لدينا كتيبة مثلاً في سبها ونقلتها القيادة إلى بنغازي. فعلت القيادة ذلك ـ كما عرفنا لاحقاً ـ بهدف إضعافنا لكن الخطوة خدمتنا.

كانت القيادة الليبية كشفت التنظيم لكنها رأت أن من الأفضل لها أن ترجئ القبض على العناصر القيادية في التنظيم لمدة ستة أشهر أو أكثر في انتظار تمرير صفقة تسليح الجيش وإعادة تنظيمه. في تلك المرحلة كانت الحكومة برئاسة عبدالحميد البكوش تناقش مع البرلمان مشروع إعادة تنظيم الجيش وتسليحه تسليحاً كاملاً. عقدت اتفاقات كبيرة مع بريطانيا ودول أخرى وأعد برنامج كبير للتدريب والتأهيل كي تتمكن القوات المسلحة من استيعاب الأسلحة المتطورة. كان عبدالعزيز الشلحي قائداً للجيش وكان صاحب اقتراح إرجاء القبض على مسؤولي التنظيم لاعتقاده بأن حصول الاعتقالات سيدفع الملك إلى القول إنه لم تعد ثمة حاجة إلى صفقة سلاح بهذا الحجم. كانت تقديراتهم أن تنظيم الضباط الأحرار هو في حالة من الضعف والاهتراء فلا يشكل مصدر خطر، وأن الجنود لن يتجاوبوا مع أي تحرك يقوم به صغار الضباط.

أيلول/ سبتمبر. حين حضر معمر مع مصطفى الخروبي الذي ذهب وجاء به أقنع الحاضرين بأن لا داعي للتحرك بسرعة. مصطفى الخروبي كان يبدو سنوسياً حتى العظم لمن لا يعرفه جيداً، فهو لم يكن يقسم إلا «بسيدي إدريس». طبعاً هذا من قبيل التمويه. قد يكون مصطفى أقنع معمر بأن وجود الملك إدريس قد يتسبب لنا في مشاكل مع بعض القبائل المؤيدة له في بنغازي إذا تعرضنا له. وشدد معمر على أن تكون الحركة عسكرية بيضاء لا يراق فيها دم ليبي واحد. وقال إن حراس الملك على الأقل سيقاومون وربما وقعت صدامات في بنغازي. اقتنعنا بهذا المنطق واتفقنا على إرجاء الموعد من ١٢ آذار/ مارس إلى تاريخ لاحق يحدد في ما بعد.

أما لماذا تأخر القذافي، ففي اعتقادي أنه كان يتصور أنه قيد الرقابة والمتابعة من قبل السلطة، وأن وضعه يختلف عن وضع الآخرين المدعوين إلى الاجتماع باعتبارهم غير معروفين إلى هذه الدرجة. بعد الحركة في سبتمبر/ أيلول ثبت أن الضابط خليل جعفر كان قد كلف متابعة معمر، كما كُلف العقيد بلقاسم متابعته حين يحضر إلى طرابلس. وكان الضباط الذين كلفوا متابعته من ذوي الميول والمشاعر القومية وكانوا يتمنون تغيير النظام. ربما لم يكونوا من المؤيدين لحصول التغيير على يد صغار الضباط أو تنظيم الضباط الأحرار بالذات، لكنهم كانوا يؤيدون التغيير. وربما كان لديهم شك في إمكانيات نجاحنا واعتبروا أن من الأفضل لهم أن نتحرك نحن ونفشل

ليتمكنوا لاحقاً من القيام بتحرك ناجح. أعتقد أنه لهذه الأسباب لم يساهم هؤلاء الضباط في قمع التنظيم أو الإيقاع به.

■ **هل كانت لديكم في تلك المرحلة علاقات مع مصر؟**

ـ أنا ذهبت إلى مصر في أواخر آذار/ مارس ١٩٦٩ وأعتقد في ٢٧ منه. كانت الرحلة للعلاج والاتصال بالضباط الذين فروا من الجيش الليبي وانضموا إلى القوات المسلحة المصرية وشاركوا في حرب ١٩٦٧. في ٧ حزيران/ يونيو ١٩٦٧ جمع جزء من القوات الليبية على الحدود المصرية في إطار الدعوة إلى المشاركة في المواجهة مع إسرائيل. كانت هناك وحدات مدرعات ومدفعية ومشاة. وراحت رئاسة الأركان الليبية تماطل وتقول لهم إن التعليمات بالمشاركة لم تأت بعد، فاقتحم بعض العسكريين بآلياتهم بوابات الحدود ودخلوا الأراضي المصرية وشاركوا في القتال، وبين هؤلاء ثلاثة ضباط كانوا معروفين جيداً لدينا، وهم: عمر الواحدي رحمه الله، وسليم الحجاجي وخليفة عبدالله. قبل أن أذهب إلى مصر حصلت على عناوينهم من أقربائهم. وحين وصلت بدأت البحث عنهم. التقيت عمر الواحدي، وهو من دفعة سابقة لنا وأمضينا سنة في الكلية العسكرية وكنا على اتصال بعد تخرجه.

الحقيقة أن معمر كان ضد فكرة تبليغ المصريين، لكن بعض الأخوة اعتبر أن علينا القيام بذلك من باب العلم بالشيء ولأن الحركة العسكرية مؤيدة لعبدالناصر. لم يكن مطلوباً البحث في التنسيق أو غيره، ولم يكن هناك تحديد لمواعيد. حتى آخر

لحظة قال لي معمر ألاّ أبلغ المصريين. التقيت عمر الواحدي، وهو من الضباط الذين كنا قد دعوناهم للإنضمام إلى التنظيم، ودار بيننا حديث. قلت له: أنت تعرف بوجود تنظيم في القوات المسلحة، وهو صار قوياً وقادراً على القيام بتحرك ناجح وأتمنى أن تبلغ أنت المصريين (. . .) وبهذه الحدود. قال الواحدي إن له علاقة بسكرتير عبدالناصر الذي هو حالياً رئيس اتحاد الكرة (. . .) واقترح أن يتصل به لترتيب اجتماع وأن أبلغه أنا شخصياً هذه المعلومات، فلم أوافق وقلت: من الأفضل أن يحصل التبليغ بواسطتك، ونحن نعتبرك عضواً في التنظيم وباستطاعتك القول أن حركة ستحصل ذات يوم، وإن ليبيا ستكون عضداً لمصر في معركتها القومية.

أمضيت نحو ٤٠ يوماً في مصر، وقال الواحدي إنه طلب موعداً وكان الموعد يؤجل باستمرار، وهكذا لم ألتق أي مسؤول مصري. وعندما عدت في الأسبوع الأول من أيار/ مايو سئلت عما فعلته فرويت لهم ما حصل. ارتاح معمر عندما أدرك أنه لم يحصل اتصال مباشر مع المصريين. ربما كان هو تولى الاتصال بهم عبر قنوات أخرى. كان مدير المركز الثقافي العربي في بنغازي، وهو مصري، صديقاً لمعمر وقد عمل لاحقاً في الاتحاد الاشتراكي في ليبيا.

كان معمر مرتاحاً لأنني لم أجرِ اتصالات مع المصريين. رجعت في الأسبوع الأول من أيار/ مايو فقالوا إن هناك اجتماعاً. عقد الاجتماع في سرت حيث أقيم لاحقاً نصب تذكاري. طرحت

فكرة القيام بحركة عسكرية في ٢١ حزيران/ يونيو وكلفت الذهاب إلى طرابلس والاجتماع بالضباط الوحدويين الأحرار في الكتائب المرابطة هناك والبحث في إمكان تحرك هذه الوحدات. في هذه المرحلة جرت عملية مناقلات ولم يكن معروفاً أي وحدة ستنتقل من مكانها. ولهذا كان من الصعب أن نبني خطة على أساس بقاء الوحدات في أماكنها. ثم إن الخطة برمتها قد تفشل في حال طرأ تغيير مفاجئ على موقع وحدة مكلفة القيام بدور رئيسي في حركة التغيير. يضاف إلى ذلك ـ وهذا ما تبين لنا لاحقاً ـ أن الشلحي أقنع القيادة بأن لا داعي لعرض قضية وجود هذا التنظيم على الملك أو وزير الدفاع، وأنه يكفي حالياً اتخاذ إجراءات تحرم هذا التنظيم من القدرة على الحركة، فقرروا سحب الآليات من الوحدات وتركوا لها الحد الأدنى الذي يحتاج إليه الجيش في عمله اليومي.

الحد الأدنى كان كافياً لنا للتحرك، لكن ظهر اتجاه إلى التمهل وإرجاء الموعد شهراً أو أكثر، لإعطاء الجهات التي تحاول أن ترصد خطواتنا انطباعاً بأننا لا ننوي التحرك على الأقل في تلك الفترة. كثفنا الاتصالات بالتنظيمات الأخرى كنوع من التشاور ولتوسيع الإطار المؤيد للتغيير داخل القوات المسلحة. سرنا في عملية التمويه هذه. وفي حدود ٢٢ ـ ٢٣ تموز/ يوليو دعي إلى اجتماع لم أحضره أنا بسبب مرضي ووجودي في طرابلس. في هذا الاجتماع اتفق على ضرورة القيام بحركة عسكرية في الشهر التالي من دون تحديد موعد دقيق، على أن يأتي معمر من بنغازي إلى طرابلس ليتشاور معنا وفي ضوء ذلك تحدد الساعة الصفر.

وكان الرأي متفقاً على ضرورة قلب النظام في أحد أيام أغسطس/ آب قبل أن تتحرك جبهة أخرى ونخسر نحن كل شيء.

■ **هل كان القذافي رئيساً للجنة المركزية لتحرككم؟**

ـ نعم، وكنا نحن نتصرف على أنه في هذا الوضع باعتباره صاحب المبادرة الأولى، وكنا نعتبره الأكبر سناً. لكنه قال لاحقاً إنه الأصغر. كنا نعتبر أنه الأكبر سناً ويأتي بعده محمد المقريف، وكان معظم الباقين من مواليد السنة نفسها تقريباً.

في الأسبوع الأخير من آب/ أغسطس جاء القذافي إلى طرابلس واتصل بعبدالسلام جلود الذي كانت وحدته متمركزة هناك. فوجئت بهما أمام منزلي من دون إنذار سابق. دخلا وبدأنا الحديث وقالا: لا بد أن نتحرك، وستذهب أنت إلى بنغازي. عقد في منزلي اجتماع لأعضاء اللجنة التنفيذية الموجودين في طرابلس، وحدد الشكل النهائي لتنفيذ الحركة العسكرية وتوزيع المسؤوليات والهدف الذي ستسيطر عليه كل وحدة. واتفقنا على أن أكون أنا في بنغازي مع معمر. وتقرر أن يسيطر عبدالسلام جلود على الإذاعة ومبنى الاتصالات الهاتفية واللاسلكية. وطلب من الخويلدي الحميدي أن يسيطر على قصر وليّ العهد وأن يقبض على الرجل ويقتاده إلى معسكر التوقيف. كذلك حدد هدف لعمر المحيشي، في حين كانت مهمة مصطفى الخروبي في بنغازي. وكان دور معمر السيطرة على الإذاعة في بنغازي.

ولم يكن عمر المحيشي في الاجتماع لأنه كان يقدم امتحاناً في

كلية الحقوق في بنغازي، وكان القروي في إجازة. لهذا كنا في الاجتماع.. معمر وعبدالسلام وأبو بكر يونس والخويلدي الحميدي وأنا. وحين عاد معمر إلى بنغازي طلب من عمر المحيشي الرجوع إلى طرابلس، وأذكر انه كان فيها في ٣٠ آب/ أغسطس، وكانت مهمتي أن أسيطر على إذاعة بنغازي. اتفقنا في ٣٠ آب/ أغسطس واتصلنا ببنغازي على أساس أن أبقى أنا في طرابلس لأننا لم نكن على ثقة بأن عمر سيصل في اليوم نفسه، ثم إن مختار كان في إجازة وكان لا بد من وجود شخص مع ضباط المدفعية. كانت وحدة المدفعية مهمة جداً بالنسبة إلينا اذ كان المطلوب منها أن تتخذ مواقع في غابة شرق تاجوراء لضرب قاعدة ويلس إذا استخدمت القاعدة ضدنا. طبعاً كان الملك غائباً في زيارة لتركيا، وكانت مهمة الخويلدي الحميدي أن يعتقل ولي العهد ويأتي به إلى معسكر باب العزيزية الذي حددناه معتقلاً لضباط الجيش والقيادات السياسية في النظام الملكي، مع الفصل بين الاثنين.

في ٣٠ آب / أغسطس، كما قلت ـ اتصلنا ببنغازي وكان لا بد من التحدث بالرموز. قلنا لهم مثلاً إن الرجل سيتزوج وإن الرفاق يجب أن يحضروا الفرح، وإذا تعذر على عمر الحضور فسأحضر أنا مكانه. هكذا بقيت في طرابلس وصارت مهمتي أنا وعبدالسلام السيطرة على الإذاعة. كنا قد اتفقنا على أن لا يحصل أي تحرك في طرابلس إلا بعد تلقّي أمر إنذار من بنغازي. واتفقنا أيضاً على أن يصدر الأمر في الساعة الثانية من

فجر أول أيلول/ سبتمبر، وان أكون أنا شخصياً أمام جهاز الاتصال الذي يتلقى برقيات مكتوبة (تلكس).

في الساعة الثانية توجهت إلى مقر جهاز الاتصال في معسكر باب العزيزية واعتقلت الجنديين الموجودين هناك تحت الطابق المخصص لمكاتب رئاسة الأركان. دخلت دخولاً طبيعياً وسألت عن مكان الجهاز، وقلت، انني أريد أن أرسل برقية إلى سلاح الهندسة في بنغازي. ولم يكن بوسع جندي الاعتراض على دخول ضابط فأرشدني إلى مكان الجهاز، ولم أكن أعرفه فانتزعت سلاحه واعتقلته مع الجنديين. سألوني عن السبب فقلت لهم إن رئاسة الأركان قد تعلن حال الاستنفار.

■ انتظرتم البرقية ولم تصل فماذا فعلتم؟

ـ انتظرت قرب الجهاز حتى الثانية والنصف ولم يصل شيء، اقتدت الجنود وأقفلت الباب وتوجهت إلى معسكر باب العزيزية من الجهة الثانية. التقيت عبدالسلام جلود وأبلغته أن البرقية لم تصل. وأكدت ضرورة أن نتحرك سريعاً حتى من دون البرقية لئلا نخسر كل شيء. كان عبدالسلام قد جهز الجنود والسيارات. وفي اللحظة التي كنا نصعد فيها إلى السيارات وجدنا الخويلدي الحميدي أمام المعسكر. سألت الخويلدي: أين ولي العهد فقال: «لم أجده». فقلت: «كيف لم تجده! لقد استطلعنا المكان البارحة».

الحقيقة أن النظام كان بسيطاً وكان في استطاعة مواطن عادي أن

يسأل عن ولي العهد وأن يطلب مقابلته. دخلت أنا والخويلدي الحميدي واستطلعنا وقمنا بجولة حول القصر وحددنا المكان الذي يمكن أن يقفز منه وجلسنا على السور. وقلت له: حين تأتي بالسيارة العسكرية لن تحتاج إلى من يساعدك على التسلق. كان معنا أبو بكر يونس لكنه لم يكن مكلفاً هذه المهمة.

نفّذ الخويلدي ما اتفقنا عليه ودخل باحة القصر، فرأى الباب الحديد مقفلاً. أطلق النار من رشاشه فتحطم الزجاج ولم ينفتح الباب. هرب حراس القصر واتصلوا بقيادة الشرطة وأبلغوها حصول إطلاق نار في مقر ولي العهد الذي اتصل بدوره بقيادة الشرطة. لم يستطع الخويلدي الدخول. جال حول المقر فلم يعثر على حراس، عندها رجّح أن لا يكون ولي العهد موجوداً وظن أنه في قصر ثان، أي قصر الضيافة. بعدها جاء الخويلدي مع الجنود إلى باب العزيزية والتقيناه عند الباب. وسألني ماذا نفعل فقلت نذهب لاحتلال الإذاعة باعتبار ذلك هدفاً مهماً. وصلنا فرأينا حراس الإذاعة في حالة استنفار بعد تلقيهم اتصالاً من قيادة الشرطة. نزلنا من السيارات فشهر الحراس أسلحتهم ورد الجنود بإطلاق النار فسقط ثلاثة قتلى وجريح. وكان هذا الصدام المسلح الأول في «حركة الفاتح». الصدام الآخر حصل في رئاسة الشرطة المدنية.

نجحنا في احتلال الإذاعة. ووصل عمر الحريري، وكاج في كتيبة مدرعات، فركبت في مدرعته واتجهنا إلى منزل عبدالعزيز الشلحي الذي كان يفترض أن يعتقله أبو بكر يونس ويأتي به إلى

باب العزيزية، وقد استطلعنا معاً منزله. ذهب أبو بكر إلى المكان لكنه حاول الدخول عبر المدرعة فراح يناور. أيقظ صوت المدرعة الشلحي الذي سارع إلى الفرار إلى المزرعة الملحقة بمنزله.

الحقيقة أن الخويلدي وأبو بكر قاما بخطوة مفيدة، وهي أنهما تركا جنوداً في المكانين حين تعذر عليهما تحقيق الهدف. وبعد وقت حاول الشلحي العودة إلى منزله ولم يتنبه إلى وجود الجنود فقبض الرقيب عليه وأحضره في سيارة مدنية إلى باب العزيزية. لم تكن عملية إحضار ولي العهد من مهمة عمر الحريري، لكن لدى مروره في الطريق قال له الجنود هناك ضوء في قصر ولي العهد. دخل عمر القصر وقبض عليه وجاء به إلى باب العزيزية.

■ ماذا قال ولي العهد لحظة دخول الحريري؟

ـ سأله: «هل أنتم من جماعة الشلحي»؟ لا بد أن أذكر هنا أن الخطة كانت تقضي بأن لا نتحرك من الإذاعة في طرابلس قبل ربطها بإذاعة بنغازي، وهكذا بدأنا ببث الأناشيد العسكرية. اتصلنا ببنغازي فرد علينا محمد المقريف، رحمه الله، فأبلغناه السيطرة على الإذاعة وسألناه عن معمر القذافي، فقال إنه لم يصل. وانتظرنا وصول معمر من الرابعة إلى السادسة صباحاً. ووصل في نحو السادسة وكنا ربطنا الإذاعتين بفضل تعاون الفنيين الذين نبهونا إلى أهمية السيطرة على مراكز الإرسال فارسلنا عسكريين إلى تلك النقاط.

■ معمر حضر في السادسة؟

ـ كان المطلوب من معمر أن يتقدم وسط مدينة بنغازي وتحديداً عبر شارع جمال عبدالناصر، وكان اسمه شارع الاستقلال. وكان الهدف الإيحاء بالسيطرة على المدينة. كانت هناك طريق أقصر للوصول إلى الإذاعة وهي طريق البحر وتستغرق المسافة عشر دقائق. لكن الخطة نصت على اجتياز قلب بنغازي في اتجاه معسكر بركة والإذاعة لردع أي مجموعات عسكرية أخرى عن التحرك. نفذ مصطفى الخروبي ومحمد المقريف الخطة ووصلا إلى الإذاعة من خلال وسط المدينة.

سألت مرات عدة عن معمر الذي كان يفترض أن يكون أول الواصلين. في السادسة إلا عشر دقائق جاء من معسكر قار يونس. البيان الأول كان متفقاً عليه فقد جاء به معمر إلى طرابلس وقرأناه واتفقنا عليه، لكن نقطة أضيفت إليه لاحقاً وهي المتعلقة بالأجانب. قال معمر إنه تنبه إلى هذه النقطة وأراد طمأنة الأجانب المقيمين في ليبيا إلى أن أحداً منهم لن يتعرض لهم. هذه الفقرة أضيفت فعلاً، لكن هل كانت كتابتها تستلزم كل هذا التأخير؟ أنا سمعت من الضباط أنهم عندما انتظروه ولم يأت رجع أحدهم إلى معسكر قار يونس فوجده مستلقياً على السرير يستمع إلى الأناشيد العسكرية وقد وضع رجلاً على رجل وكان يكتب هذه الفقرة. في السادسة بدأت الإذاعة بثها العادي بالبيان الرقم واحد.

■ هل صحيح أن كلمة السر في الانقلاب كانت القدس؟

ـ نعم، وقد تقرر ذلك في اجتماع سرت. واتفق أيضاً على النص المكتوب لأمر التحرك. وإصرارنا على ذلك مرده إلى رغبتنا في توثيق مجريات الأحداث.

■ نجحت الحركة فماذا فعلت؟

ـ في الخامسة صباحاً ذهبت إلى السفارة المصرية وأبلغتهم نجاح الحركة، وكذلك إلى السفارة العراقية. نسيت أن أذكر أن سيارة شرطة عسكرية أميركية من قاعدة ويلس حضرت بعد سيطرتنا على الإذاعة بدقائق معدودة، وعلى رأسها ضابط. وأبلغوني أن الجنود أوقفوا ضابطاً أميركياً. خرجت وسألته عن وجهتهم فقال إنهم كانوا في طريقهم إلى حي الأندلس لإحضار ضابط زميل حان موعد خدمته. شرحت له أن الجيش سيطر على السلطة وقلت له: ليس مسموحاً لك بالتحرك خارج القاعدة. عد إلى قاعدتك وأبلغ قيادتك هذا الكلام.

وعاد الضابط الأميركي إلى قاعدته. بعد نحو ساعة اتصل بنا ضباط من سلاح الجو الليبي الذي كان جزء منه يعمل في قاعدة ويلس. وخلال الحركة كانت هناك تعليمات باعتقال أي ضابط برتبة مقدم وفوق فوراً وإرساله إلى معسكر باب العزيزية. اعتقل ضباط من سلاح الجو، وكنا نعرف تعاطفهم مع الحركة من دون أن يكونوا أعضاء في التنظيم. طلبنا من هؤلاء الاتصال

بالأميركيين وإبلاغهم أن القوات المسلحة أنهت النظام الملكي وسيطرت على أرجاء البلاد المختلفة، وأن يطلبوا تشكيل لجنة مشتركة ليبية ـ أميركية للاتفاق على أي تحرك أميركي سواء داخل القاعدة أو خارجها. تجاوب قائد القاعدة، وكان كولونيلاً أسود، وشكلت لجنة مشتركة. وكان هناك تعاون جيد ولم تحدث أي مشكلة.

■ **هل تعتقد أنه لم تكن هناك أي مساعدة خارجية؟ وأنه لم تكن أي جهة خارجية على علم بحركة الفاتح من سبتمبر؟**

ـ سألتُ اللواء محمد أحمد الذي كان سكرتيراً لعبدالناصر: هل طلب منكم عمر الواحدي أن تلتقوا عنصراً من عناصر تنظيم ليبي موجود في القاهرة، فنفى. كنت أنا في الاستخبارات وسألت الاستخبارات العامة المصرية فقالت إنها لم تكن على علم. أنا أعتقد أن معمر كان الوحيد الذي لديه إمكان لإيصال معلومات من هذا النوع إلى مصر عن طريق المركز الثقافي العربي في طرابلس، وكان مديره مصرياً ومن العناصر الناشطة جداً في المخابرات المصرية. وكان مدير المركز الثقافي في بنغازي قوياً ومحترماً وكان معمر يزوره في بيته. وبعد نجاح الحركة ونقل مدير المركز في بنغازي طلبه معمر بالاسم فعاد إلى ليبيا وعمل معنا في الاتحاد الاشتراكي.

■ **هل وقّع ولي العهد على ورقة تنازل؟**

ـ اعتقل عمر الحريري ولي العهد وجاء به إلى معسكر باب العزيزية، وترك أولاده وزوجته في القصر. وبعد زيارتي للسفارتين المصرية والعراقية وإبلاغهما ما حدث عدت إلى باب العزيزية فوجدت ولي العهد معتقلاً في الغرفة نفسها مع عبدالعزيز الشلحي. وطلب ولي العهد مني أن يكون وحيداً في غرفة وأن لا يكون خصوصاً مع الشلحي. وقال إنه صلى ركعتين وحمد الله لأن الشلحي لم يكن على رأس الحركة العسكرية، لأنه لو كان، لاستهدف حياته. قلت له إن في إمكاننا فصله عن الشلحي في النوم لكن السجن يضم أربع غرف وصالة جلوس، وبالتالي فلا بد من أن يلتقيا خلال النهار.

في اليوم الأول كانت زوجة الشلحي معه. لكنها أُعيدت لاحقاً إلى منزلها. وطلبت من ولي العهد أن يسجل بصوته التنازل عن العرش فقال: هاتوا أي ورقة وأنا مستعد للتوقيع عليها ما دام الشلحي ليس على رأس هذه الحركة.

■ ألم تصوّبوا المسدس إلى رأسه كما تردد؟

ـ لم يُصوّب المسدس إلى رأسه ولم يُستخدم العنف معه. لو رفض التنازل ربما كانت استخدمت معه وسائل أخرى، لكنه بدا مستعداً كأنه متطوع. نحن كنا كتبنا صيغة التنازل، وبمجرد أن قال اكتبوا أي شيء وأنا مستعد للتوقيع عليه، أعطيناه الورقة فوقعها. وأبلغني أن زوجته وأولاده لا يزالون في البيت، فركبت سيارة ميكروباص وتوجهت إلى قصره واصطحبت

السيدة حرمه والأولاد والمربيات الإسبانيات، وطلبت من زوجته أن تأخذ معها كل ما يخصها من مجوهرات وأوراق، ووقفنا خارج البيت، وكنا نحدثها بواسطة إحدى العاملات. ومن وقت إلى آخر كانت حرم ولي العهد تكلمني من الطابق العلوي، وهي من أسرة وطنية نكنّ لها احتراماً شديداً. وقلت لها إنها إذا كانت تريد نقل الأمتعة فنحن على استعداد لمساعدتها. غبت نحو ثلاث ساعات وحين عدت كانت قد استكملت جمع حوائجها فنقلناها إلى منزل والدها، وبقيت فيه إلى أن خرج ولي العهد إلى الإقامة الجبرية فالتحقت به. لقد عوملوا معاملة إنسانية وأخلاقية.

■ هل كان هناك قرار بعدم قتل ولي العهد؟

ـ كان هناك قرار من اللجنة التنفيذية بعدم إراقة الدماء في الحركة العسكرية. كل الضباط أصروا على أن تكون الحركة بيضاء. كل الذين سقطوا لا يتجاوز عددهم ١٥ بعضهم نتيجة أخطاء.

■ هل كان الجيش متعاطفاً لحظة الحركة؟

ـ قبل أن نشرع في تنفيذ الأهداف جمعنا الجنود وقلنا لهم إن الجيش سيخلّص البلاد من النظام القائم، وكان التجاوب كبيراً. كان في معسكر باب العزيزية مركز للبحرية الليبية التي لم يكن معنا في التنظيم سوى ضابط واحد منها واسمه سالم ولم يحضر في الساعة المحددة للتحرك. ورفض الضابط المناوب في مركز

البحرية الانضمام إلى الحركة لكن العسكريين انضموا حين أيقظناهم واعتقلوا الضابط ثم جاء سالم وشارك. وكانت قيادة الشرطة في سيدي عيسى أول من استنفر بعد اتصال ولي العهد. حاولنا اعتقال رجالها، وحصلت مقاومة فأصيب خليفة حنيش في الاشتباك لكنهم استسلموا بعدما ردت القوات عليهم بنيران كثيفة.

■ ماذا كانت رتبكم أنت ومعمر لحظة تنفيذ الحركة العسكرية؟

ـ كنت برتبة نقيب ومعمر برتبة ملازم أول. كنا جميعاً نقباء باستثناء معمر وأبو بكر والمحيشي. كان معمر نقيباً لكن محكمة عسكرية قضت بتأخير ترقيته ثلاثة أشهر بسبب إساءة معاملة عسكري كان في وحدته. كانت في صفوف الضباط الأقدم منا انتقادات لمعمر، وكنا نعتبر أن هذا الكلام يستهدف التنظيم وكنا ندافع عن تصرفات معمر ونعتبرها من مبالغات المثالية.

■ لماذا لم يذهب معمر إلى الإذاعة كما كان مقرراً؟

ـ يقول الضباط إنهم جمعوا الجنود للانطلاق وإن معمر ألقى خطبة ثم تناول رشاشاً وأطلق طلقات عدة، فحصلت فورة حماسة كبيرة وصعد الجميع إلى السيارات بمن فيهم معمر. وعندما تخرج من معسكر قار يونس يفترض أن تسير نحو أربعة كيلومترات ثم تنعطف يميناً للدخول إلى وسط البلد. ويقول

الضباط إن معمر انعطف شمالاً بدل الانعطاف إلى اليمين، ثم تذكر أن عليه أن يمر في وسط بنغازي، فرجع للحاق بالقوة فاكتشف أنها سبقته. ثم تذكّر من البيان الذي نسي أن يحمله معه فعاد إلى المعسكر. هذا ما يقوله هو. أنا يقيني أنه اتخذ قراراً بعدم التحرك قبل التأكد من نجاح العملية لئلا يتحمل المسؤولية في حال الفشل.

في اجتماع آذار/ مارس الذي حضره عدد كبير من ضباط منطقة الشرق، نوقش موضوع شكل السلطة بعد نجاح الحركة. وظهر إجماع على نقطة هي ضرورة أن يعود العسكريون إلى المعسكرات، وتسليم البلد إلى القوى الوحدوية العربية النظيفة، وكان المقصود بذلك أعضاء مجلس النواب وبعض القيادات في الأحزاب. وكان هناك تركيز على جمعية عمر المختار في بنغازي وعناصر حزبية وعناصر من حزب المؤتمر في طرابلس.

كانت هناك حياة برلمانية في ليبيا، واتخذت شخصيات كثيرة مواقف ضد القواعد وضد عدوان ١٩٦٧ وقادت الحركة الشعبية ضد النظام. ويسجل لهؤلاء أننا اتصلنا بهم ولم يفشوا الأسرار وأظهروا مستوى عالياً من الأخلاق. إذاً كان القرار تسليم السلطة إلى المدنيين.

■ **هل عارض أحد؟**

ـ لم يعارض أحد. في اليوم الثاني للاجتماع ركبنا سيارة معمر وكان يقودها بنفسه، وكان معنا محمد نجم ومصطفى

الخروبي. ورحنا نناقش عملية التنظيم وهل نعلن قيام حكومة مدنية فور قيام الجمهورية ونشكل رئاسة أركان للجيش ونعود إلى المعسكرات أم ننتظر أسبوعاً أو عشرة أيام. وكان الاتفاق على أن لا تزيد الفترة اللازمة لتسليم المدنيين السلطة على شهر واحد وان يرجع العسكريون إلى وحداتهم.

وكانت الحركة العسكرية منسجمة مع هذا الخط. ومنذ اليوم الأول طرحت فكرة تشكيل حكومة مدنية، وتردد أكثر من اسم لرئاستها. واقترح عمر المحيشي اسم محمود المغربي. وكان هذا في السجن وقد تعرّف معمر إليه أثناء زيارة للأخوة القوميين العرب، وبينهم الضباط الذين فروا إلى الجزائر في أحداث ١٩٦٧ مثل ابن طاهر والشارف، وكان بين السجناء شقيق أحد الضباط المنضوين في التنظيم. المهم أنهم تعرفوا إلى المغربي في إحدى الزيارات. وتشكلت الحكومة في اليوم الثامن لنجاح الحركة.

■ أين كان عبدالحميد البكوش آنذاك؟

ـ كان سفيراً في باريس وجاء إلى البلاد واعتقل. أما رئيس الحكومة قبل حركة الفاتح فكان أنيس القذافي. اعتقل البكوش مثل كل المسؤولين السابقين، وكان من مؤيدي صفقة التسليح التي كنا نعارضها خوفاً من أن تكون مدخلاً لحصول المسؤولين على عمولات. كان إعداد الضباط يجري بطريقة غريبة. أقاموا دورة لمدة شهرين لتعليم الضباط الإنكليزية ثم أرسلوهم لتلقي التعليم بالإنكليزية. كيف يمكن أن يستوعب هؤلاء الضباط

الذين أوفدوا؟ كانوا يكتبون لنا ويقولون: لا نفهم ماذا يقول الضباط الانكليز خصوصاً أن المصطلحات الفنية والتقنية تحتاج إلى امتلاك اللغة. شكوا لقيادة الأركان والمسؤولين لكن المهمّ كان تمرير الصفقة ومرت.

■ متى اجتمعتم بعد حركة الفاتح؟

ـ اجتمعنا في اليوم الرابع. جاء معمر وآخرون إلى طرابلس واتفقنا على اسم محمود المغربي. كان أول اسم طرح هو علي الفقيه حسن، وهو رجل فاضل ووطني، وأرسلنا في طلبه وتحدثنا معه. خرجنا بانطباع أننا لن نستطيع التعاون معه، أولاً، بسبب فارق السن فهو تجاوز السبعينيات وكنا نحن في العشرينيات. ثانياً، إن الرجل حاسم وعنيف، وآراؤه قاطعة في كل شيء. ثالثاً، شعرنا بأن موقفه هو التالي: أنتم قدمتم ما عليكم والآن يجب أن تذهبوا. مهمتكم انتهت بسقوط الملكية. طبعاً أرفق كلامه بالثناء والشكر على ما قمنا به، لكنه كان واضحاً وقاطعاً لجهة اعتقاده أن دورنا انتهى بمجرد سقوط النظام القائم.

أجرينا معه حواراً عاماً فاكتشفنا أن كل الأسماء التي يقترحها هي أسماء من جيله، في حين كنا نحن نريد جيل الشباب. كان معمر حاضراً في هذا الاجتماع. أمضينا يومين في اجتماعات متواصلة في طرابلس ثم عدنا إلى بنغازي وشكلت الوزارة. فكرنا في محمود وبشير المغربي ثم وجدنا في الدكتور محمود المغربي ضالتنا فهو رجل عروبي وقومي وصاحب خبرة وتاريخ

سياسي ورجل عملي، وهو غير حزبي، ولا يرتكز على قبيلة بمعنى أن ليس لديه ما يثير المخاوف من احتمال تفرده بالسلطة. حضر المغربي واتفقنا على الأشخاص. لم يكن يعرف الناس كثيراً لأنه لم يكن عاش طويلاً في البلد. طرحنا أسماء فقبل بعضها ورفض بعضها الآخر. وفي النهاية توصلنا إلى تشكيلة وأُعلنت. وكنا نحن قد أعلنا قيام مجلس قيادة الثورة من الأسماء الـ ١٢ المعروفة. كنا في الداخل نعتبر معمر رئيساً للمجلس وكان يوقّع بهذه الصفة.

في الحكومة أسندت وزارة الداخلية إلى موسى أحمد ووزارة الدفاع إلى آدم الحواز. وكنت أعتبر موسى أحمد من تنظيم الضباط الأحرار في حين أن آدم الحواز لم تكن له علاقة بالتنظيم، وكان حتى آخر يوم رأيته فيه يصر على أنه الأب الروحي للتنظيم. أعتقد أنني زرته في السجن أواخر ١٩٧٣ ووجدته يصر على أنه الأب الروحي للتنظيم.

■ من منح القذافي رتبة عقيد؟

ــ أرفع رتبة بين الضباط الأحرار كانت رتبة مقدم وهي لموسى أحمد، وكان لا بد من اعتباره من التنظيم على رغم انضمامه إلى تنظيم عبدالمطلب عزوز ومكي أبو زيد (الناصريين). لكننا اعتبرناه من الضباط الأحرار لأنه لعب دوراً أساسياً في الحركة، فهو تحرك على رأس كتيبته من درنة وسيطر على نقاط حساسة ومهمة تابعة لقوات الشرطة. كان لا بد من أن يُمنح معمر رتبة أعلى. أُعطي رتبة عقيد فانتقل دفعة واحدة من ملازم أول إلى

عقيد. نحن كنا ضد الرتب الكبيرة وكانت الرتبة في الواقع تنظيمية أكثر منها عسكرية، وقررنا أن تكون أرفع رتبة في الجيش رتبة عقيد.

■ كيف كان الجو في الأيام الأولى بعد حركة الفاتح؟

ـ في الأيام الأولى كانت فكرة تسليم السلطة إلى المدنيين واردة، وظلت كذلك في الأشهر الثلاثة الأولى. وكان معمر يستخدم هذه الورقة حين نصطدم معه إذ كان يقول: سنسلم السلطة للمدنيين وسنعود إلى المعسكرات. استخدم هذه الورقة كثيراً بغرض تمرير مواقف معينة وقرارات معينة، ولكسب المزيد من الصلاحيات. وتأكد لنا لاحقاً أنه لم يكن في وارد تسليم السلطة إلى المدنيين.

قدم أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة، وهو محمد نجم، اقتراحاً لتوسيع المجلس من طريق ضم الحكومة إليه لتصبح السلطتان الاشتراعية والتنفيذية سلطة واحدة كمرحلة أولى. قدم محمد نجم اقتراحه واستقال. وللتاريخ يجب أن نقول ان أول من طالب بالديموقراطية وإعادة الحياة البرلمانية هو الرائد محمد نجم. وآخر ما فعله كانت محاكمته للتنظيم الذي يتزعمه موسى أحمد وأصدر ضد المتهمين بالمشاركة في المحاولة الانقلابية أحكاماً مخففة. اعتقل المتهمون في اليوم الذي كان مقرراً أن يقوموا بمحاولتهم، ولو لم يضبطوا لكان هناك احتمال نجاح هذا الانقلاب ذي الاتجاه الناصري. وكانت هذه المحاولة

الانقلابية الأولى واعتُقل أصحابها في ٢٤ كانون الأول/ ديسمبر.

كان هناك إذاً اقتراح بتوسيع مجلس قيادة الثورة. أما الاقتراح الآخر فكان الدعوة إلى انتخابات حرة وديموقراطية وكانت أمامنا تجربة انتخابات الاتحاد الثلاثي الذي ضم سورية ومصر وليبيا. هكذا ظهر في ١٩٧٢ إصرار على إجراء انتخابات وأن يسمح بحرية الصحافة. لكن كل هذه الأحلام دفنت.

■ لم تسمحوا للأحزاب بالعمل؟

ـ أكذب إذا قلت لك إن اتجاهاً ظهر بين الأعضاء لإطلاق عملية الحياة الحزبية. الموقف البارز المؤيد لإعادة الحياة الديموقراطية والبرلمانية كان موقف محمد نجم.

■ هل كان داخل المجلس تيار مؤيد لذلك؟

ـ نعم.

■ ماذا كان موقف القذافي؟

ـ كان معارضاً، وكان يقول عن البرلمان والحياة البرلمانية ما يقوله عنهما الآن. كان يعتبر ذلك هرطقة، وأن الساعين هم طلاب سلطة يظهرون كوطنيين ثم يتبدلون بعد وصولهم، ويتحولون موظفين وانتهازيين همهم الفلوس.

■ كيف كان القذافي يدير اجتماعات مجلس قيادة الثورة؟

ـ الاجتماعات الدورية والعادية كانت تعقد في النهار. أما الاجتماعات المهمة التي تتخذ فيها القرارات فكانت تعقد بعد الثانية فجراً.

▪ هل كانت تحصل خلافات؟

ـ نحن عندنا مثل يقول نبتدئ بلا ونتهي بنعم (يضحك).

▪ ألم تكن لكم ملاحظات على أسلوب العقيد؟

ـ لم تكن هناك إدارة بالمعنى المتعارف عليه، كان يلجأ دائماً إلى مجموعة الضغط المؤيدة له. أسلوبه غريب في الضغط على الأعضاء. كان أول ما فعلناه وهذه مسألة أنهت مجلس قيادة الثورة بعد خلافات شديدة معه ـ أننا كنا متمسكين بأن يكون المجلس مجلساً بالفعل وأن يمثل سيادة البلد، وأن يأخذ أي موضوع يطرح حقه في الدرس والنقاش والمشاورات مع الناس المعنيين بهذه القرارات، وأن لا تأتي هذه القرارات جاهزة. كان معمر يطرح فكرة مع وزارة معينة ثم يأتي القانون جاهزاً إلى المجلس ولا نعرف نحن عنه شيئاً. كنا نرفض هذا الأسلوب ونقول إن الأمر عندما يتعلق بإصدار قوانين أو إعداد قوانين أو قرارات تمس مصلحة الناس ومصلحة المجلس، لا بد من أن نعرف ونعطى فرصة للمشاركة في التشاور، وأن نرجع إلى من يعرف الموضوع قبل أن يبت. هذه الاقتراحات لم تكن تروق له. كان يحب المجيء بالأشياء جاهزة وقد حصلت في المجلس صدامات كثيرة.

■ **هل تبلور وجود مجموعتين داخل مجلس قيادة الثورة؟ ومن كان يؤيد دائماً ومن كان يعارض دائماً؟**

ـ الحقيقة أن مواقف الأعضاء كانت متقاربة، وكثيراً ما كان التأييد يأتي من أجل وحدة المجلس وتفادي الانقسامات والانشقاقات. لذا، حرصاً على المجلس جاءت التنازلات في الغالب من جانبنا نحن. مرات كثيرة جوبه أسلوب القذافي بالرفض وحدث أن رُفضت اقتراحات له.

■ **ماذا كان يفعل في هذه الحالات؟**

ـ من القضايا التي شهدت خلافات، موضوع الوحدة مع مصر ومع السودان ومع مالطا وتونس وغيرها. كان هناك إجماع في المجلس على أن الوحدة ليست قضية معمر القذافي وحده بل قضية كل الليبيين، وأنه لا بد من أن يتخذ بشأنها قرار شعبي لا شعبي ولا سياديّ. وحتى لو اتخذ قرار شعبي يجب أن تتم الوحدة وفق خطوات بطيئة وهادئة. وكان بعض الأعضاء يتحدث عن فترة عشرين سنة.

كان همّنا الأول بعد وصولنا إلى السلطة تنفيذ أفكارنا في ما يتعلق بتطوير ليبيا وبناء نهضة فيها. واعتبرنا أن الأولوية يجب أن تعطى لهذا الهدف وهو تحسين وضع شعبنا اقتصادياً وإنسانياً وثقافياً، وأن يترافق ذلك مع بحث في وضع العلاقات مع الأشقاء للدخول في كونفيديرالية معهم. وكان هناك شبه إجماع على أن ليس هناك ما يدعو إلى الدخول في وحدة تؤدي إلى

تذويب شخصية هذا البلد أو ذاك، فلكل بلد خصائص لا بد من المحافظة عليها، ومن شأن القفز فوقها تعريض أي وحدة للخطر. طبعاً كان هناك اتفاق كامل على عدم التأخر في الوحدة العسكرية، أي وضع القوات العسكرية في البلدان العربية في أعلى درجات التنسيق بينها دفاعاً عن المصلحة القومية أي الوحدة العسكرية، ورفع درجة التنسيق السياسي على طريق وحدة القرارات. لم يكن هناك خلاف على الحسابات الاستراتيجية لجهة ضرورة الدفاع عن قضايا الأمة العربية ومصالحها.

■ هل حصلت صدامات بينك وبين القذافي؟

ـ نعم أول استقالة لمعمر كانت بسبب صدام بيني وبينه.

■ متى ظهر أول خلاف حاد في الرأي؟

ـ في أوائل السبعينيات. استقال القذافي بسبب صدام حصل بيننا وتضامن الأعضاء معي. اختلفنا على اللباس العسكري. كان المطلوب أن يرتدي كل أعضاء مجلس قيادة الثورة الزي العسكري ومعه المسدس. رفضت وقلت أن علينا أن نكفّ عن التصرف كعسكريين وأن نبدأ بالتحول إلى الحياة المدنية. واعتبرت أن اللباس العسكري يخلق نوعاً من الحاجز مع المدنيين ونوعاً من الرهبة يمنعانهم من التحدث معك بحرية.

جئت إلى اجتماع مجلس قيادة الثورة بالثياب المدنية فقال معمر: اما أن يخرج الهوني واما أخرج أنا. لم أغادر فغادر هو

وتعاطف الأعضاء معي. وقد أجتمعنا بعد أسبوع وعيّنا أبو بكر يونس رئيساً لمجلس قيادة الثورة بعدما أرسلنا مرات عدة نطلب من القذافي الحضور. أرسلنا إليه في النهاية: أنك إذا لم تأت فسنجتمع في غيابك، وأقنعتُ الزملاء بأن البلاد يجب أن لا تتوقف لأن القذافي غائب في سرت. اجتمعنا وأصدرنا أول قرار لخطة التنمية باسم أبو بكر يونس كرئيس لمجلس قيادة الثورة. وحين سمع القذافي وهو في سرت، أن قراراً صدر عن رئيس مجلس قيادة الثورة في غيابه طلب السيارة وجاء بسرعة مذهلة، وبعد ثلاث ساعات كان في طرابلس ودعا إلى اجتماع. قال القذافي لأبو بكر يونس: لقد ضحكوا عليك وأرادوا استخدامك ضدي. قال له كلاماً قاسياً. واعتقد أبو بكر، ويا للأسف، أننا خدعناه وعاتبنا. بعدها اجتمعنا واستثنيت أنا من قصة الثياب العسكرية.

■ هل حصلت صدامات بين القذافي وجلود؟

ـ حصلت. ذات يوم قررنا أن يركب جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة سيارات فولكسفاغن، وأن يحصلوا على المرتب نفسه وأن تكون لهم الامتيازات نفسها. كلف القذافي سرية الأمن بأن ترافق سيارة منها سيارة كل عضو من أعضاء المجلس سواء في التحركات داخل ليبيا أو خارجها. شعرنا نحن بأن هذه المرافقة هي لرصد تحركاتنا لا لحمايتنا. كان جلود بين الذين اعتبروا أن سيارة المواكبة هذه مهمتها مراقبة الشخص. اجتمعنا وحصل خلاف مع معمر الذي قال: إذا كانت لديكم شكوك في أحد

فالحل هو أن يختار كل واحد منكم حرسه. هكذا اخترنا حراساً من الجنود الذين كانوا معنا في السابق. لعب جلود دوراً في انتزاع هذه المسألة.

بعد بضعة أشهر قال القذافي: هؤلاء الذين يحرسونكم يجب أن يخضعوا لدورات تدريب وبالتالي لا بد من أن تكون هناك وحدة عسكرية تجمعهم، فأُلحقوا بما كان يعرف بسرايا الأمن. وهكذا عاد الحراس بيد الأمن. وبصفتي مديراً للمخابرات اضطررت إلى رصد مكتب القذافي ومكان إقامته والاستراحة. وكشفت تلك التسجيلات وقائع كثيرة.

■ هل سحبت مسدسك ذات يوم؟

ـ لا، لكن حصلت خلافات كثيرة بيننا. لم نكن نقبل بمرور الأشياء. في الفترة التي كان فيها المجلس موجوداً كان البلد يسير في شكل منظم. في ١٩٧٢ زار القذافي مصر وكان مستقيلاً بعدما اختلفنا معه على مسائل داخلية. أخذ أسرته وسافر. لم نعرف بذلك إلا وهو في المطار. قال للرئيس السادات: أنا جئت لأقيم عندكم كمواطن عادي. فتح له السادات باب الاتحاد الاشتراكي والوسط الثقافي وهيئة تحرير «الأهرام» و«الأخبار» و«روز اليوسف» ومختلف المنابر وأجرى حوارات.

حاول القذافي أن يدرس أوضاع مصر، وكان السادات يريد أن يدرس أوضاع القذافي كشخص. بعد ١٥ يوماً فوجئنا به يرجع

وظلت العلاقة باردة. دعونا إلى اجتماع موسع حضره كل الأعضاء بمن فيهم محمد نجم الذي كان قد ترك المجلس. قبلنا استقالة معمر فرد بالقول: للأسف أنتم لستم منتخبين لأقدم استقالتي إليكم، أنتم فرضتم أنفسكم على الشعب بقوة الكلاشنكوف. قلنا له: أنت أيضاً لست منتخباً، فرد بالقول: أنا أملك تأييداً شعبياً وأريد أن أقدم استقالتي إلى الشعب. كانت هناك ورقة استقالة في يده فقلنا له: أعطنا إياها ونحن نقرأها في الاذاعة أو تقرأها بصوتك إن شئت، فقال: أنا سأقدمها مباشرة إلى الشعب.

هكذا اتفقنا على أن يعقد مؤتمراً شعبياً في زواره لمناسبة ذكرى المولد وأن يعلن فيه استقالته. لم يحضر أحد من أعضاء المجلس باستثناء مصطفى الخروبي ووزير الصحة مفتاح الأسطى عمر. نحن كنا في القيادة باعتبار أنه سيستقيل. الخروبي ذهب، وربما كان أكثر ذكاء منا في فهم شخصية معمر.

وبدل أن يقدم القذافي استقالته، قدم في زواره النقاط الخمس التي تعني إلغاء الدستور والقوانين، أي إلغاء السلطة التشريعية التي كان يمثلها مجلس قيادة الثورة. كنا نحن توزعنا المسؤوليات للسيطرة على الموقف في حال حصول تظاهرات إذا أعلن استقالته. وكان جلود معنا في هذا الموقف. أقول ذلك بأمانة. انتظرنا استقالته وإذ به يعلن الثورة الشعبية الثقافية. وحضر من زواره إلى مقر القيادة العسكرية وعُقد اجتماع للمجلس. سألناه عن الاستقالة فبدأ بإقناعنا بأهمية الثورة

الشعبية لتحرير الشعب من مشاعر الذل والهوان التي رسختها الحكومات الأجنبية. وقال إن هدف الثورة هو تشجيع الشعب على مناقشة السلطة وانتقادها.

قبلنا الفكرة، ووزع معمر المهمات، وقال إن كل عضو سيتولى شؤون محافظة لعقد اجتماعات وإعداد الكوادر والإشراف على برنامج التصعيد وعمل لجان التوعية الشعبية. في تلك المرحلة كانت تجرى انتخابات بلدية وأخرى على مستوى المحافظة، وأذكر أن الفائز في محافظة الزاوية التي كلفت بها كان عنصراً قيادياً في حزب البعث وقد دعمناه كسلطة وكان شخصاً جيداً.

■ هل شعرتم في تلك المرحلة ببدء علاقات بين النظام والحركات المتهمة بممارسة الإرهاب؟

ـ في تلك الأيام لم نكن نعتبر هذه الحركات إرهابية، بل كنا نعتبرها حركات ثورية. أنا شخصياً وعلى رغم أنني توليت رئاسة الاستخبارات، لم أعرف كارلوس أو أبو نضال. تعرفت إلى ياسر عرفات وأبو إياد وأحمد جبريل ونايف حواتمة وجورج حبش. بعد حركة الفاتح كان النظام يعترف بمنظمة فلسطينية وحيدة هي منظمة «فتح»، وهذا يرجع في جزء كبير منه إلى نشاط ممثلها في طرابلس سليمان الشرفه (أبو طارق) الذي كان نشيطاً إلى أبعد حدود. كنا نراه في أي وقت وفي كل مكان. أقنع الشرفه مجلس قيادة الثورة بأن المنظمة الوحيدة التي تقاتل وتكافح هي حركة «فتح». في الأيام الأولى أرسلنا مجموعة من الضباط وتطوعوا في صفوف «فتح». وشارك

هؤلاء في عمليات لكن خارج الأراضي المحتلة، أي في جنوب لبنان.

عندما رجع هؤلاء الضباط إلى ليبيا قالوا إن الثقل العسكري محصور بـ«فتح» وتأتي بعدها «القيادة العامة» التي يتزعمها جبريل ثم «الجبهة الشعبية». من هنا جاءت فكرة دعوة جبريل إلى ليبيا لتقديم الدعم والعون إليه. وللأمانة أقول إن الأخوة السوريين أوصوا خيراً به ونحن أخذنا رأيهم في الاعتبار. قُدمت لجبريل مساعدات عسكرية ولم يكن يحصل في تلك المرحلة على أموال. وكانت حركة «فتح» تحصل على مساعدات عسكرية ومالية.

كان هذا القرار من مجلس قيادة الثورة. وهنا حصلت حادثة: جاء جورج حبش وأطلق الفلسطينيون حملة للتبرع لـ«الجبهة الشعبية»، وعندما علم القذافي أمر بطرد الذين تبرعوا. وأعتقد بأن أكثر من مئتي فلسطيني طردوا، بعضهم نُقل بثياب النوم إلى المطار. في تلك المرحلة كانت لدى القذافي حساسية تجاه الماركسيين.

■ كيف كانت علاقة القذافي بعرفات؟

ـ كانت سلسة. الصدامات كانت مع أبو إياد. كان القذافي يحب أن يأخذ الآخرون برأيه سواء أكان رأيه سياسياً أم عسكرياً. أبو إياد كان صدامياً ويعارض. أبو عمار سياسي وديبلوماسي يسمع ثم ينفذ لاحقاً ما يعتقده لمصلحة شعبه، لا ما سمعه. أبو إياد

كان يعترض على آراء معمر في بعض الفلسطينيين وعلى تقويمه لبعض التنظيمات الفلسطينية. لم يكن القذافي مثلاً معجباً بجورج حبش ونايف حواتمه. كان يقول لأبو إياد إن حواتمه أردني وليس فلسطينياً، وإن حبش وحواتمه من الملحدين. ولم يكن أبو إياد يسكت. كان يسارع إلى الحديث عن وطنية الرجلين ويقول: نحن الفلسطينيين أدرى بأوضاعنا.

■ ما هي أهم الزيارات التي رافقتَ القذافي فيها؟

ـ في تلك المرحلة رافقته في معظم زياراته. في ١٩٧٥، وقبل اجتماع قمة منظمة الوحدة الافريقية في كمبالا، طلب أن أرافقه أنا وعمر المحيشي وعمر الحريري وبشير هواري، أي كل الذين يشك في احتمال قيامهم بحركة ما. أنا كنت مريضاً لا متمارضاً. رفضت بشدة، فشكا أمام أعضاء مجلس قيادة الثورة وقال: كيف أذهب إلى مؤتمر من دون وزير خارجيتي. كنت قد حددت موعداً لدخول المستشفى خارج ليبيا. بعد إلحاحي وافق وقال: تستطيع البقاء في البيت ولكن لا تدخل المستشفى قبل عودتي.

حتى في كمبالا كان يراقب الذين رافقوه، وحصل على تسجيل لحديث بين المحيشي والحريري، وهو حديث عادي، وطبيعي أن يتناول الحديث بينهما الشؤون الليبية. اعتبر القذافي الكلام دليلاً على التنسيق بينهما. أنا لم أعرف أنني مراقب إلا حين أصرّ على اصطحابنا إلى كمبالا. من الملاحظ أنه كان يصطحب معه مصطفى الخروبي وليس غيره، ربما لأن معمر يصطحب دائماً من يخاف أنهم قد يقومون بشيء ضده في غيابه.

■ ألم تكن هناك حركة ما من قبلكم؟

ـ كانت هناك حركة رفض عسكرية لأساليب القذافي وهي تشمل معظم ضباط الجيش. من ضمن الصدامات مع القذافي كانت مسألة التسليح، خصوصاً الاتفاقات التي أبرمها مع الاتحاد السوفياتي وفرنسا.

أعود إلى قصة العلاج. جلست في طرابلس في البيت، وبعد يومين من عودة القذافي من كمبالا سافرت إلى إيطاليا ودخلت المستشفى. وخلال وجودي فيه اتصل بي وقال لي: هناك مؤامرة ويجب أن تأتي إلى البلاد وقد أرسلت إليك طائرة. اتصلت بأعضاء آخرين وعرفت أن نحو ستين ضابطاً اعتقلوا، وأن المحيشي وصل إلى تونس وأن الحريري معتقل.

والحقيقة أنني كنت أفكر في العودة إلى ليبيا ليس بناءً على طلبه، وعلى الفور، بل لدى انتهاء العلاج، أصررت على أن أتابع برنامج العلاج كما هو مقرر. وبما أنني كنت وزيراً للخارجية أبلغني بعض السفراء ـ ولا داعي لذكر أسمائهم ـ أنهم سمعوا عن اتهامات موجهة إليّ مفادها انني متورط في مؤامرة ضد النظام. شعر السفراء بالحرج، فقد كان مقرراً أن أمرّ على بعضهم، فهل يستقبلونني وبأي صفة.

حسب البرنامج كان يجب أن أغادر إيطاليا إلى ألمانيا فبريطانيا ثم ألمانيا، وأستقل طائرة «لوفتهانزا» إلى بيرو حيث كان يعقد مؤتمر عدم الانحياز. عادت الطائرة التي أرسلها القذافي إلى طرابلس.

خرجت من المستشفى واتصلت بعبدالسلام جلود وقلت له إنني سأستمر في برنامجي المقرر سابقاً ولن أعود الآن إلى طرابلس. اتصل بي عدد من الضباط الذين كانوا قيد العلاج في الخارج وراحوا يستفسرون مني عن الوضع في ليبيا، فحدثتهم بأمانة عما أعرفه. رجع هؤلاء باستثناء واحد منهم. وحكى الذين رجعوا أنني أخبرتهم عن حصول اعتقالات وإشاعات.

ذهبت إلى بيرو ثم إلى نيويورك حيث حضرت افتتاح دورة الجمعية العمومية للأمم المتحدة. كان منصور الكيخيا مندوبنا هناك، فطلبت منه أن ينظم لي برنامجاً للتعرف إلى أميركا، فزرت ولايات عدة وقمت بجولة بعدما أبلغت منصور بطريقة غير مباشرة أنني قد لا أعود إلى ليبيا. وعندما رجعت إلى إيطاليا بدت الصورة أكثر وضوحاً.

أعود لأقول كان هناك رأي عام رافض لأساليب القذافي، لكن أحداً لم يتحدث عن مسؤولية محددة في خطة سواء بالنسبة إلي أو بالنسبة إلى عوض حمزة وبشير هواري والمحيشي والحريري الذي كان أميناً لرئاسة مجلس الوزراء.

هناك نقطة لا بد من الإشارة إليها: حصلت بيننا وبين معمر صدامات كثيرة، وكان هو الوحيد الذي ينقل إلى الضباط ما يجري في مجلس قيادة الثورة، لكنه كان ينقل وفق روايته ويصفنا بأننا كعصي في الدواليب. وبعد الاجتماع الذي اخترنا فيه أبو بكر يونس رئيساً لمجلس قيادة الثورة بدأنا نحن بنقل أجواء مجلس قيادة الثورة إلى الضباط. نقلنا إليهم الخلاف في

وجهات النظر على صفقات التسلح. اشترينا من فرنسا أكثر من مئة طائرة ولم تكن لدينا القدرة على استيعابها واضطررنا إلى الإتيان بطيارين غير ليبيين.

كان هناك داخل المجلس اعتراض على عدد الطائرات، وكنا نصر على أن لا تزيد الصفقة على سربين أي ٢٤ طائرة وفي الحد الأقصى ٣٠ طائرة، على أن نستعد لاستيعاب المزيد من الطائرات. كان القذافي ينقل هذا الموقف كأننا ضد المعركة القومية. الصفقة الأخرى كانت مع الاتحاد السوفياتي وهي أكبر بكثير من قدرة الجيش الليبي على الاستيعاب. وعقدت أيضاً اتفاقات مع تشيكوسلوفاكيا وبولندا.

■ متى توقفت علاقاتك مع السلطات في ليبيا؟

ـ كما قلت، رجعت إلى إيطاليا وبقيت فيها حتى ١٨ أيلول/ سبتمبر وسافرت إلى مصر. في اليوم الثالث التقيت الرئيس أنور السادات وشرحت له الموقف كما وصلني، وطلبت منه أن لا يلبي أي طلب من معمر للتدخل من أجل إقناعي بالعودة إلى ليبيا، والطلب الثاني أن أُعامَل كأي مصري من دون أي ميزة. والحقيقة أن الرئيس السادات كان في غاية الشهامة. كان دستور الاتحاد الثلاثي ينص على معاملة الليبي كالمصري والسوري. وعدني أن لا يتدخل أحد في قراري، وقال: تستطيع أن تعتبر نفسك ابناً لي. وهكذا أقمت في مصر.

■ كم مرة التقيت القذافي بعد إقامتك في مصر؟

ـ التقيت القذافي مرتين بعد مغادرتي ليبيا، واحدة في الجزائر وأخرى في مصر. في ١٩٨٧ في الجزائر وفي ١٩٩٠ في مصر.

لماذا التقيته؟

ـ في ١٩٨٧ كانت حساباتي خاطئة في الواقع. لقد تصورت أن معمر لا بد بعد الهزيمة في تشاد، أن يعيد حساباته وترتيب أوراقه وأن يعيد النظر في كل شيء. كانت تشاد هزة كبيرة. أرسل أكثر من شخص بهدف عقد لقاء ويطلب رجوعي إلى ليبيا. طبعاً رفضت فكرة الرجوع ما لم يسبقها اتفاق على نقاط محددة. لم أكن ضد اللقاء وإن لم أعلق عليه آمالاً كبيرة. تدخل الرئيس الشاذلي بن جديد ووجه إلي دعوة وقال إنه لم يلمس أن القذافي يسعى إلى اللقاء من أجل إيقاعي في شرك. وأكد لي أنه سيسعى لدى معمر لتوفير ضمانات في حال قررت العودة إلي ليبيا. وقال: الأكيد أنه لن يتعرض لك على الأقل في الأشهر الأولى. تمسكت بموقفي وهو أن العودة يجب أن يسبقها اتفاق.

التقينا في قصر الرئاسة في الجزائر ودام اللقاء نحو ٣ ساعات. كنا وحدنا وكان مدير الاستخبارات الجزائرية العقيد الأكحل المجذوب في المكتب الملاصق للصالون. بدأ القذافي اللقاء بدعابة وبعتاب أخوي قال: «أنت عبدالمنعم، مش ممكن، تعال كي أشوفك كويس». فرددت: أنت معمر مش ممكن، تعال كي أشوفك إذا كنت مسلحاً. وضحكنا. تكلمنا في كل المطالب. قال لي: الإعلام الغربي شوش أفكارك وغسل

دماغك. اقترح عليّ العودة وفي أي موقع أختار من دون أن يحدد. فقلت له إنني سأرجع وأعمل في السياسة إذا أعدت الديموقراطية والانتخابات. أنا أرجع إلى السياسة من خلال البرلمان وأعارضك. فقال: لو سمع الشعب الليبي أفكارك هذه لضاع أهلك.

بعد ذلك هاجم القذافي الأحزاب والحزبية. أصر على أن أذهب معه إلى ليبيا وأن أحمل من هناك رسالة إلى الرئيس حسني مبارك. رفضت الذهاب إلى ليبيا وقلت له: «حتى لو كنت أنت لا تبيت شيئاً ضدي فأنا لا أثق بالذين حولك، قد أتعرض، وأنا خارج من عندك، لحادث في الطريق. ولنفترض أنك أصدرت قراراً بمنع خروج الليبيين فأين هي المؤسسات التي يمكن اللجوء إليها؟ وأي محكمة يمكن أن تنصف الليبي؟». قال: أنا موجود وأنا أحميك. فأجبت: وحين لا تكون موجوداً؟ تناقشنا طويلاً في هذه النقطة وقلت له إن الحماية تأتي من القانون ومن القضاء.

استوقفتني في اللقاء في الجزائر مسألة، إذ قال لي القذافي: أريد أن أسألك عن علاقتك بأحداث ١٩٧٥ وعمر المحيشي. أجبته: هذه الأحداث وقعت قبل فترة طويلة، ثم أنت الذي يجب أن تقول لي ما هو هذا الموضوع وما هي علاقتي به، فأنت اطلعت على التحقيقات وأنا ليست لدي فكرة عن الموضوع وقد نسيته تماماً.

■ وفي القاهرة؟

ـ كان اللقاء محدوداً واستغرق نحو ٤٠ دقيقة، وكان طلبه الوحيد أن أعود إلى ليبيا. وقال لي صراحة: لو كنت عاوزك لأخذتك. ويقصد أنه قادر على إحضاري بالقوة. وقال لي: الإتيان بعمر المحيشي كلف ٢٠٠ مليون دولار وأنت حتروح فين لو كنت أنا أريدك؟ أجبت: أنت تستطيع أن تأخذني كما أخذت عزت المقريف وجاب الله مطر (اختفيا في القاهرة في بداية التسعينيات) فقال: لا عزت وجاب الله ما فيش، أنا طلبتهم من السلطات المصرية ورفضت أن تسلمهم.

خلال اللقاء حمل بعنف على محمد المقريف (الأمين العام للجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا)، وسأل عن أشخاص من دون أن يلفظ كلمة معارضة في وصفهم. قال: بشير الرابطي ماذا فعلنا له؟ كان رئيساً للمجلس الاتحادي وعاش معززاً مكرماً. طلب الذهاب سائحاً إلى إيطاليا وهرب منها إلى مصر.

وقال القذافي إن ليس لديه مانع من اللقاء مع هؤلاء كأشخاص ليبيين، أي إنه يرفض إعطاء اللقاء معهم طابع الاجتماع مع المعارضة. ونحن كنا نريد أن نلتقيه كمعارضة، أي لماذا لا يسمع أفكار المقريف أو أحد العناصر المؤيدة له؟ هاجم هذه التنظيمات بعنف واتهمها بـ «العمالة» و«الجاسوسية».

لمّح القذافي إلى معلومات يملكها عن علاقة قال إنها بيني وبين وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (السي.آي.إيه). وقال لي ما معناه، إنهم سيستخدمونني ثم يرمونني كورق التواليت. وقال لي: الحوار والكلام معك في ليبيا ويجب أن تأتي إلى طرابلس.

■ لنعد إلى الرحلات التي رافقته فيها؟

ـ في ١٩٧١ كان صالح بويصير قد ترك الخارجية وتوليت أنا الإشراف عليها قبل تعييني رسمياً. خلال تلك الفترة حضر إلى طرابلس وزير المال الكويتي العتيقي حاملاً رسالة إلى معمر من أمير الكويت. دخل الوزير وصافح معمر فبادره الأخير بالقول: «ميزانية أمير الكويت ١٤ مليون دينار. هذا المال للشعب الكويتي». صدم العتيقي ورد: «سيادة الرئيس، إن أمير الكويت يأخذ ١٤ مليون دينار بقرار من مجلس الأمة الكويتي، لكن هناك رؤساء يأخذون ميزانيات الشعوب من دون أن يحاسبهم أحد». والآن من يستطيع أن يعرف أين تذهب ميزانية ليبيا، ومن يعرف الكمية التي يتصرف بها معمر؟

زار معمر المملكة العربية السعودية في آذار/ مارس ١٩٧٤. وخلافاً للأعراف التي تقضي بأن تعد وزارة الخارجية بالاتفاق مع البلد المعني جدول أعمال المحادثات ومشاريع الاتفاقات، اتصل وقال: أنا سأذهب غداً إلى السعودية فأبلغوهم. ذهبنا إلى جدة واعتمرنا، وعلى رغم إننا كنا في مناسك دينية فإنه كان يطوف ويسعى مهتماً بالتفاف الناس حوله.

ذهبنا إلى قصر الضيافة وجلسنا في صالون، وشن معمر هجوماً عنيفاً جداً على مصر والفراعنة وقال إنهم تاريخياً يتجهون إلى الشرق حين يشعرون بالقوة. وتحدث عن إبراهيم باشا ومحمد علي باشا والحملات القديمة. وتحدث أيضاً عن الفراعنة. وقال أن جمال عبدالناصر أخذ اليمن وكان يريد أن يأخذ

غيرها، وكرر تعابير قاسية نقلت عن عبدالناصر.

فوجئنا بالملك فيصل ينهض ويعتذر بلباقة قائلاً: «أنا رجل كبير السن وأتناول أدوية ولا أستطيع أن أتحمَّل اجتماعات طويلة، سنتركك مع الشباب أمثالك»؟

ذهبنا أيضاً إلى بغداد. وهناك تحدث معمر محرضاً الرئيس أحمد حسن البكر على نائبه صدام حسين كما حرّض الثاني على الأول.



عبدالرحمن شلقم



في طريق العودة إلى الفندق بعد منتصف الليل كانت روما تغالب النعاس. لم يلامسني سحر المدينة النائمة على نهر من التاريخ. شعرت بأنني أصطحب معي حشداً من جثث «الكلاب الضالة» والمتفجرات والارتكابات. تذكرت الأحاسيس المشابهة التي غمرتني قبل ثمانية أعوام يوم كنت أحاور من عملوا مع صدام حسين في الحزب ومن عملوا في ظله في عهده الراعب. هذا فظيع. يقتل المستبد بلاده مرتين. الأولى حين يستبيح البلاد والعباد ويسبح في الدم. والثانية حين يحاول اغتيال البلاد والعباد رداً على محاولة اقتلاع نظامه.

في ٢٥ شباط/ فبراير ٢٠١٢ التفت العالم إلى عبد الرحمن شلقم مندوب ليبيا الدائم لدى الأمم المتحدة. أمام أعضاء مجلس الأمن وعلى الشاشات غسل الرجل يديه من نظام معمر القذافي الذي هاله انتقال الربيع

العربي إلى الجماهيرية فسارع إلى قتل المحتجين. قبل أن يوجه هذه الضربة إلى النظام كان شلقم، الذي تولى حقيبة الخارجية في بداية القرن الحالي وعلى مدى تسعة أعوام، قد شارك في عملية تأهيل النظام وإعادته إلى الأسرة الدولية حين بلور صيغة لتعويض ضحايا لوكربي وطي ملف أسلحة الدمار الشامل.

يعرف شلقم القصة من بداياتها. في ١٩٧٤ كانت مهمته أن يحمل إلى القائد كل صباح ملخصات الصحف واقتراحات الرد عليها ورافقه مرات كثيرة في أسفاره، في الداخل والخارج. عمل في صحف ليبية وفي وكالة الجماهيرية وتولى في ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ حقيبة الإعلام.

في روما كان الموعد مع شلقم. قال إنه لا يريد أي دور في ليبيا الجديدة وإن مطلبه الوحيد الباقي أن ينام في قبر في ليبيا حرة. خزائن عهد القذافي الطويل وكشف محطات سياسية وأمنية:

■ متى عملت مع معمر القذافي للمرة الأولى مباشرة؟

ـ عام ١٩٧٤، وكنت تخرجت قبل سنة في قسم الصحافة في جامعة القاهرة. عملت في البداية في قسم التحقيقات في صحيفة «الفجر الجديد» وهي الصحيفة الأولى في ليبيا آنذاك.

ثم أممت الصحافة فعملت سكرتيراً للتحرير في صحيفة «البلاغ» اليومية. بعدها عملت لأشهر في مطبوعة شهرية اسمها «الوحدة العربية»، وكانت اسماً على مسمى كما يقال، ثم انتدبت للعمل مسؤولاً عن القسم الإعلامي في مجلس قيادة الثورة. بهذه الصفة كنت أول من يدخل إلى مكتب معمر ومعي ملخصات لأبرز الأنباء المحلية والدولية واقتراحات بالردود أو التعليقات. وكان أحياناً يدخل إلى مكتبي المتواضع في ثكنة باب العزيزية قرب منزله الذي قصفته الطائرات الأميركية في ١٩٨٦. وفي ١٩٧٥ عينت رئيساً لتحرير «الفجر الجديد».

■ كيف تصف شخصية القذافي في تلك المرحلة؟

ـ كان شخصاً بسيطاً جداً. وكنت أرافقه أحياناً في رحلاته إلى البر والمناطق. كان موكبه عبارة عن ثلاث سيارات لاندروفر وعدد محدود من الحراس. كان بسيطاً في مأكله ولباسه وتعامله. ذات يوم دخل مكتبي وكنت أستمع إلى أوبرا «عايدة» لـ «فيردي». فوجئت به يصل مرتدياً لباساً رياضياً. أغلقت آلة التسجيل فطالب بإعادة تشغيلها. وضع يديه خلف رأسه ونظر إلى السقف وأغمض عينيه وراح يستمع. فرحت أنا المولع بالموسيقى، وفكرت في نفسي أن هذا الرجل البسيط المتواضع يمكن أن يجعل من ليبيا معزوفة وسمفونية. كان نحيفاً ومباشراً ومتواضعاً ولا يحب البهرجة والمواكب. ثم خرج ولم يقل لي شيئاً.

ذات مرة ذهب إلى وادي زمزم في الصحراء في وسط ليبيا.

التحقت به مع سائق لأطلعه على بعض المسائل الإعلامية. وجدناه في أحد الوديان وكان الوقت بعد العشاء. أحضروا لي عشاء بسيطاً، فأصر على أن يقوم شخصياً بسكب الماء على يدي. حاولت أن أعتذر، فردّ بصوت مرتفع: أنت ضيفي وأنا أسكب الماء لتغسل يديك. لم تكن السلطة قد أفسدته بعد. ولك أن تتخيل ما يمكن أن تفعله السلطة في غياب المؤسسات. كنا أحياناً نعقد جلسات أدبية.

■ كيف مثلاً؟

ـ كنا في الصحراء وكان الرئيس الحبيب بورقيبة يخطب. كان الرئيس التونسي يذكّر بأحداث وقعت في الثلاثينيات أو الأربعينيات وراح القذافي يضحك. قلت له: أنظر إلى الفرق بينكما، هو ينتمي إلى الماضي وأنت تنتمي إلى المستقبل. هو يتحدث عن ذكرياته وأنت تقول سنبني مدارس ونشق طرقات وننشئ مصانع.

كنا نتحدث أيضاً عن الشعر الشعبي والحكم الشعبية أو الشعر العربي، وكنت أحفظ قصائد للمتنبي وغيره. القذافي يحب الشعر العمودي وبالتحديد شعر الحماسة والبطولة مثل معلقة عمرو بن كلثوم وقوله:

ملأنا البر حتى ضاق عنا　　وظهر البحر نملأه سفينا».

وقوله:

«إذا بلغ الفطام لنا صبي　　تخرّ له الجبابر ساجدينا».

■ هل كان يحب المتنبي؟

ـ كان يحب الشعر العباسي عموماً. كان يحب أيضاً أبا تمام والبحتري. القذافي لا يحفظ الشعر لكنه يستمع. إنه بالمناسبة مستمع جيد يمكن أن تتحدث أمامه لما يزيد على الساعة من دون أن يقاطعك. وهو يحاول أن يكتب ولعله يحب أن يكون كاتباً.

قبل نحو ثمانية أعوام طرحت فكرة برشلونة في شأن التعاون في المتوسط. عارض القذافي بشدة وكنت أنا شديد الحماسة للفكرة. استدعاني ذات يوم باكراً، وليس من عادته أن يصحو باكراً. كان معي سفيرنا في بروكسيل حامد الحضيري. سألني: لماذا تتمسك بأن نكون مراقبين في عملية برشلونة؟ أجبت: إذا لم ندخل فقد تقفل الأبواب في وجهنا لاحقاً، أما إذا دخلنا كمراقبين فنستطيع أن نخرج لاحقاً إذا رأينا مصلحتنا في الخروج. واستشهدت بما قاله محمد مهدي الجواهري في رثاء الرئيس جمال عبدالناصر:

«أسفي عليك فلا الفقير كفيته   فقراً ولا زدت الغني غناء
قد كان حولك ألف جار يبتغي   هدماً ووحدك من يريد بناء».

ويقول الجواهري أيضاً:

«ينقض عجلانا فيفلت صيده   ويصيده لو أحسن الإبطاء».

أعجبه البيت الأخير فطلب مني أن أعيده ثم قام بكتابته.

حتى عندما عملت في «الفجر الجديد» كان يصر على أن أرافقه

في بعض رحلاته. كان لـ «الفجر الجديد» ملحق اسمه «الأسبوع الثقافي» وكان يرأسه الكاتب الروائي الكبير أحمد إبراهيم الفقيه. ثم أنشأت «الأسبوع السياسي». كان القذافي يحب أيضاً طرائف الخلفاء وأخبار الظرفاء.

■ بمن كان معجباً في تلك الفترة؟

ـ أقول بأمانة إن معمر القذافي لا يمكن أن يُعجب بأحد. إذا قلت أمامه قصيدة للمتنبي، عليك أن تتفادى المقطع المتعلق بسيف الدولة. يغار من سيف الدولة كأنه يعتقد أنه وحده يستحق المديح. يتقبل الأبيات العامة التي لا تتناول شخصاً بعينه. مثلاً يعجبه:

«لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم».

لكن أن يشبّه المتنبي سيف الدولة بالبدر وأنه يلتهم الجيوش، فهذا لا يريحه.

■ تقصد انه لم يكن معجباً كثيراً بعبدالناصر؟

ـ لو استمر عبدالناصر حياً إلى ١٩٧٢ لكان أكبر عدو لمعمر القذافي.

■ لماذا؟ ألا يتسع العالم إلا للاعب وحيد؟

- تحليلي في ضوء خبرتي الطويلة معه أن السبب هو الوسط الذي جاء منه. جاء معمر من صحراء سرت فقيراً ضعيفاً جائعاً محتاجاً. طفولته صعبة. كان والده راعياً فقيراً في واد. وكان

معمر يأتي للدراسة في سرت. يسير يومياً نحو عشرة كيلومترات. لم يكن لديه إخوة ذكور. له شقيقتان. أحياناً كان يجد سيارة تعيده إلى بيته وحين لا يجد كان ينام في المسجد. ثم انتقل إلى سبها حيث تسيطر أسرة سيف النصر وهي في موقع الزعامة في قبيلة أولاد سليمان. والقذاذفة من أتباع عائلة سيف النصر. جاءت مجموعة كبيرة من سرت وأُسكنت في القسم الداخلي. وذات يوم تسبب القذافي في بعض المشاكل فأقدم أحد أفراد عائلة سيف النصر وهو «الباي» محمد سيف النصر على ضربه ضرباً مبرحاً. هكذا ولدت لديه عقدة الاستضعاف والاضطهاد. سمع بشخصية عبدالناصر فأعاد إنتاجها وتمثيلها أمام الطلاب وكأنه يحتمي بتلك الشخصية. احتمى الشاب الجائع المضطهد الخائف بشخصية عبدالناصر وكأنه وجد فيها طوق نجاة. لهذا كانت له مع عبدالناصر علاقة حب وتحسس في آن معاً. بعد وصوله إلى السلطة بدأ الوضع يختلف. كان عبدالناصر مهزوماً ولا يملك مالاً. في المقابل، القذافي لا علاقة له بالهزيمة ونجح في تغيير الوضع في ليبيا وهو يملك مالاً. ثم إن عبدالناصر كان مضطراً إلى أن يطلب مالاً من القذافي. اعتبر معمر انه هزم الملكية وطرد القواعد البريطانية ولأميركية وطرد الإيطاليين. هنا جاء بعض الكتّاب والصحافيين المشارقة وبدأوا إقناعه بطرق مختلفة بأنه أهم من عبدالناصر. إنهم أقلام تشبه الشقق المفروشة ويستأجرها الحاكم الذي يملك مالاً. استمرأ معمر اللعبة وفيض المدائح. ثم جاء كثيرون من مشارق الأرض ومغاربها ليقولوا له: «أنت

غيفارا مضروباً بمئة مرة». طبعاً كان مجرد التشبيه بغيفارا يعتبر مديحاً، فكيف إذا كان الممدوح يوصف بأنه أهم منه بمئة مرة.

لو عدت بالذاكرة لعرفت الفارق. عشية الثورة في أول أيلول/ سبتمبر ١٩٦٩ كان القذافي مجرد ملازم أول مجهول. فجأة وبين عشية وضحاها صار مالئ الدنيا وشاغل الناس.

■ **هل تقصد انه كان القائد الفعلي للثورة؟**

ـ طبعاً. هو من فكر فيها وخطط لها وقاد تنفيذها بعد سنوات من التآمر والبحث عن فرصة. شخصيته غريبة. حين كان طالباً كان شبه قديس. يواظب باستمرار على الصلاة والصيام. استقامته وورعه كانا مصدر إحراج لرفاقه الذين لا يتمتعون بالقدر نفسه من التمسك بهذا السلوك. كانوا لا يلعبون الورق في حضوره، ويطفئون السجائر إذا وصل. والأمر نفسه كان في الكلية الحربية. كان متديناً وثمة من سمّاه الفقيه.

■ **هل هو قارئ؟**

ـ نعم. يحب قراءة كتب التاريخ. أخبرني زملاؤه انه قرأ وهو في الثانوية كتاب «الأمير» لمكيافيللي، كما قرأ كتابات ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث وكتب جمال عبدالناصر وقسطنطين زريق.

■ **هل كان يكره الرئيس أنور السادات؟**

ـ كان يعتبر أنه أحق منه بحكم مصر. تعرف أن عبدالناصر قال

للقذافي: انت أمين على القومية العربية. ثم كانت هناك روايات عن أن السادات تلكأ ليلة حدوث الثورة وذهب إلى السينما وأشياء من هذا القبيل. وأن السادات لا يملك مؤهلات القيادة. يضاف إلى كل ذلك موضوع المال. لهذا السبب كان القذافي يتكبر على السادات. وكان يغدق عليه الوعود ثم يربط ذلك بشروط من نوع قطع العلاقات مع السعودية أو مهاجمة الملك حسين أو الدخول في وحدة مع ليبيا. كان السادات يتضايق من أسلوب معمر. بدأت بينهما علاقة حب وكره، وراح منسوب الكراهية يرتفع إلى أن حصل الصدام العسكري على الحدود في ١٩٧٧.

■ وعلاقته بالرئيس حسني مبارك؟

ـ كان معمر يعرف حسني مبارك يوم كان الأخير نائباً لرئيس الجمهورية ولم يكن يحترمه. كان يعامله بفوقية. في السنوات العشر الأخيرة قام بينهما نوع من التحالف وكان يقدم لمبارك دعماً غير محدود.

■ لماذا؟

ـ مجموعة اعتبارات. خذ مثلاً: معمر أقر راتباً شهرياً للرئيس التونسي السابق زين العابدين بن علي. وكان يقدم مساعدات لمبارك واشترى له طائرة. كان يدعمه بكل الطرق.

■ لكن لماذا الراتب الشهري لبن علي؟

ـ لأنه أمّن له الحدود الغربية التي استخدمتها المعارضة الليبية

أيام الرئيس الحبيب بورقيبة وحاولت مهاجمة باب العزيزية لإطاحة معمر. حصل تنسيق أمني مطلق بين البلدين. ذات يوم أخفى مدير الأمن في تونس القنزوعي بعض المعلومات عن الأمن الليبي فشكا الأخير. ذهبنا أنا وموسى كوسى، فكان رد بن علي: «مدير الأمن عندي ولا يتعاون جيداً مع ليبيا»، واتخذ بحقه إجراءً فورياً. الأمر نفسه كان بين ليبيا ومصر وحصل تكامل أمني. معمر كان شديد الاهتمام بالجانب الأمني، خصوصاً ما يتعلق بالتنظيمات الإسلامية التي كانت فزّاعة للأنظمة الثلاثة.

■ **تقصد وجود تعاون وثيق بين أجهزة الأمن في ليبيا ومصر؟**

ـ طبعاً. عمر سليمان مدير الاستخبارات المصرية كان يعتبر مندوب ليبيا في مصر. وكان يتولى شخصياً العلاقة بين البلدين وليست وزارة الخارجية المصرية.

■ **هل دفع وزير الخارجية الليبي السابق منصور الكيخيا ثمن هذا التعاون؟**

ـ كان إبراهيم البشاري، رحمه الله، سفير ليبيا في مصر ومندوبها لدى الجامعة العربية. وكان منصور الكيخيا رجلاً مسالماً وطيباً إلى حدود السذاجة، وكان صديقي. الكيخيا رجل مثقف وليبرالي وصريح وقومي. راح يتردد على مصر من دون حراسة ومن دون أن يتنبه إلى عمق العلاقة بين أجهزة البلدين.

وكان العميد محمد المصراتي مديراً للمباحث الليبية، أي الأمن الداخلي. كان لدى إبراهيم البشاري منزل على النيل قرب منزل أنور السادات وعلى مقربة من الشيراتون. اتصلوا بمنصور وقالوا له نريد أن نحكي معك. وافق المسكين وذهب. قُبض عليه هناك وسُلّم إلى الأمن المصري الذي نقله سراً إلى طبرق حيث كان في انتظاره عبدالله السنوسي عديل القذافي. أصعدوه إلى طائرة ونقلوه إلى سجن أبو سليم الذي شهد مجزرة في ١٩٩٦ قتل فيها ١٢٨٦ شخصاً. هناك من قال إن الكيخيا قتل في المذبحة التي شهدها السجن، في حين قال آخرون إنه مات بفعل المرض ونتيجة معاناته من السكري والقلب والضغط.

■ **هذا يعني انه لم يقتل في بيت البشاري في القاهرة؟**

ـ لا. أُحضر إلى ليبيا وشوهد في سجن أبو سليم حيث أُخضع لتحقيقات طويلة. الأمن المصري سلم أيضاً سياسياً ليبياً اسمه جاب الله مطر. القذافي كان يدفع مبلغاً من المال مقابل كل معارض يسلّم إليه. وهذا يصدق أيضاً على عمر المحيشي العضو السابق في مجلس قيادة الثورة.

■ **ما هي قصة المحيشي تحديداً؟**

ـ سلّمته أجهزة الملك الحسن الثاني إلى الليبيين في مقابل ٢٠٠ مليون دولار، وأُحضر بطائرة إلى ليبيا وذُبح كالخروف. ذبحه سعيد راشد الذي قتل في بداية الأحداث الحالية. وتردد أن المعتصم نجل القذافي كان غاضباً منه فقتلوه مع ابنه وابن

أخيه. طبعاً المحيشي اتهم بمحاولة انقلاب ١٩٧٥ وفرّ إلى مصر. عندما ذهب السادات إلى القدس، شتم المحيشي السادات وطرد من مصر فذهب إلى المغرب. كان القذافي يدعم جبهة البوليساريو، وكان الحسن الثاني يخطط مع حسين حبري رئيس التشاد لتشكيل قوات في تشاد بدعم من المغرب والعراق لمهاجمة نظام القذافي من الجنوب. ثم حدثت صفقة ودفع معمر ٢٠٠ مليون دولار، إضافة إلى حمولة ناقلتي نفط، وتطور الأمر إلى إعلان إطار تعاون بين البلدين. نقل المحيشي وذبحه سعيد راشد الذي كان مهندس إلكترونيات، لكنه كان يعمل مع الأمن وكان من المكلفين بعمليات القتل.

■ **استهدفت الاغتيالات أشخاصاً آخرين؟**

ـ نعم، تمت تصفية معارضين في الخارج مثل المحامي محمود نافع في لندن، ومحمد أبوزيد ومحمد مصطفى رمضان في لندن أيضاً، وعزالدين الحضيري في إيطاليا ورجل من آل العارف، وقتل أشخاص في ألمانيا. كانوا يطلقون على هؤلاء تسمية «الكلاب الضالة». وقتل كثيرون في الداخل، بينهم عامر الدغيص قائد حزب البعث في ليبيا.

■ **من كان مسؤولاً عن عمليات القتل؟**

ـ «اللجان الثورية» وجهاز الأمن الداخلي وجهاز الأمن الخارجي.

■ **هل كان يستخدم مجموعات غير ليبية في التنفيذ؟**

ـ لا شك في أن الأجهزة الليبية استخدمت صبري البنا (أبو نضال) زعيم «فتح ـ المجلس الثوري» وكارلوس ومجموعات أخرى. سمعت في تلك المرحلة رواية تقول إن مجموعة فلسطينية استُخدمت في اغتيال صاحب مجلة «الحوادث» سليم اللوزي بعدما وضع غلافاً في المجلة بعنوان «العقدة والعقيد» وأنه طلب من المنفذين غمس يد اللوزي بالأسيد قبل قتله ليكون عبرة لمن يهاجم القذافي.

■ **ماذا عرفت عن قصة اختفاء الإمام موسى الصدر رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان ورفيقيه في ١٩٧٨؟**

ـ هنا سأقول روايتين: واحدة قبل الانتفاضة الليبية الحالية والثانية بعد اندلاعها. في ١٩٨٧ كنت سفيراً في روما. كان هناك صحافي في صحيفة «لاريبوبليكا» اسمه مجدي علام، انتقل الآن إلى صحيفة أخرى واعتنق المسيحية وسمّى نفسه كريستيانو علام. طلب علام أن يعرف شيئاً عن قصة الإمام الصدر. وكان هناك الحاج يونس بلقاسم، رحمه الله، وهو كان مديراً للاستخبارات الليبية حين زار الصدر ليبيا. ثم عيّن بلقاسم في ألمانيا وهو كان عقيداً في الشرطة في العهد الملكي، ويقال إن الألمان جنّدوه في الحرب العالمية الثانية وتعاون معهم. وحتى أثناء عمله في الاستخبارات الليبية كانت له علاقة بالألمان وطُلب منه أن يكون منسق العلاقات الأمنية معهم. جاء بلقاسم إلى إيطاليا، وكان معي إبراهيم البشاري

وزير الخارجية ومدير الاستخبارات. قلت لبلقاسم: أخبرني عن قصة الصدر، فقال: أشك في أن يكون أبو نضال قد قتله، مشيراً إلى أن عشرات الجثث عثر عليها تحت أرض الفيلا التي كان أبو نضال يقيم فيها. سألته: لماذا يقتل أبو نضال شخصية متعاونة مع المقاومة؟ فأجابني: أبو نضال شخص مجنون.

خلال الجلسة لمّح بلقاسم إلى رواية أخرى مفادها أن الصدر حصل على مساعدة من ليبيا تزيد على مليوني دولار سلّمت إليه خلال الزيارة، وأن طرفاً في ليبيا باعه وأبلغ المافيا في إيطاليا بأنه يحمل مبلغاً كبيراً فخطفته وقتلته واستولت على المال. طبعاً إيطاليا كانت مضطربة في تلك الفترة. وقال بلقاسم تلك الرواية لعلام.

بعد الانتفاضة الليبية استمعت إلى رواية أخرى تقول إن الإمام الصدر قتل في ليبيا لأنه اصطدم بالقذافي خلال استقبال الأخير له وقال له: أنت لا تفهم في الإسلام. لا أريد أن أقول من أورد لي هذه الرواية، لكنني سمعت أنه قتل على يد أحد الضباط المقربين من القذافي ودفن سراً في طرابلس. وثمة من قال إن الضابط لاحظ انزعاج القذافي من ضيفه فلجأ إلى تصفية الضيف لأنه تجرأ على القائد. طبعاً كانت محكمة إيطالية تحدثت عن أن الصدر دخل إيطاليا وبجواز سفره، لكن الشخص الذي مثّل دور الصدر لم يكن شبيهاً فعلياً له. وجرى لاحقاً تداول اسم الليبي الذي لعب هذا الدور وملامحه ليست قريبة جداً من ملامح الصدر. يونس بلقاسم مات في الإقامة

الجبرية واتهم بالخيانة، لكن هذه الأشياء قد تظهر بعد سقوط النظام.

■ ما هي الأسباب التي تدعو القذافي إلى اتخاذ قرار بقتل شخص ما؟

ـ متابعة سلوكه تقود إلى استنتاج طريقة تصرفه. إنه يأمر بقتل من يتآمر عليه ويحاول أن يسقطه ولو كان من أقرب الناس إليه، كما حصل مع العقيد حسن اشكال.

■ ما هي قصة اشكال؟

ـ هذا ابن عمه، وكان من فريق القتلة، لكن قيل إنه كانت له اتصالات مع الأمن الفرنسي وأن هذه الاتصالات ضبطت. طلب القذافي من أحد أقاربه أن يقتل اشكال، وهذا ما حصل. القذافي لا يتهاون أبداً مع من يقترب من الكرسي. الثاني في لائحة القتل هو من يتطاول على شخصه. لا يقبل أن تشوّه صورته أو سمعته. إذا ارتكب ليبي شيئاً من هذا النوع، فإن القذافي مستعد لدفع ثروة من أجل تصفيته. الثالث في لائحة القتل هو من يتطاول على عائلته. الاتهامات الثلاثة لا يمحوها إلا الدم. حين يسقط النظام سنعرف بالتأكيد مصير مئات من الليبيين يحيط الغموض بظروف اختفائهم أو مقتلهم. وهناك اغتيالات حصلت في الخارج ولم يُسلَّط عليها الضوء.

هناك مرحلة تمتد من ١٩٧٥ إلى بداية التسعينيات كان معمر القذافي فيها عنيفاً جداً في تعامله مع الداخل والخارج. ألقى

في مطلع الثمانينيات خطبة أطلق فيها عملية تصفية من سمّوا «الكلاب الضالة». قال في الخطاب: «سنقتلهم. وسنسبي نساءهم. ونيتّم أطفالهم. ونرمّل زوجاتهم». ألقى الخطاب أمام مئات الآلاف وكان مرعباً.

▪ هل تعتقد بأنه كان وراء التصفيات التي نفذها أبو نضال في حق مندوبين لمنظمة التحرير الفلسطينية في بعض العواصم؟

ـ لا أريد أن ألقي كل شيء على القذافي، لأننا نقف اليوم في الصف المعارض له. كان يموّل أبو نضال وهذا ليس سراً. وكان يستخدمه وهذا معروف. أما استهداف هذا الاسم الفلسطيني أو ذاك، فقد تكون فيه حسابات فلسطينية داخلية أو حسابات أخرى. اهتمام القذافي يتركز على سلامة نظامه ومخططاته. القتل ليس عملية مجانية. أحياناً تتداخل حسابات الجهات والأجهزة.

▪ كيف كانت علاقة القذافي بالرئيس السوري الراحل حافظ الأسد؟

ـ كنت وزيراً للإعلام في ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ وعرفت عدداً من المسؤولين السوريين في تلك الفترة. كانت قصة الصمود والتصدي هي المطروحة وكان السادات هو الخصم الأول. وكانت سورية مفتاحاً مهماً في هذا الموضوع. سورية تمسك بالقرار في لبنان أيضاً، وهو إحدى الساحات التي استخدمت في هذه المعركة آنذاك. كانت سورية تريد الإفادة من القذافي.

وكان القذافي يريد الإفادة من سورية. ظهرت اختلافات أو تباينات لكن لم تحصل صدامات. الأسد كان ذكياً في استيعاب معمر وهذا ما سمح له باستعماله. وكان لدى القذافي نوع من التهيب حيال الأسد.

■ وعلاقته لاحقاً مع الرئيس بشار الأسد؟

ـ لم تكن العلاقة جيدة، وكان القذافي يتكلم على الأسد في غيابه بنوع من التهكم ويعتبر أن من واجب بشار أن يطيعه. وحين كنت أطرح ضرورة تعزيز التعاون الاقتصادي مع سورية لم يكن يظهر حماسة. حضرت لقاءات عدة بين الرجلين خلال مشاركة القذافي في القمة العربية التي عقدت في دمشق.

للأمانة أقول إن بشار الأسد اهتم بإحاطة القذافي بكل ما يلزم من الاحترام. قاد السيارة بنفسه وكان يرتدي بنطلوناً من الجينز وأخذنا إلى مطعم. في الليل بقيت قليلاً مع القذافي واقترحت عليه أن نقوم بمشروع تعليمي وثقافي في سورية وأن نساعدهم في مشروع للإسكان، وأن ذلك أفضل لنا من أن نقدم المساعدات لدول بعيدة في آسيا. لاحقاً درست الموضوع مع رئيس الوزراء البغدادي المحمودي وأقلع المشروع. كانت هناك أيضاً وديعة قديمة قيمتها نصف بليون دولار وضعت لدعم سعر الليرة السورية، وأنكر الأشقاء في سورية في البداية وجودها لكن عثر على الوثائق لاحقاً وقلنا نعيد استثمارها في سورية. وهذا ما حصل.

■ كأنك تشير إلى أن العلاقة بين الزعيمين لم تكن جيدة؟

ـ دعني أحكي لك السبب. كان القذافي يتعاطى مع رئيس تانزانيا كوكويتا. شكا إلي الرئيس، وعمره ٦٣ سنة، أن القذافي يخاطبه قائلاً له: «يا ابني». كان يستخدم الأسلوب نفسه في مخاطبة العاهل المغربي الملك محمد السادس الذي كان أيضاً يتضايق. الشيء نفسه بالنسبة إلى الملك عبدالله الثاني والرئيس بشار الأسد. تصور أن القذافي يقول: «يا ابني يا أوباما». الحقيقة أن هذه الصيغة من القذافي كانت مقصودة لممارسة نوع من الفوقية وتأكيد أنه الطرف الأكثر أهمية أو خبرة.

■ وعلاقته بصدام حسين؟

ـ صدام كان شرساً مع القذافي. في إحدى القمم العربية قال له: أخ معمر ماذا سميت ليبيا؟ الجماهيرية العربية وايش اعطيني العنوان الكامل؟ طبعاً هذا الكلام رسالة استخفاف علنية. القذافي كان يخشى صدام حسين لأن الأخير صاحب شخصية صدامية. تحولت العلاقة إلى كراهية شديدة. هذه الكراهية كانت أصلاً وراء قيام القذافي بتسليم إيران الصواريخ التي استخدمتها في دك المدن العراقية.

الحقيقة أن بعد غياب عبدالناصر اعتقد كثيرون أن الكرسي فارغ. إخواننا في الخليج لم تكن لديهم فكرة الزعامة القومية. يهتمون بمنطقتهم وبالشؤون العربية والإسلامية لكن ليس لديهم

مشروع زعامة على مستوى الأمة. حتى الملك فيصل بن عبدالعزيز لم يقدم نفسه كزعيم وحيد للأمة العربية. الإخوة في المغرب العربي لم يخوضوا أيضاً حرب الزعامة العربية الشخصية. السباق كان دائماً من اختصاص الذين يرفعون الشعارات القومية. السادات خرج من سباق الزعامة حين اختار طريق كامب ديفيد. حافظ الأسد كان يمارس في الزعامة قدراً من الواقعية. بلاده ليست غنية والزعامة تحتاج إلى إنفاق لشراء الضمائر المفروشة التي تشبه الشقق المفروشة. الأسد بسبب أوضاع بلاده كان يقبض ولا يدفع. هذا لا يلغي أن الأسد كان رقماً مهماً في معادلة المنطقة بسبب استثماره أهميةَ موقع بلاده وكذلك بسبب حنكته ومحاولته جمع أكبر عدد من الأوراق خارج حدوده كلبنان والموضوع الفلسطيني. إذاً، بقي في السباق صدام حسين ومعمر القذافي. الأول بعثي والثاني ناصري، ولدى كل منهما المال لشراء حلفاء ومؤيدين ومدّاحين. وجاء موضوع إيران فاختلفا.

بدأ السلوك الثأري يتخذ بعداً جديداً. راح القذافي يدعم أكراد العراق، وجاء قادتهم مرات إلى ليبيا. ثم دعم المعارضة العراقية. رد العراق بدعم تشاد ضد ليبيا. ثم استقبل المعارضة الليبية وساعدها وأنفق عليها. يضاف إلى ذلك أن معمر كان قلقاً من حزب البعث ولهذا قتل مسؤوله في ليبيا عامر الضغيص.

■ وعلاقة القذافي مع إيران؟

- من أسبابها كراهيته لصدام حسين، ورفع إيران شعارات

معادية لأميركا واعتقاده أنه يمكن أن يستفيد من الثورة الإيرانية، وأنه قد يستطيع إعداد مشروع يزاوج فيه بين ما يعتبره فكره الأممي والفكر الشيعي. كان القذافي يسوّق أيضاً أنه من أحفاد موسى الكاظم أحد أئمة الشيعة. وحين استُهدف بعض المراقد في العراق أرسل مساعدات ووفداً من قبيلته. وهناك عنصر آخر وهو أنه كان يأمل استخدام ورقة إيران لإزعاج الدول العربية في الخليج وابتزازها.

■ هل تقصد أنه قدم الصواريخ لإيران مجاناً؟

ـ نعم.

■ كيف كانت علاقته بياسر عرفات؟

ـ قبول القذافي بالآخرين مرهون باستعدادهم للتبعية له أو بحاجته المصلحية لهم. ما عدا ذلك لا يقيم شأناً لأي علاقة. إما أن تجلب له منفعة أو تدفع عنه ضرراً. هذا يتعلق بالأفراد وبالدول أيضاً. علاقته بعرفات كانت قلقة. لعرفات وهج حامل القضية والقذافي يريده تابعاً لأنه يدعمه مالياً، وعرفات زئبقي ويريد توظيف كل العلاقات في خدمة قضيته. كنا في سرت وجاء عرفات في وقت كانت منظمة التحرير تعيش أزمة مالية خانقة. طلب مساعدة من القذافي فردّ عليه بالقول: «أنا لا أحكم في ليبيا ولا أستطيع أن أدفع أموال الليبيين ولدينا مشاكل كثيرة. لماذا لا تذهب وتتحدث أمام مؤتمر الشعب العام (البرلمان)». في السر أعطيت تعليمات لبعض أعضاء البرلمان

لمهاجمة عرفات. إنها لعبة من ألعاب القذافي كي يُشعر الآخرين بالحاجة إليه.

جاء ياسر عرفات مرة بعد فشل محادثاته في كامب ديفيد وكنت وزيراً للخارجية. كان محمود عباس (أبو مازن) مع عرفات. دخل الرئيس الفلسطيني فبدأ معمر يشتم أبو مازن: «أنت خائن. أنت صنعت اتفاق أوسلو. يجب أن تقوم بانتفاضة كي تكفّر عن ذنوبك». هذا قبل المصافحة. عرفات كان بارعاً. راح يبتسم ويشجع القذافي ويقول له: «يستاهل أكثر». طبعاً إنها براعة عرفات الذي يعرف طِباع القذافي وألاعيبه.

جلسنا وتحدث ياسر عرفات. كان معمر مستهتراً وغير منتبه ثم قال لعرفات: «ما فيش حل مع الصهاينة إلا الحرب. الأميركان معاهم. أنت يجب ألا تكون النسخة الثانية من السادات وألا تعمل اسطبل داود (كامب ديفيد)». كان معمر يتندر كثيراً على عرفات في غيابه. مثلاً قال مرة إن عرفات كان يصلي والتلفزيون يصوره وإن نايف حواتمة (الأمين العام للجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين) قال للمصور: إذا لم توقف التصوير فإن عرفات مستعد أن يصلي حتى الصباح.

■ **من كان يحب من المسؤولين الفلسطينيين؟**

ـ كان يحب أحمد جبريل (الأمين العام للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة). كان جبريل من أتباعه ويعمل معه. القذافي استعمل جبريل. وجبريل استعمل القذافي. طبعاً مع الالتفات إلى أن جبريل موالٍ لسورية أولاً وأخيراً. شطارة جبريل أنه لم

يكتفِ بإقامة علاقة مع القذافي وحده. أقام علاقة مع أبوبكر يونس جابر وزير الدفاع وقائد الجيش ومع عدد من الضباط. هذا هو الفارق بين جبريل ومسؤولين فلسطينيين آخرين كانوا يكتفون بمقابلة القذافي والحصول على مساعدة والمغادرة. كان جبريل يعزف على الوتر الذي يحبه القذافي ويتحدث عن العقيد كمناضل كبير وقائد.

■ هل موّل الانشقاق داخل حركة «فتح» في ١٩٨٣؟

ـ نعم، هو قدم دعماً مالياً وكان قدم السلاح، وبالتأكيد كانت سورية متعاطفة مع هذه الحركة ووفرت لها دعماً ميدانياً أو تسهيلات. في هذه المواضيع كانت مواقف معمر تتقاطع مع الحسابات السورية. كانت سورية تستفيد من معمر لتغطية الجانب المالي وكان يجمع الطرفين العداء لعرفات فضلاً عن شعارات كثيرة. معمر مزاجي. ذات يوم كان إبراهيم قليلات (رئيس حركة الناصريين المستقلين ـ المرابطون) هو كل شيء. ثم دعم الضابط أحمد الخطيب الذي انشق عن الجيش اللبناني. يمكن القول إن سفير ليبيا في لبنان في تلك المرحلة صالح الدروقي أنفق البلايين على الدعم العسكري والمالي لأحزاب وشخصيات ومؤسسات. هناك كميات هائلة من الأسلحة أرسلتها ليبيا إلى الفلسطينيين في لبنان وكانت لا تزال في صناديقها حين استولت عليها إسرائيل إبان اجتياح ١٩٨٢. استشهد ليبيون مع الفلسطينيين وعادت جثامين بعضهم قبل ثلاث سنوات.

يردد الليبيون نكتة: ذهب معمر إلى عبدالناصر وسأله: «كيف أستطيع أن أكون زعيم العرب؟». أجابه عبدالناصر: «إذا كنت تريد أن تكون زعيم ليبيا فاترك القضية الفلسطينية. وإذا كنت تريد أن تكون زعيم العرب فاحتضن القضية الفلسطينية».
ويكمل الليبيون أن القذافي لم يستطع تحقيق هذا ولا ذاك.

■ ما هي قصة محاولة اغتيال الملك عبدالله بن عبدالعزيز عندما كان ولياً للعهد؟

ـ هذه ليست سراً. في القمة العربية في قطر حصلت مشادة تبعتها مصالحة. ذهب عبدالله السنوسي وجلس مع الملك عبدالله بن عبدالعزيز والشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ومعمر القذافي. خلال اللقاء قال السنوسي للعاهل السعودي: «يا جلالة الملك أنا خططت وعملت من أجل اغتيالك من دون معرفة القائد (القذافي)». طبعاً هذا الكلام هراء لأن القذافي لا ينكر ذلك.

ذات يوم أخذني الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة جانباً وقال لي: «يا عبدالرحمن، معمر القذافي يفتقد أهم شرط من شروط القيادة وهو التسامح، لأن معمر إنسان لا يتسامح. إنه حاقد على الملك عبدالله بن عبدالعزيز». التقيت الملك عبدالله بن عبدالعزيز وأخبرته القصة، قال لي «يا ابني يا عبدالرحمن أي شيء تعمله إنت وأخوك سعود الفيصل أنا قابل به، أنا أثق بك أنت إنسان شجاع، إنسان فصيح، وأنا صريح».

في اجتماع مجلس وزراء الخارجية العرب دعاني الأمير سعود

الفيصل إلى الإفطار معه. قامت قيامة وسائل الإعلام ووكالات الأنباء لأن وزير خارجية ليبيا يجلس مع وزير خارجية السعودية وكان ذلك في القاهرة في ٢٠٠٧. اتصلوا من القيادة من طرابلس، ولما رجعت حققوا معي وضغطوا عليّ. أبلغتهم أن الأمير سعود الفيصل كان منطقياً جداً وقال لي هناك مؤامرة لقتل ولي العهد. والأمير سعود رجل أحترمه جداً وهو صديقي، رجل شفاف صادق ونظيف. قال لي إن الاستخبارات تقوم بأعمال غير نظيفة وتكلمنا عن أسماء ووقائع وأشياء أعرفها وكنت أريد حل المشكلة. أنا أريد التقريب ولا أريد التخريب. وسعود الفيصل أيضاً رجل بنّاء وأيضاً مع التصالح. أخذوني إلى التحقيق وأمام المؤتمر الشعبي العام وسببوا لي مشاكل. وكلمني معمر القذافي هاتفياً وهو متوتر وهددني: كيف تتكلم مع الأمير سعود الفيصل (...) لكنني شعرت بأنه موافق على أن أبحث عن حل. واستدعتني أمانة المؤتمر الشعبي العام ليلاً وحققت معي. كان سعود الفيصل قرأ عليّ ملفاً من تسع صفحات حول محاولة اغتيال الأمير عبدالله بن عبدالعزيز الذي كان آنذاك ولياً للعهد. وللأسف كل ما قاله كان صحيحاً ومعمر كان مجنوناً وأنا حاولت أن أقنعه، والله، أن يخلع من عقله قصة تصفية (الأمير) عبدالله. يريد أن يقتل الأمير عبدالله ويدمر السعودية ويقسّم السعودية، وقلت له: يا أخ معمر والله هذا لن يحصل، لن تستطيع أن تصفّيه ولن تستطيع أن تقسّم السعودية، لكن دعني أذهب إلى السعودية. قال لي لا، لا تذهب. قلت له على كل حال هذه فكرتي أطرحها على الطاولة إذا قررت

أذهب إلى السعودية. وأنا خارج من الباب لحق بي شخص أعتقد أنه محمد جمعة من حراس معمر فعدت. قال لي معمر القذافي: يا عبدالرحمن اسمع لي. لماذا لا تلتقي سعود الفيصل وتحاول أن تقنعه أن نرتب معه لإسقاط الأميرعبدالله بن عبدالعزيز. تبسمت. قلت له:

أيها الأخ القائد هذه العائلات لديها ولاءات لا تفرط بها. هذا الموضوع لا أستطيع أن أتحدث به إطلاقاً أرجوك. قال لي لاحقاً: وماذا عن تقسيم السعودية؟. والله أنا أتذكر أنني رفضت التعليق. لأنني (كنت أريد) أن أقول له تقسيم ليبيا أسهل من تقسيم السعودية فهذا ما حضر إلى ذهني. بالنسبة لي أنا مستعد أن أنتحر ولا أرى تقسيم ليبيا ولا أريد تقسيم أي دولة عربية.

طبعاً قضية الملك عبدالله كانت الشغل الشاغل للقذافي وتتحكم بمواقفه وعلاقاته. كان يدعم بالمال معارضاً سعودياً مقيماً في لندن. ووصلت كراهية معمر إلى حد أنه كان يحلم بتقسيم السعودية.

ذات يوم جاءنا الملك عبدالله الثاني فراح معمر يخبره عن إذاعة معارضة للسعودية تبث من لندن. ثم بدأ يحرضه ضد السعودية ويقول له: لماذا لا تتحرك (. . .) ولماذا تبقى في الأردن الفقير؟ طبعاً العاهل الأردني رجل عاقل ويعرف ككثيرين أوهام القذافي. حتى المسؤولون الذين كانوا يأتون من أفريقيا أو مناطق بعيدة من آسيا كان معمر يحاول تحريضهم ضد

السعودية. أنا تركت وزارة الخارجية في ٦ آذار/ مارس وذهبت في ١١ منه لوداع القذافي بعدما عينت مندوباً لليبيا لدى الأمم المتحدة. طوال الجلسة كان يحرضني على ضرورة أن أحرّض المسؤولين الأميركيين وأعضاء الكونغرس والإعلاميين ضد السعودية والوهابية واعتبر ذلك مهمتي الأولى. كانت السعودية هاجسه الكبير وكان يشدد على أن أسامة بن لادن سعودي، وكأنه يريد تحميل السعودية مسؤولية هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١. السعودية كانت عدوه الأول.

■ لماذا؟ هل بسبب المشادة بين الزعيمين في شرم الشيخ؟

ـ كان يشعر بالغيرة من السعودية ويعتبرها عائقاً أمام سياساته وطموحاته. هو لديه المال لكن السعودية لديها أكثر. ثم إن السعودية لديها مكة والمدينة، ما يعطيها موقعاً طبيعياً في العالم الإسلامي. وللسعودية ثقل عربي وتأثير في دول عربية بارزة وبينها مصر. وللسعودية علاقات قوية بأميركا وأوروبا. ثم إن السعودية تدعم نهجاً معتدلاً في المنطقة ولها كلمة مؤثرة في منظمة «أوبك».

ذات يوم ذهبت إلى معمر في منطقة اسمها السداده. يومها جاء وزير خارجية مِصر أحمد أبو الغيط ومدير الاستخبارات عمر سليمان في وساطة لإنهاء الخلاف مع السعودية. انفعل معمر وراح يخاطب الوفد المصري: «أنتم تابعون للسعودية، إنها ترشوكم. أنا أيضاً لدي فلوس وأستطيع أن أرشو». كان شديد الانزعاج من علاقات السعودية بالمغرب والأردن ولبنان،

خصوصاً السنّة فيه والتوازن الذي تقيمه هناك مع سورية فضلاً عن دورها في مجلس التعاون الخليجي. كانت لديه قناعة بأن السعودية اتخذت موقفاً سلبياً من الثورة الليبية. وللأسف لعب محمد حسنين هيكل دوراً في تحريضه. هيكل كان متعاطفاً مع القذافي ولا يزال. وهذا ما أسميه أنا السلفية القومية. إنني أشير إلى اللغة البلاستيكية أو الخشبية والحملات على الإمبريالية والاستعمار. هؤلاء يقيمون في مرحلة تجاوزها الزمن. الذي يستطيع أن يتقن صناعة الحنطور في القرن الخامس عشر لا يستطيع بالضرورة أن يتقن صناعة الكومبيوتر في القرن العشرين. هؤلاء بقوا هناك. دعني أكون صريحاً. المتاجرة بشعارات الوحدة العربية ماذا جلبت لنا غير الهزائم والكوارث والعداوات والتخلف؟ هيكل كان يقول إن السعودية ضد الثورة في ليبيا وإنها حاولت تحريض الأميركان والإنكليز لإسقاطها مبكراً، وإنها نصحت الملك إدريس بعدم التنازل. حتى في تعليقه على الانتفاضة الليبية اليوم يرتكب هيكل مغالطات. يقول إن قبيلة البراعصة التي تنتمي إليها زوجة القذافي لها امتداد في مصر. كأن هذا الرجل حاطب ليل. لا يعرف أن البراعصة هم في منطقة البيضا وهي قبيلة صغيرة ولا يوجد في مصر ولو عشرة من أبنائها. وهو لا يعرف الفرق بين أولاد علي وهي قبيلة من أصول ليبية بدوية لكنها مصرية بالكامل. سمعته يتحدث عن وقوف القبائل مع القذافي وعن خطر «القاعدة». وعدنا هيكل قبل عشرة أعوام أن يصمت وليته فعل. يتكلم عن الـ «ناتو» ويتناسى أن قرار مجلس الأمن كان يحتاج إلى قوة

ليطبق. ثم إن الـ«ناتو» معه قطر والإمارات والأردن ومساعدات من دول أخرى. إنني أسأله: من دمر مصراتة قبل تدخل الـ «ناتو» ومن دمر الزاوية ونبش القبور ومن قصف بنغازي؟ لولا تدخل الـ«ناتو» في ١٩ آذار/ مارس ٢٠١١ لكانت بنغازي أكبر قبر في التاريخ.

■ لنعد إلى علاقات القذافي. كيف كانت علاقاته مع الدكتور جورج حبش الأمين العام لـ«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»؟

ـ ليس صحيحاً أن موضوع الدين كان مهماً بالنسبة إلى القذافي على رغم تصريحاته التي دعا فيها المسيحيين اللبنانيين إلى اعتناق الإسلام. حبش كان يختار إبقاء مسافة معينة مع من يلتقيهم ونجح في تحقيق ذلك مع القذافي لأنه كان رجلاً نظيف الكف ونزيهاً وواضح الأفكار وصاحب قضية. حبش يتحدث ولا يتملق ويفرض احترامه على الجميع. ولم يكن يستخدم ديبلوماسية القبل والمدائح التي اعتمدها عرفات. طبعاً هذا لا يقلل من أهمية عرفات الذي كان يعرف أن يقول لا حين يكون ذلك ضرورياً. أثناء الحصار الإسرائيلي لبيروت وحين نصح القذافي القادة الفلسطينيين قائلاً: الانتحار ولا العار، قال له عرفات: «تفضل وانتحر معنا».

■ وعلاقته بصلاح خلف (أبو إياد) عضو اللجنة المركزية لحركة «فتح»؟

ـ كان أبو إياد بمثابة عدو للقذافي. في ١٩٨٠ كنت رئيساً

لتحرير وكالة الأنباء الليبية وكان الدكتور مفتاح الأسطى عمر، رحمه الله، مديراً لمكتب القذافي. طلب مني مفتاح كتابة تعليق يتضمن القول إن صلاح خلف من أصل يهودي وشدد على نشره سريعاً في نشرة الوكالة. قلت له: «هذا لا يجوز لأن خلف سيأتي بعد وقت ويعانق معمر. يمكن أن نكتب أنه مخطئ ويمكن حتى أن نقول إنه خائن ولكن لا يجوز أن نقول إنه من أصل يهودي والرجل مناضل فلسطيني». غاب قليلاً ثم اتصل قائلاً إن القائد يطلب منك تنفيذ الأمر. ذهبت إلى مقر القيادة في باب العزيزية. قلت للأسطى إنني أريد مقابلة القائد. فأجابني أنه سيطلق عليك النار وسيصل به الأمر إلى درجة مهاجمة الوكالة بالدبابات لأنه اتهمك بالاستيلاء على الوكالة. بقيت نصف ساعة. خرج الأسطى وعاد ليبلغني بضرورة إعداد التعليق ونشره. كتبت التعليق انطلاقاً من تصريح لخلف وقلت فيه إن من يدلي بتصريح من هذا النوع يوحي بأنه صوت يهودي وبث التعليق في الفترة الميتة أي بعد صدور الصحف لشعوري بأن معمر يفضل هذا النوع من المعالجات. الحقيقة أن أبو إياد كان شخصية قوية وكان يصطدم كثيراً بالقذافي وبعبدالسلام جلود ويجاهر برأيه ويغضب ويسافر. وفي فترة من الفترات راح أبو إياد يدعم المعارضة الليبية ويعطي بعض أفرادها جوازات سفر مزورة.

- **هل يمكن أن تكون لأجهزة القذافي علاقة باغتيال أبو إياد في تونس بعد الغزو العراقي للكويت خصوصاً أن القاتل كان يعمل لمصلحة أبو نضال؟**

ـ لا أريد التكهن في غياب المعلومات.

■ كيف كان موقف القذافي من الغزو العراقي للكويت؟

ـ بأمانة أقول كان القذافي غاضباً جداً من صدام. ولكنه كان غاضباً كمن يقرأ في المستقبل. وكان يقول إنه مهما كان الثمن يجب ألا نستقوي بالآخر ضد أي عربي. كأنه كان يقرأ ما سيحلّ به. قال شيئاً من ذلك في خطابه في القمة العربية في دمشق حين تحدث عن إعدام صدام. قال للقادة العرب: سيجيء دوركم. في غزو العراق الكويت حلم بأن يعيد ما قام به عبدالناصر حين هدد عبدالكريم قاسم الذي هدد الكويت. طبعاً الصورة مختلفة وموازين القوى مختلفة.

■ كيف كان رد فعل القذافي على إعدام صدام؟

ـ أعدم صدام في صبيحة عيد الأضحى. ليلة العيد كنت ورئيس الوزراء البغدادي المحمودي عند معمر القذافي. عدت إلى مزرعتي على بعد نحو عشرة كيلومترات من طرابلس ونمت. خلال الليل راح يتصل بي المحمودي لكن الهاتف كان بعيداً عني. حدثني باكراً مشيراً إلى أن الأخبار تتحدث عن قرب إعدام صدام وقال إن القائد حزين جداً وأفضل شيء لامتصاص غضبه أن نعلن الحداد ثلاثة أيام. كانت علاقتي قوية بالبغدادي وأنا أعرفه من أيام الدراسة، لكن السياسة مفرق كبير فقد افترقنا الآن. روج كلاماً عن إقامة تمثال لصدام في ليبيا لكنها كانت مجرد كذبة لامتصاص المشاعر.

لاحقاً تبيّن أن معمر أصيب بهاجس مفاده أنه قد يواجه مصيراً مشابهاً لمصير صدام. أولاً هناك حالة العداء مع أميركا. ثم إن صدام لم يتهم يوماً بالقيام بعمليات ضد الأميركيين خارج بلاده في حين أن معمر أمر بمثل هذه العمليات. وهناك أيضاً اتهام ليبيا بامتلاك أسلحة للدمار الشامل. كان واضحاً أنه يخشى تكرار السيناريو. هناك مسألة استوقفت المراقبين. علي الكيلاني ضابط وشاعر ومدير إذاعة وابن عم العقيد، نظم قصيدة تصف صدام بالقديس والبطل، وهو شاعر شعبي مؤثر. لم يكن من عادة معمر القبول بتمجيد شخص آخر الا بموافقة منه. وما كان معمر ليوافق على تمجيد من كان يكرهه لو لم يقرأ في مصيره إنذاراً لشخصه وكأنه يخاطب قدراً ما في الأفق ويقول له: «لا تقترب مني». كان القذافي يهاجم الأميركيين لكنه كان يخشاهم. تجربة الغارة الأميركية على ثكنة باب العزيزية ذكرته بقدرتهم على الوصول إليه حين يتخذون قرارهم.

■ **لنعد إلى الداخل الليبي. قتل إبراهيم البشاري وزير الخارجية السابق والمدير السابق للاستخبارات في حادث سير. هل كان الحادث طبيعياً؟**

- ابراهيم البشاري كان صديقي. سأخبرك مسألة. في ١٩٩٤ حصل خلاف بيني وبين القذافي وبقيت حتى سنة ١٩٩٩ بلا عمل. كان البشاري آنذاك مديراً لمكتب القذافي. كان يأتي ونخرج في السيارة. ذات يوم جاء إليّ وقال: سنسافر غداً مع القائد في سرت. كان إبراهيم شديد الحذر ولا يقترب من أي

موضوع صعب إلا إذا كنا نسير في الهواء الطلق أو في سيارة لا يتوقع أن تكون زرعت فيها أجهزة للتنصت. كان يتفادى توجيه أي انتقاد إلى معمر. المهم قال أنه لن يذهب مع معمر بل سيلحق به. يبدو أن سائقه لم ينم تلك الليلة لأنه سينطلق باكراً. لدى وصولهم إلى منطقة اسمها القره بولي وهي منطقة تعرجات وانعطافات، غفا السائق وانتقل من جانب من الطريق إلى آخر وحصل صدام مع سيارة. قتل البشاري وسائقه كما قتل سائق السيارة الأخرى. ذهب موسى كوسى إلى مكان الحادث وأجروا تحليلات حتى للشاي الذي شربه السائق وتبين أن الحادث غير مدبر. الاستنتاج نفسه وصل إليه إبراهيم بجاد صديق البشاري الذي زار مكان الحادث أيضاً. أقول وبوضوح إن البشاري لم يقتل في حادث مدبر.

■ **قيل إنها كانت عملية مدبرة لأن البشاري مطّلع على عمليات أمنية حساسة؟**

ـ هذا غير صحيح.

■ **هل كانت للبشاري علاقة بتفجير لوكربي؟**

ـ لا.

■ **لنتحدث إذاً عن لوكربي. ما هذه القصة؟**

ـ في ١٩٨٦ أغارت الطائرات الأميركية على منزل القذافي في باب العزيزية بحجة الرد على ضلوع أجهزة القذافي في تفجير مقهى في برلين وفي حادث في مطار روما أدى إلى مقتل

أميركيين. بعدها حصلت لوكربي ووجهت أصابع الاتهام إلى ليبيا. حاولت يومها أن أستفهم من البشاري فلم أحصل منه على شيء محدد، خصوصاً أن بعض السيناريوهات تحدث عن دور إيراني والبعض الآخر عن دور سوري.

بسبب لوكربي تعرضت ليبيا لعقوبات شديدة أدت مع الوقت إلى إنهاك الليبيين. أنا أشرفت على حل المسألة ودفعنا تعويضات والحقيقة أننا لم ندفع كل المبلغ. ثم سارعنا إلى تعويض ما دفعناه عن طريق صفقات نفطية.

بعد حل المشكلة دعونا إلى إجراء تحقيق عكسي. الأخوان في القيادة كانوا يسارعون إلى القول: «يا أخ عبدالرحمن هذا ملف أُقفل ومن الأفضل أن تنساه». وكلما كنت أقترح إجراء تحقيق كنت أتلقى الجواب نفسه. لا أحد يريد إعادة فتح الملف والتحقيق فيه. استنتجت أن لوكربي قد تكون نوعاً من الانتقام من الغارة على باب العزيزية.

طبعاً هنا يجب أن أقول إن تفجير مقهى «لابيل» في برلين كان من عمل سعيد راشد وهو مهندس إلكترونيات عمل في الاستخبارات الليبية وكانت هناك تسجيلات تثبت هذه المسؤولية.

■ بواسطة من نفذ هذا التفجير؟

ـ بواسطة عملاء ليبيين وحُكم على أحدهم.

■ وطائرة «يوتا» فوق النيجر؟

ـ فجرتها الاستخبارات الليبية. اعتقدوا أن محمد المقريف، أحد زعماء المعارضة، موجود على متنها. وبعد تفجير الطائرة تبين أن المقريف لم يكن موجوداً. لوكربي عملية مركبة ومعقدة. حكي يومها عن أدوار لدول ومنظمات. الأمن الليبي طرف فيها لكنني أعتقد أنها ليست صناعة ليبية خالصة.

■ من اتخذ قرار دفع التعويضات؟

ـ كان هناك حصار بسبب لوكربي وتسبب في إنهاك الليبيين. كان هناك شخص اسمه فرحات بن قدارة محافظ البنك المركزي الليبي، وهو الآن انشق وانضم إلى الثوار. كان هناك مصرف اسمه «الاي بي سي» العربي في البحرين وكان هو عضواً في مجلس إدارته. وكان هناك محام اسمه كلايندلر. وكان محامو لوكربي شكّلوا لجنة تسيير وكان كلايندلر يمثلهم. ذهب بن قدارة إلى البحرين والتقى كلايندلر.

كتب مذكرة وحولها إلى مكتب معمر القذافي الذي حولها إليّ وطلب مناقشتها مع فرحات بن قدارة، فجاء، وهذا ما حصل في ضوء قرار مجلس الأمن الذي يطلب تنفيذ أربعة شروط: الاعتراف بالمسؤولية، نبذ الإرهاب، التعويض ثم التعاون في التحقيقات. عملنا على المسؤولية المدنية، وأحضرنا مستشارين وعملنا على كل فقرة، وأنشأنا لجنة برئاستي وعضوية محمد الزاوي الذي كان سفيراً في لندن وهو الآن أمين المؤتمر الشعبي العام، وعبدالعاطي العبيدي الذي كان نائبي للشؤون الأوروبية، وهو الآن وزير الخارجية، وموسى كوسى أيضاً كان

معنا. بدأنا نناقش موضوع التعويضات وذهبنا إلى معمر القذافي واجتمعنا أنا والعبيدي والزاوي معه ربما أكثر من خمسين مرة وكان يرفض رفضاً باتاً.

■ ماذا كان يقول القذافي؟

ـ كان يقول نحن مظلومون ولا يمكن أن ندفع. هم أيضاً قتلوا. لماذا يقتل الإسرائيليون ولا يدفعون؟ ويكرر مثل تلك الخطابات؟

■ هل كان ينفي أي علاقة بتفجير لوكربي؟

ـ كان يقول لا علاقة لنا بلوكربي فلماذا ندفع التعويضات. الحقيقة كان هناك وزير بترول اسمه عبدالله البدري هو الآن الأمين العام لمنظمة «أوبك». أنشأنا لجنة التعويضات برئاسة محمد عبدالجواد وهو رجل مال ليبي كان مسؤولاً عن الاستثمارات، وهو متزوج من قريبة للرئيس حافظ الأسد. ذهبوا وتفاوضوا مع كلايندلر والمحامين الأميركيين حول المبلغ الذي سيدفع، كان آخر تصور أن ننشىء حساباً لولبياً مثل خطاب الاعتماد: نضع مبلغاً ثم عندما تحضر ورقة معينة نضع مبلغاً آخر. قلنا عندما يرفع الحظر الأميركي ندفع أربعة ملايين دولار، وعندما يرفعون الحظر الدولي ندفع أربعة ملايين، عند شطب اسم ليبيا عن لائحة الارهاب ندفع مليونين عن كل ضحية فيكون المبلغ الاجمالي عشرة ملايين عن كل ضحية، وفي النهاية دفعنا ٨ ملايين عن كل ضحية. فذهب محمد

عبدالجواد وتفاوض لكن عبدالله البدري عندما كان وزيراً للنفط قال هذا المبلغ سأسدده من عائدات النفط من امتياز واحد.

طلب القذافي من محمد الزاوي وعبدالعاطي العبيدي الاجتماع شخصياً بالمحامين وإحضار جواب نهائي والتأكد من عدم وجود عمولات. عادوا واجتمعت معهم وقالوا إن كل الأمور جيدة. حوّلنا المبلغ إلى مصرف التسويات في سويسرا وجهزتُ رسالة في نبذ الإرهاب واستشرنا محامين دوليين وأساتذة، وقلنا انها مسؤولية المتبوع عن التابع: لا أعترف بمسؤوليتي ولكن أعترف بمسؤوليتي عن أعمال موظفين يعملون لدي، مثل أن ترسل سائقك الخاص لشراء خبز فيدهس شخصاً في الطريق فتكون أنت غير مسؤول عن الناحية الجنائية لكن من الجانب المدني أنت تدفع (الديّة)، فنحن اعترفنا بالجانب المدني ونعتبر ذلك من الإنجازات المهمة جداً.

■ **بخصوص الإفراج عن عبدالباسط المقرحي هل صحيح إنه تم تزوير أوراق أنه مصاب بالسرطان؟**

ـ هذا غير صحيح. أنا قابلت ديفيد ميليباند وزير الخارجية (البريطاني) حين كنت وزيراً للخارجية وفي الأمم المتحدة وكنت في زيارة رسمية إلى واشنطن، واستشرت طبيباً ليبياً من أشهر الأطباء في العالم اسمه إبراهيم الشريف ولجنة طبية، وكان الرجل مصاباً بنوع من السرطان تم تشخيصه بالإجماع من قبل جميع الأطباء. إنه سرطان قاتل ولا أمل في الشفاء منه. أما

ما قيل عن صفقات وضغوط فهذا غير صحيح. كانت هناك شحنة إنسانية كبيرة وعندما ترى عبدالباسط المقرحي في حالته المرضية تتأثر، فهو كان إنساناً منهاراً. وخلال شهرين تغير ١٨٠ درجة.

■ **ما هو وضع المقرحي حالياً؟**

ـ إنه غائب عن الوعي وتعبان.

■ **وهكذا عاد القذافي يستقبل ضيوفاً غربيين، استقبل توني بلير.**

ـ استقبل كثيرين: غيرهارد شرودر وطوني بلير وجاك شيراك ونيكولا ساركوزي. وكثر وقفوا في الطابور لمقابلة القذافي، وبتشجيع أميركي.

■ **هل كل هذا بسبب النفط؟**

ـ لا ليس من أجل النفط بل لإثبات أن من يتوب ترضى أميركا عليه ويرضى العالم عليه، ولتشجيع الآخرين من الدول المارقة مثل إيران وكوريا الشمالية وفنزويلا على الاقتداء بليبيا. لأول مرة توضع دولة على لائحة الإرهاب ثم تشطب. ثم إن ليبيا مهمة جداً في الجغرافيا السياسية.

■ **من استقبل القذافي من المسؤولين الأميركيين؟**

ـ زارتنا كوندوليزا رايس وديفيد ولش وعدد من الشيوخ

والنواب. ثم زارنا ساركوزي. ثم زار القذافي أوروبا: البرتغال وفرنسا وفتحت له أبواب إيطاليا واستقبل فيها استقبال الفاتحين.

■ كيف تصف علاقة القذافي برئيس الوزراء الإيطالي السابق سيلفيو برلسكوني؟

ـ كانت علاقة ودية جداً. برلسكوني كان يرى في معمر القذافي شخصية تاريخية نادرة واستثنائية.

■ ماذا كان يقول عن المسؤولين الغربيين والأميركيين؟

ـ معمر لا يقصد دائماً ما يقول، فقد يشكر شخصاً في الصباح ثم يذمه في المساء، أو العكس. لماذا هذا الحب لبرلسكوني؟ لأنه قبّل يده مباشرة على الهواء وأشاد به وشكره. وهذه كانت رسالة خاطئة من معمر. إنه مشوش، يقول: أنا خرجت من مواجهات مع فرنسا في تشاد. دخلت في حروب غير مباشرة مع بريطانيا. أميركا قصفتني وحاربتني. لوكربي، «يوتا»، أسلحة الدمار الشامل، كلها خرجتُ منها معافى.

■ ما قصة أسلحة الدمار الشامل وكنت يومها وزيراً للخارجية؟

ـ كانت الزعامة هاجس القذافي، ولا تستطيع أن تكون زعيماً ما لم تكن قوياً، فإذا امتلكت أسلحة دمار شامل ستضعف أمامك الدول المقابلة لك. للأسف اندفعوا باتجاه السلاح الذري والكيماوي والجرثومي، وكانت مصدراً للنهب

والعمولات لأنها مصاريف سرية، وأنا أشك في أن ليبيا كانت فعلاً قادرة على أن تنجز سلاحاً ذرياً.

■ من هم الخبراء الذين عملوا في مشروع البرنامج النووي الليبي؟

ـ كان بينهم الباكستاني عبدالقدير خان وعلماء من ليبيا ودول عدة قد تكون بينها كوريا الشمالية. أنا عُينت في ٣ آذار/مارس ٢٠٠٠ وزيراً للخارجية وذهبت في ٩ آذار/مارس ٢٠٠٠ مع موسى كوسى الذي كان مديراً للاستخبارات ومعي مفكرة أظن فيها عشر أو ١٢ نقطة. وبعد أقل من أسبوع من تعييني ذهبت إلى القيادة في طرابلس ومعي موسى كوسى وقلت للأخ معمر: أريد أن أعمل ومعي هذه الأجندة فغضب غضباً شديداً وتركني ومشى. لحق به موسى كوسى وأنا غادرت بسيارتي. بعد ساعة جاءني موسى إلى مكتبي وقال سنعقد المؤتمر الشعبي العام خلال أسبوع أو أسبوعين كي تُعزل لأن القذافي غاضب منك. بعد يومين أو ثلاثة استدعاني القذافي وحدي، وهو عنده طريقة خاصة، وقال لي: «قبل يومين قلت لي كلاماً لم أفهمه». فهو أحياناً لا يحب أن تتحدث إليه أمام شخص آخر، عندما تكون منفرداً به يختلف الوضع، وهو فكر بالكلام الذي كنت قلته له. وتحدثت عن المؤتمر الشامل وكيف نحل مشاكلنا فاستمع الي استماعاً مطولاً، وقلت له أن إيطاليا تستطيع أن تنتج سلاحاً ذرياً في خمسة أيام، واليابان خلال ٤٨ ساعة، أما نحن فسيعادوننا ويسببون لنا المشاكل، فاستمع حقيقة إليّ. وكان

المسؤول عن (البرنامج) المهندس معتوق محمد معتوق وهو الآن وزير البنية التحتية، قال لي القذافي أن أناقش هذا الموضوع مع معتوق، فتحدثت إليه فقال لي: ما رأيك يا عبدالرحمن أن نعمل شيئاً آخر بالنسبة إلى البرنامج الذري: نأخذ شبابنا العلماء في الفيزياء الذرية وننقلهم إلى باكستان ونزودهم ببطاقات شخصية باكستانية ولا يعلم بهم أحد بحيث يكونون خلال سنتين أو ثلاث جاهزين بالكامل ويصبح لدينا المعرفة. وعدت إلى معمر فوافق. وذهبت إلى باكستان.

■ من قابلت في باكستان؟

ـ قابلت برويز مشرف في قصر الرئاسة وحاولت التحدث إليه عن المشروع، فلم يعلق وغيّر الحديث كأنه لم يكن يريد أن يتحدث في ذلك المكان. في اليوم التالي استدعاني إلى قاعدة جوية حيث أطلعته على الفكرة فاستحسنها. واتفقنا على هذا الأساس أن يتلقى العلماء الليبيون الخبرة ويبقوا في سبات كالخلايا النائمة. أي تكون عندنا المعدات والخبراء والمواد ونقرر عندما تسنح الظروف الدولية. تفاهمت مع معتوق على أن هذا مخرج مشرف لمعمر وعليه ألا يخاف.

■ هل قابلت عبدالقدير خان في باكستان أم كان يزور ليبيا؟

ـ لم أقابله. معتوق والخبراء كانوا يقابلونه عادة خارج ليبيا، وقد يكون زار ليبيا ولكن ليس لدي علم. في ٢٠٠١ في بداية

عهد جورج بوش الابن في الرئاسة، طلب مني معمر قبل ذهابي إلى الجمعية العامة أن أقابل الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة وأطلب منه أن يكلم بوش لتطبيع العلاقات بين واشنطن وطرابلس. قابلت الرئيس بوتفليقة فأعلمني أن لديه موعداً في اليوم التالي مع الرئيس بوش وسيبلغه. بعد يوم من اللقاء أمسكني بوتفليقة من يدي في الممر بين الجمعية العامة ومجلس الأمن وقال لي: قابلت الرئيس بوش ويقول لك التالي: «إما أن تنزعوا أسلحة الدمار الشامل أو سيدمرها هو بنفسه ويدمر كل شيء من دون نقاش». قلت للرئيس بوتفليقة إنني قلت هذا الكلام للأخ معمر فقال لي: أنت جبان وخائف، فقال لي الرئيس بوتفليقة: «أبلغه أن لديك شقيقاً في الجبن والخوف هو عبدالعزيز بوتفليقة». كنت أبلغت القذافي أن علينا التخلص من هذا البرنامج فنحن لا نحتاج (هذه الاسلحة) وليس لدينا عدو، ولا أرض محتلة، وتخزينها صعب وقد تتسرب وتتسبب في كارثة ولدينا أولويات (تجاه) شعبنا، فاعتبرني القذافي فزّانياً جباناً. وفزّاني نسبة إلى أهل الجنوب وهم ناس طيبون يحبون القرآن وغير عدوانيين فيعتبرهم البعض جبناء، فليس بيننا قطاع طرق أو من يهجمون على قبيلة لأخذ إبلها فهذا في عرفنا حرام، وأغلبهم يعيشون في واحات وهم متدينون ويقرأون القرآن ولا يأخذون مالاً حراماً.

في ٢٠٠٣ أو ٢٠٠٤ كانت هناك قمة أفريقية في مابوتو في موزامبيق، وكنت أنزل في فيلا ومعي عمرو موسى، وجلسنا معاً إلى العشاء فاتصل بي نوري المسماري مدير المراسم في

ليبيا (هو الآن منشق) وأبلغني أن: الأخ القائد يريدك أن تأتي بسرعة، فسألته مَنْ معه؟ فقال معه الرئيس بوتفليقة. فاستأذنت عمرو موسى وذهبت إليه فوجدت معه الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة وبعد السلام قال: ها قد جاء عبدالرحمن (شلقم) فأبلغني ما قصة أنه شقيقك؟ فروى له القصة: أن عبدالرحمن شقيقي في الجبن، فأنا جبان مثله. وأعدت على مسامع القذافي القصة. وقصة أسلحة الدمار الشامل لن أنساها أبداً، وبقينا على اتصال. ثم ذهب سيف الإسلام إلى بريطانيا وتكلم مع الاستخبارات البريطانية MI6 وقال إن معمر قرر وقف برنامج أسلحة الدمار الشامل. ولم يبلغني أنا بقراره بل تحدث في الأمر مع ابنه سيف الإسلام.

■ هل كان قصده تلميع صورة سيف الإسلام؟

ـ لا أعرف التفاصيل لكنني وجدت لديه تجاوباً. وفي الختام الذي قام بكتابة الصفحة الأخيرة في هذا الموضوع هو سيف الاسلام ومعمر القذافي. سيف الإسلام اتصل بمقسم MI6 (الاستخبارات البريطانية) وترك رسالة صوتية يقول فيها: أنا سيف الإسلام ابن معمر القذافي وأريد أن أتحدث معكم فيما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل. وعندما حُدد له موعد قال إنه يريد في المقابل تحسين العلاقات. في ما بعد استدعاني القذافي وأبلغني بما حدث وقال إنه لا يثق بالأميركيين والبريطانيين وسيضحكون علينا وسيوثقون أن لدينا أسحة دمار شامل، ورّطوا صدام حسين ويريدون أيضاً أن يورطونا. أذكر

أنني قلت له: أيها الأخ القائد: النصارى لا يكذبون، والأميركيون لا يخافون منا (لا يخافون ولا يستحون) فمن نحن ليضللونا؟ فقال لي: **أنت** طيب وتصدّق حتى هؤلاء الناس. فبدأنا جميعاً اتصالاتنا: موسى كوسى، كان مدير الاستخبارات، وعبدالله السنوسي، مدير الاستخبارات العسكرية، وأنا، بالسياسيين. اتصلت بالأميركيين والبريطانيين وجميع الأطراف، وموسى كوسى بالاستخبارات البريطانية MI6 والأميركية CIA. كان ذلك في أوائل كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣ (بعد الغزو الأميركي للعراق). لكن للأمانة، المفاوضات بدأت قبل ذلك وليس كما قال البعض أن القذافي خاف بعد غزو العراق، بدأنا التحدث في التخلص من برنامج أسلحة الدمار الشامل في ٢٠٠١ وقد عتب عليّ القذافي في البداية ثم أثر عليه الرئيس بوتفليقة كما أسلفت.

في ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣ اقترح علينا الأميركيون والبريطانيون أن يظهر معمر القذافي ويقول إنه كانت لدينا برامج وأوقفناها، ويظهر بلير ويشكره ويثني عليه، كما يظهر بوش. كنت يومها مع معمر وأبلغته، ومعي مدير المراسم ولدينا ضيوف في القيادة، فقال لي: هذا كلام أرفضه رفضاً باتاً فسيضحكون علينا وأتكلم أنا ولا يتكلمون هم بعدي، هذه خدعة ومؤامرة. فدخلت معه إلى منزله فقال لي: أين أنت ذاهب أنت داخل إلى منزلي؟ والقذافي للأمانة كان يتحملني في ما هو في مصلحته، وكان معنا نوري المسماري مدير المراسم

فقال له: خذ عبدالرحمن خلصني منه، أريد أن أنام. في صباح ١٩ كانون الأول/ديسمبر وكان يوم جمعة، ذهبت إلى مكتبي وجاءني موسى كوسى مدير الاستخبارات حوالى الساعة التاسعة، ثم التحق بنا محمد الزاوي وكان سفيرنا في بريطانيا وعبدالعاطي العبيدي نائبي في الشؤون الأوروبية، وكان الاتفاق أن لا بد من حسم الموضوع اليوم. فاقترح معمر أن نحضر تسجيلات: يسجل تصريح القذافي على شريط مرئي تلفزيوني ويسجل تصريح بلير وتصريح بوش كذلك، رفض الأميركيون والبريطانيون ذلك وأصروا على أن يتحدث القذافي أولاً. وبقينا نعالج هذا الموضوع من التاسعة صباحاً إلى الثامنة والنصف ليلاً ونحن نكتب بيانات وهم يعترضون، وقد أجرينا ربما خمسين مكالمة مع MI6 وسبعين مكالمة مع CIA في ذلك اليوم. وأتذكر أن موسى كوسى أغمي عليه من الإرهاق. وتحدثت مع القذافي هاتفياً أكثر من عشرين مرة وعبدالله السنوسي وسيف الإسلام. ثم ذهب عبدالعاطي العبيدي ومحمد الزاوي إلى القذافي، وكان في مزرعته يوم الجمعة قرب طرابلس، ليناقشوه وكان متوتراً. في الساعة التاسعة ليلاً أبلغنا الأميركيون أن الخبر قد يتسرب إلى الصحافة وإذا تسرب «احترق» كل شيء. وكنا نعدل في مشروع البيان ونضيف أن ليبيا لديها برامج كانت «قد تؤدي» أو «ستؤدي» أو الصياغة الأفضل إلى أن أقنعناهم أخيراً أن أتحدث أنا ومعمر يؤيدني، لكنه قال «لا»، «أنا ما ليش دعوى». قلت له أيها الأخ القائد، بلير وبوش ينتظرانني، فضحك وقال لي «يا سلام من أنت الذي تتصور أن بلير وبوش

ينتظران حضرتك لتطل بطلتك البهية وهما يتداعيان ويتسابقان ويتقافزان للتعليق على كلامك أو تأييدك. يا رجل ألم أقل لك إنك بسيط». أخيراً توصلنا إلى أن نكتب نحن بياناً باسم معمر القذافي تبثه وكالة الأنباء الليبية أن القائد معمر القذافي استمع إلى ما قاله أمين اللجنة الشعبية العامة (من دون تسميته كاملة لأن صفتي كانت كبيرة: أمين اللجنة الشعبية العامة للاتصال الخارجي والتعاون الدولي للجماهيرية العربية الشعبية الاشتراكية العظمى!)، المهم قبلوا هم بهذه الصيغة وأنا خرجت وألقيت بياناً في مؤتمر صحافي وبثينا التعليق المنسوب إلى القذافي في وكالة الأنباء فخرج بلير فوراً وعلّق ولحقه جورج بوش الابن واستحسنا ذلك، وهكذا.

ثم بدأنا في برنامج تفكيك أجهزة الطرد المركزي وتسليم بعضها للأميركيين، ثم جاءت وكالة الطاقة الذرية. وبدأنا في تفكيك هذه الملفات «الألغام» إلى أن وصلنا إلى ما وصلنا إليه من تطبيع كامل مع المجموعة الدولية وشطب اسم ليبيا من قائمة الإرهاب ورجعنا إلى وضع الدولة العادية.

◼ هذا يعتبر إنجازاً لأنكم قدمتم للقذافي فرصة لإنقاذ نفسه.

ـ طبعاً، لكن معمر فهمها على طريقته لأنه يعتقد أن هناك قوة غيبية تحميه. الفارق أن جميع مشاكله كانت مع الخارج أما الآن فقد دخل في مواجهة مع شعبه. جزء كبير من الشعب

الليبي كان مع معمر لكن عندما رأوه يقتل الناس تغيّر الوضع.

■ هل كان القذافي يخاف من جورج بوش؟

ـ معمر يخاف جداً من الأميركيين. كان يقول لأوباما: «أنت ابني وتعالوا لنتفاهم على النفط». ومعمر منعزل عن العالم. كان شاباً بسيطاً من جنوب ليبيا، جاء إلى طرابلس، درس في الكلية العسكرية في بنغازي ثم جاء إلى الثورة ووجد حوله من رجال الأحزاب القوميين السلفيين الأفّاقين. لا يتقن لغة أجنبية. فقط بعض الانكليزية من أيام المدرسة. ولم يحاور في شكل متوازن أي طرف في حياته، يتحاور مع من لهم عنده مصلحة. لم يطّلع على كتب تحليلية، لم يجلس مع مراكز بحوث ويتناقش معها بموضوعية. لا يعرف العقلية الأخرى، لا يعرف كيف يُصنع القرار، أو كيمياء العملية السياسية في الغرب والشرق. لا يعرف تفكيك أي مشكلة ليعيد تركيبها. لدينا مشكلة عند العرب خصوصاً الذين أتوا من البادية ووجدوا أنفسهم يحكمون شعوباً. يأتيك عسكري بدوي بسيط يجد نفسه يحكم شعباً متحضراً مثل مصر أو سورية أو العراق فيرجع بها إلى الوراء ويتصرف بعقلية سارق دجاج القرية وهذه كارثة، ثم يخلطون بين الدهاء السياسي الذي هو نوع من الإلمام، مثل تشرشل وتشامبرلين وكيسنجر، وبين ألاعيب صبيان الحواري، أي أن أكذب عليك أو أختفي. القذافي لا يعرف العالم ويريد أن يقدم نفسه للعالم في شكل آخر: في الخيمة وينقل معه الإبل وينظر إلى السماء.

■ **ماذا كان رأي القذافي بالسوفيات الذين كان يشتري منهم السلاح؟**

ـ كان يراقب السوفيات، وفي يوم من الأيام قال لا فرق بين كوسيغين وكيسنجر. وكان كتب في «الفجر الجديد» أن الاتحاد السوفياتي دولة امبريالية في مشكلة الهند وباكستان. لكن المصريين أثّروا في علاقته مع السوفيات. والآن هناك احتمال أصبحت ميالاً إلى تصديقه: بعد حرب ١٩٧٣ وتحول السادات نحو أميركا، خاف السوفيات وحلف وارسو من ترتيبات أميركية ـ مصرية ـ إسرائيلية، ففكروا في وضع أسلحة ضخمة تقليدية في ليبيا، من دبابات ومدفعية يستعملونها في حال حدوث أي تطور، بخاصة إذا تحرك الاتحاد السوفياتي إلى جنوب أوروبا، لأن المخازن التي اكتشفت بعد الانتفاضة مخازن مرعبة: مئات الدبابات والصواريخ والراجمات التي لا يعرفها أحد. أعتقد أن قصة تخزين حلف وارسو أسلحة تقليدية في ليبيا كانت حقيقية، لأن كمية الأسلحة التي ضربتها قوات الـ «ناتو» والتي اكتشفناها واستولى عليها الثوار هي من نوع لا عين رأت ولا أذن سمعت.

■ **هل كان هناك مستشارون سوفيات في ليبيا؟**

ـ طبعاً.

■ **من كان يحكم ليبيا خلال عهد القذافي؟**

ـ الحاكم الأعلى والمطلق والمرجع في الكبيرة والصغيرة هو معمر القذافي. ليبيا لم تشهد في تاريخها أحزاباً سياسية حرة إلا

فترة قليلة (شهور) خلال الحكم البريطاني. ولم تشهد نقابات ولا مجتمعاً مدنياً ولا تنظيمات. صحيح، في العهد الملكي كان هناك مجلس للنواب ومجلس شيوخ وهامش حرية للصحافة وكانت أفضل دولة عربية في القانون والشفافية من دون نقاش. في العهد الملكي عندما ينفد القلم عليك إعادته، رئيس الوزراء عندما عاد إلى منزله الأساسي فُقدت مكواة على الفحم من مقر اقامته فقامت القيامة. جاء القذافي وأزاح كل شيء وبقي هو، لكن تكونت تنظيمات وأجهزة عنكبوتية غريبة بحكم المصالح تداخلت فيها المصاهرة بالمال بالأمن. تداخلت المصلحة وأمن الدولة والمصاهرة مع بعض الكيمياء القبلية وكيمياء مصلحية وكيمياء سلطوية وأصبح للنساء دور وللعائلات دور، لكن في تكوين مغلق. وبقي ٩٩ في المئة من المجتمع على الهامش. يعني، ليبيا لديها أكثر من ١٦٠ بليون دولار في الخارج، والبطالة ٣٢ في المئة، وهذا غير معقول. في ليبيا أعلى متوسط دخل فرد في أفريقيا وهي من الدول العشرين الأكثر فقراً في العالم. كان الأمن ثم الأمن ثم الأمن وكان كرسي القذافي فوق كل اعتبار، حتى سيف الإسلام حاول أن يصلح أو على الأقل قال ذلك، لكن كلما كان يقترب من الأشياء الأساسية كان معمر القذافي يشعر بأن سيف يتحسس كرسيه فيركله بقدمه فلا يجد أمامه إلا أن يهرب. سيف لم يعش في ليبيا أسبوعين متصلين إطلاقاً. كان يهرب. وكان يطمح أن يحكم وأبوه موجود فيبقى أبوه الرمز. في الفترة الأخيرة، من كان يتصرف بالمال على الأقل هو البغدادي

المحمودي رئيس الوزراء وعبر شبكة معقدة وطريقة غريبة في الصرف، فلا يعرف أحد أين هذا المبلغ وأين ذاك. هناك مبالغ أعتقد أنها لم تُكتشف بعد في الداخل أو في الخارج، لأن ليبيا دولة طلاسم، فيها عالم النساء وعالم الليل وعالم المصالح. وكما الشبكات التي قامت في روسيا بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، هناك في ليبيا شبكات مافيا فوق الأرض وتحت الأرض وفي الداخل وفي الخارج لا يعلمها إلا الله.

■ قبل بداية الانتفاضة في ليبيا، من هم الرجال الأقوياء الذين كانوا أصحاب الدور؟

ـ الدور هو ما يريده لك معمر القذافي. عبدالله السنوسي قوي ومرعب (هو عديل معمّر). كان دور عبدالله أن ينفذ ما يطلبه منه القذافي، فإذا قال له فجّر ليبيا فجّرها. هذا ليس قوة بل الضعف المطلق الذي يبدو كأنه قوة مطلقة.

■ ما هي مسؤوليات عبدالله السنوسي الآن بعد أن كان مسؤول الاستخبارات؟

ـ نظرياً هو مسؤول الاستخبارات، ولكن قيل إنه أزيح وحل محله ابن عم القذافي. السنوسي هو الذي يقود الحرب الآن عملياً، وهو الذي يقتل بيده وهو الذي قاد أول مجزرة في كوبري جيليانة في بنغازي وقَتَل فيها ٢٢٠ شاركه في ذلك ابنه محمد.

■ وماذا عن موسى كوسى؟

ـ كان مهماً بحكم منصبه، كان فقط موظفاً.

■ **من يتخذ قرار قتل معارض مثلاً في ليبيا؟**

ـ معمر القذافي شخصياً، حتى إذا فكر أي مسؤول في قتل أحد، فلا بد من أخذ موافقة معمر القذافي.

■ **هل كان دور شكري غانم وزير النفط ورئيس الوزراء الذي انشق مهماً؟**

ـ شكري غانم، للأمانة، كان صريحاً وكان يتحدث بثقة أمام القذافي، حاول الإصلاح لكن كان ذلك صعباً لأنك لا تستطيع أن تصلح إطلاقاً وزوجة هنيبعل (ابن القذافي) اللبنانية ترسل طائرة «ايرباص» من طرابلس إلى بيروت لإحضار كلب. من يستطيع أن يقول لها لا. هل يستطيع رئيس الوزراء أن يقول لها لا؟ من يستطيع أن يقول لعائشة ابنة معمر القذافي ألا تأخذ طائرتين لتذهب إلى بريطانيا لتلد هناك أو لتقيم حفلات. هل يستطيع أحد؟ من يستطيع أن يقول لمعتصم معمر القذافي ألا يصرف في سهرة واحدة أربعة ملايين دولار على المطربات (خارج ليبيا)؟ من يستطيع أن يقول لسيف الإسلام لا تصرف كذا مليون في عيد ميلادك في البندقية أو في سردينيا أو في الكاريبي؟ من يستطيع أن يقول لمعمر القذافي لا تبعث وفوداً تحمل حقائب ملأى بالملايين توزعها على هذا وذاك لتمرير قرار هنا لهذه المناسبة أو تلك، (لأن الحصول على) السلاح كان مستحيلاً.

■ ممن تتكون عائلة القذافي؟

ـ متزوج من امرأتين، له من الأولى ابنه البكر محمد، مهندس يمسك بمملكة الاتصالات ولا أحد يحاسبه، واللجنة الأولمبية والشركات والاتصالات الخلوية (تدر) بلايين لا يعلم بها أحد ولا يخضع لرقابة. ومن الزوجة الثانية الابن الأكبر سيف الإسلام وابنة القذافي عائشة وأبناؤه الآخرون الساعدي والمعتصم وسيف العرب وخميس وهنيبعل.

■ هل تم توزيع الجيش على الأبناء؟

ـ لا يوجد جيش في ليبيا. لقد تم حلّه واستبدل بالشعب المسلح الذي هو عبارة عن كتائب أمنية يقودها إما أولاد القذافي أو أصهاره أو أبناء عمه. وزير الدفاع أبو بكر يونس مسكين وآخر من يعلم.

■ هل كنت مقرباً من سيف الإسلام وماذا تعرف عنه؟

ـ سيف كان يتكلم عن المجتمع المدني باندفاع كأنما يريد أن ينتقل فوراً من سنة ثالثة ابتدائي إلى سنة ثالثة جامعة، ويريد أحزاباً ومجتمعاً مدنياً وشفافية، ويريد حتى الحد من غلواء تصرفات إخوته، وهو معجب بدول الخليج وعُمان وأوروبا ويريد انفتاحاً وتعليماً، ثم اكتشفنا فجأة أنها كلها تمثيلية وكانت مجرد توزيع أدوار. عندما بدأ القتل انحاز إلى المذابح وصعد إلى دبابة وحمل رشاشاً يتوعد الليبيين بالتجزئة والقتل وتدمير النفط. كانت لنا جلسات طويلة يستمع إليّ وينتقد، وفي أحيان

كثيرة حين يقع خلاف بيني وبين أشخاص متنفذين في الدولة يؤيدني.

■ ما علاقتك بباقي أبناء القذافي؟

ـ لا علاقة بيننا كما مع سيف. علاقتي بمعتصم سيئة. كان أمين مجلس الأمن الوطني وهو إنسان متغطرس ومتكبر ونزق، لكن الساعدي كانت علاقتي معه ودية، والبقية قلّما رأيتهم. سيف العرب مثلاً لم أره في حياتي، خميس رأيته مرتين، محمد مرة واحدة فقط، لكنهم كانوا يحترمونني لأن معمر كان دائماً يحميني ويدافع عني وينحاز إلي حتى مع أولاده.

■ **من الذي يدير ليبيا عملياً؟ الشخص الذي يقول إن لا صفة رسمية له هو صاحب القرار النهائي؟**

ـ يشرف القذافي حتى على تفاصيل التفاصيل. حتى الإدارة المحلية فكّكها، لا توجد محافظات أو ولايات، اللجان الشعبية كذبة. هو يدير كل شيء عبر الهاتف. هناك بعض الأمور اليومية يتولاها رئيس الوزراء، وأيضاً رئيس الوزراء البغدادي لديه ملايين وأموال طائلة جداً هو وعائلته وأصحابه وينفذ تعليمات معمر في شكل أعمى.

■ **كيف يمضي معمر القذافي نهاره وأنت تعرفه منذ عقود؟**

ـ ينام متأخراً. يسهر دائماً مع شعراء ومغنّين وأحياناً يُعزف له على العود، ويستيقظ متأخراً حوالى العاشرة أو الحادية عشرة

ولا يحب العمل المبكر ولا يحب المواعيد سواء كان الزائر وزيراً أم رئيساً. وعندما كنت أحدثه عن المواعيد كان يعتبرها قيداً وهو لا يحب القيود. يذهب إلى الصحراء دائماً. ولا يعمل إلى طاولة بل يجلس على فراش بسيط على الأرض ويقابل الناس وكبار السن ويحضر أفراح أقاربه.

يستقبل رؤساء الدول، لكنه لا يحب تحديد المواعيد. إذا زاره وزير عليه أن ينتظر حتى يستيقظ ويقرر استقباله فيطلبه بسرعة، أو رئيس دولة يطلب إحضاره فور وصوله إلى المطار، أحياناً يبقيه يوماً قبل أن يقابله، وفق مزاجه والظروف.

■ هل هو ورع ومؤمن في حياته الشخصية؟

ـ الإيمان يعلمه الله. هو يصلّي دائماً ويقول إنه يصوم أيام الاثنين والخميس، ولا يشرب الخمر إطلاقاً ولا يدخن، تدخينه في القمة العربية كان تعبيراً عن الغضب وعدم الرضا فقط. قليل الأكل يأكل الأطباق الليبية والمعكرونة والكسكس ويكثر من شرب لبن النوق.

■ ما معنى الخيمة التي ينصبها في أسفاره؟

ـ الخيمة تعبير عن أنه بدوي، وهذه التي كانت تعتبر تقليلاً من قيمة البدوي يريد تقديمها تعبيراً عن قوة واعتزاز وأصالة، أي تعيّرونني بكوني بدوياً فأنا أعتز بذلك.

■ ما قصة «الكتاب الأخضر»؟

ـ بعد الوصول إلى السلطة في أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ كانت كل الأصوات تسأل متى يعود الجيش إلى ثكنه، متى تقوم دولة مدنية، متى تحصل انتخابات، متى تكون عندنا جمهورية أو دولة؟ القذافي، وكما تبين لاحقاً، خطط أن يبقى في الحكم إلى ما لا نهاية وأن يبقى الحاكم الأوحد والمطلق، وهو ذكي جداً من دون شك. شاب بقي يتآمر عشر سنوات تحت الأرض قبل الإمساك بالسلطة. تفكيره كله تآمري: في السياسة، في الاقتصاد، في العلاقات الشخصية، في العلاقات العامة. واستطاع أن يوحي لليبيين كل مرة بوجود برنامج لتغيير المحافظات، والتنظيم الإداري والبرنامج الاقتصادي، ثم يحيله ثم يلتقي أشخاصاً معينين فيعطيهم أيضاً هذا الوعد. فلما رأى أن الناس بعد الانقلاب ووصوله إلى الحكم تتحدث عن ضرورة قيام دولة ونظام مثل باقي العالم كتب «الكتاب الأخضر» وأوحى للناس أنهم جميعاً سيستفيدون، مثلاً «شركاء لا أجراء» الشركة يملكها العمال. «البيت لساكنه» فإذا كنت مستأجراً منزلاً من صاحبه يصبح ملكك. «السيارة لمن يقودها» فإذا كنت تعمل سائقاً تصبح السيارة ملكاً لك. . . إذاً هناك طبقة استفادت. لكنه قضى على الطبقة الوسطى. ثانياً، أنشأ كليات للبنات في الجيش وفي الشرطة. والمرأة لها الحرية المطلقة وكسر منظومة القيم. حرر المرأة نظرياً، لكنه ضرب منظومة القيم، المرأة تستطيع العودة إلى بيتها في الساعة الثالثة (فجراً) من دون أن يستطيع أبوها محاسبتها. انتشرت ظواهر فساد فظيعة، وثانياً لا رقابة، فلا أحد يُحاسَب إذا سرق.

■ هل يحب القذافي المال؟

ـ لا، فماذا يفعل بالفلوس؟ هو من جماعة «لنا الصدر دون العالمين أو القبر»، أي إما في الحكم وإما في القبر. وحين يكون في الحكم يعتبر كل المال له أو بتصرفه. لا أعتقد انه يلمس الفلوس بيده، فهو بالهاتف يصدر الأوامر بالدفع لفلان، أو بشراء بيت لفلان، أو بعلاج فلان، أو إدفع مليوناً لفلان؛ فالفلوس كلها له... مثل من لديه بطاقة ائتمان فلا يحمل فلوساً نقدية أبداً لسنوات، الفلوس كلها له، أنت ومالك لأبيك، ليبيا وما بها ومن بها له.

■ نعود إلى «الكتاب الأخضر».

ـ صاغه بطريقة من يريد إبقاء حكمه مفتوحاً، فهو قائد لا يحكم ولا يوقّع أوراقاً ولا تستطيع أن تحاسبه إذا بقي في الحكم ٢٠ أو ٣٠ سنة، فهو يقول أن الشعب هو الحاكم.

■ لا يوقّع أوراقاً ولا صلاحيات له؟

ـ إطلاقاً. هو قائد الثورة فقط. لا يحاسَب ويقول أنا رمز. المقربون منه عندما يرزقون بولد أو بنت هو الذي يسمي المولود ويتدخل في تفاصيل التفاصيل. من الناحية النظرية يقول إنه لا يحكم، لكن في ما يسمى قانون الشرعية الثورية، وهو نص مكتوب، أي كلمة يقولها أو أي خطاب هو قانون واجب التنفيذ.

تتهمه بكسر منظومة القيم وإفساد المجتمع؟

ـ الأنظمة الديكتاتورية لها مشتركات عبر التاريخ من تيمورلنك إلى المماليك إلى الحكام بأمر الله إلى أصحاب الحاكمية: أولاً، كل نظام ديكتاتوري لا بد من أن ينتهي بكارثة من هتلر إلى يوغوسلافيا إلى العراق إلى الصومال إلى ليبيا وفي أي مكان. ثانياً، أي نظام ديكتاتوري يجد نفسه أوتوماتيكياً يعمل على كسر منظومة القيم لجعل الناس لا ولاء لها لبيتها، فما بالك بالوطن. الآن أصبح همّ المواطن الليبي الحصول على بيت. همّه الحصول على سيارة. مثلاً أنا كان عندي منزل من البيوت التي بناها الإيطاليون، وفي اتفاق ١٩٥٦ كان هذا البيت منزلاً لقائد القوات البحرية الإيطالية، هو بيت جميل وأجريت عليه تعديلات واشتريت أيضاً مزرعة من صديق كان اشتراها من معمّر إيطالي، وعندي مزارع في الجنوب ورثتها عن أبي، ولدي حوالى ٦ آلاف شجرة زيتون وحوالى ٥ آلاف نخلة، ولدي علاوات السفر: الوزير الذي يغادر صباحاً ويعود إلى ليبيا مساء مثلاً يتلقى ٥ آلاف يورو يومياً، حتى لو ذهب إلى تونس التي تبعد ساعة واحدة. أنا مثلاً أسافر خمس مرات في الشهر فأتلقى ٢٥ ألف يورو. وتركت في خزنتي حوالى ٢٠٠ ألف يورو وقد هجموا على منزلي وأخذوها كلها. لدي في مكتبتي ٢٣ ألف كتاب رُميت في الشارع، كذلك مجوهرات زوجتي، التحف الخاصة بي، لدي العود الذي عزف عليه السنباطي «الأطلال»، والعود الذي عزف عليه سيد درويش آخر مرة في حلب. كلها رميت في الشارع وكسرت ونهبت. الناس تقول:

هذا الرجل غبي لديه كل هذا، فكيف يتخذ موقفاً ضد القذافي؟ قصة الحرية والديموقراطية والوطن. سألني أحدهم: يا أخ عبدالرحمن، ألم تكن لديك مزرعة؟ ألم يكن لديك قصر؟ قلت، يا أخي لا أريد مزرعة ولا قصراً، أريد وطناً.

■ هل كان لديك شعور أنه ليس لديك وطن خلال حياتك في ظل القذافي؟

ـ هذا سؤال مهم وقد سألني كثيرون: كيف كنت مع القذافي وتعمل معه عملياً من ١٩٧٤؟ أنا حُكم عليّ بالإعدام مرتين، ووضعت في إقامة جبرية ستة أشهر. المرة الأولى التي حُكمت فيها بالإعدام كنت رئيس تحرير «الأسبوع السياسي» وإذا بمعمر القذافي يستدعيني ذات صباح ويقول لي إن على جميع الموظفين الذين يعملون في المطبوعة مغادرة عملهم، فهذا تنظيم حزب شيوعي. قلت لمعمر: كيف أسرّح جميع العاملين. قُل لي الملاحظات ونعرضها في الاجتماع الأسبوعي للمطبوعة. ثم من يكتبون عن الشيوعية قاموسهم ماركسي أصلاً، فقُبض علينا وكنا عشرين شخصاً. أُفرج عني بتعليمات من القذافي، أما الباقون فحكم عليهم بالمؤبد. ذهبت إلى المحكمة وكنت شاهد النفي الوحيد. ورتبت لي محاولة اغتيال من جماعة اللجان الثورية في حادث اصطدام شاحنة بسيارتي وأصبت بكسور وبقيت في مستشفى في لندن مدة شهرين، هذا في ١٩٧٩ بعد أن كنت ذهبت إلى المحكمة وضُغِط على القاضي فلم يطلبني للشهادة، وكنت أتيت من المستشفى على

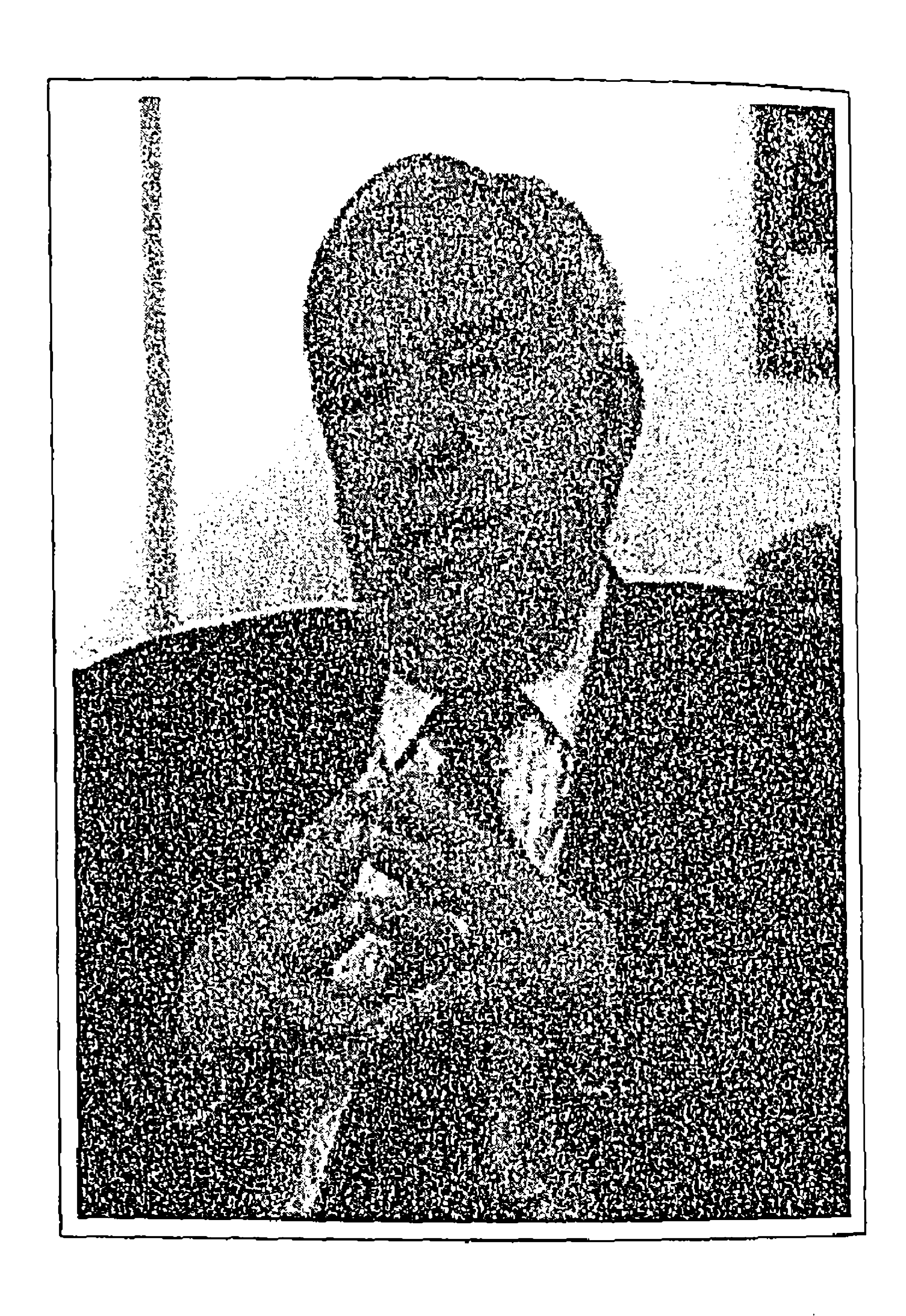
نقالة بعد تعرضي لكسور في الحادث. وباعتباري عضواً في اللجان الثورية ـ أو ثورياً ـ اعتبرتني اللجان الثورية خائناً، واقترحوا إعدامي شنقاً في ٧ نيسان/ أبريل وهو التاريخ الذي عادة يُشنق فيه المعارضون. للحقيقة، معمر القذافي أخرجني من السجن ومنع إعدامي. وباقي الموظفين مكثوا جميعاً في السجن عشر سنوات ثم أفرج عنهم.

في ١٩٨١ كنت وزيراً للإعلام ومسؤولاً عن وكالة الأنباء، ألقى معمر القذافي محاضرة في المدرج الأخضر وتحدث عن التاريخ وقال إن هتلر مظلوم، ولو انتصر في الحرب لاعتُبر بطلاً، فالتاريخ يدين المهزومين. في اليوم نفسه كانت هناك طائرات ليبية تنقل أسلحة لثوار نيكاراغوا فهبطت في البرازيل وفُتشت ووجدوا فيها أسلحة فاحتجزت. أرسل القذافي برقية يعتذر فيها ويتأسف لرئيس البرازيل. أنا راجعت المحاضرة التي ألقاها وحذفت كل ما ذكره عن هتلر. وفي برقيته إلى الرئيس البرازيلي في النسخة التي ستوزع خارج ليبيا أبقيتها كما كانت، وفي النسخة التي ستوزع داخل ليبيا حذفت الاعتذار والتأسف. بينما كنت مغادراً عملي من وكالة الأنباء حوالى الواحدة والنصف (فجراً)، وزوجتي حامل بابني البكر محمد، تلقيت اتصالاً في الثانية إلا ربعاً من شخص يقول لي: تعال إلينا بسرعة، فشتمته قائلاً: هل أنا موظف عندك لآتيك بسرعة؟ قال لي: القائد يريدك بسرعة. فذهبت ووجدت أشخاصاً من وكالة الأنباء ودخلت على القذافي فوجدت معه أكثر من عشرين شخصاً بينهم: موسى كوسى، مصطفى الزهدي، وعتاة اللجان

الثورية، وكلهم مسلحون بمسدساتهم ومعمر في الوسط. فقلت في نفسي هذا مشهد إعدام. أول ما دخلت رمى عليّ صحيفة «الفجر الجديد» وقال لي: ما علاقة والدك بعائلة سيف النصر؟ (كانت تحكم الجنوب في السابق وأحدهم كان ضرب معمر القذافي)، قلت له: مثل علاقتي بك. كان هناك طوارق يحاولون فصل فزان عن ليبيا وضمها إلى الجزائر ووالدي حريص على وحدة ليبيا وعائلة سيف النصر تدافع عن الوحدة فانضم إليهم والدي وتحالف معهم وهم عائلة مجاهدة. فغيّر الموضوع وقال: كيف تحذف كلاماً من محاضرتي؟ قلت له: أيها الأخ القائد لأن هذا الكلام لو نشر في الخارج ستصدر مانشيتات: القذافي يدافع عن هتلر، وهذا خطأ ولن يقرأ أحد التفاصيل، فسكت. قال: يا (. . .) كيف تغير برقيتي؟ قلت هذه برقية سياسية في الخارج لكي تؤدي مفعولها أرسلتها بنصها، لكن أمام الليبيين معمر القذافي قائدهم يعتذر ويتأسف هذا لا يجوز، فسكت وابتسم ونهض. وقال لي: أنت مثقف وثوري ونظيف، أنت لست مثل «الإبراهيمات» ـ كان معي ابراهيم البشاري وإبراهيم بجاد وإبراهيم صكّح في الإعلام. فقال لي: أنت ثوري ونزيه ومثقف. علمت في ما بعد من صالح الشيخي الذي كان رئيس المحكمة الثورية أنه قبل أن آتي كُتب حكم أنه بمجرد أن يقول القذافي انطقْ يا صالح بالحكم يقول: حكمت المحكمة الثورية على عبدالرحمن محمد شلقم بالإعدام رمياً بالرصاص، فيطلقون عليّ جميعاً النار في الوقت نفسه، بعد أن يغادر القذافي القاعة، فيضيع دمي بين القبائل،

وأعاد الشيخي عليّ هذا الكلام في السنة الماضية عندما التقينا في معرض الكتاب الدولي في طرابلس، قال لي: أنت خرجت يومها مثل الشعرة من العجينة.

في قضية «الأسبوع السياسي»، بقيت ستة أشهر في الإقامة الجبرية. وعبدالله السنوسي كان يقول لي إن لدينا حكومة ائتلافية، قلت له كيف؟ قال: «أنت من «الكلاب الضالة» من المعارضة وأنت في الحكومة»، لأنني دائماً أنتقد وأتحدث. وفي آخر لقاء يوم ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٠ ـ قبل أحداث تونس بعشرة أيام ـ جلست ساعتين و١٨ دقيقة مع معمر القذافي وقلت له (في) البلد فساد، رشى، انهيار، وكان يقول لي: حق حق حق.



علي عبدالسلام التريكي



ما أصعب أن تكون وزيراً للخارجية ويحمّلك الأخ القائد رسالة إلى زعيم عربي يستهلها بعبارة «أنت رجل عميل». وما أصعب أن ترافق القائد في أسفاره أو مشاركته في القمم لأن باب المفاجآت يبقى مفتوحاً على مصراعيه. وما أصعب أن تكون رئيساً للجمعية العامة للأمم المتحدة ويأتي زعيم بلادك ليرمي ميثاقها ويحقّرها. وما أصعب أن تلتقي بوكاسا وعيدي أمين وموبوتو سيسي سيكو وأن يحاول نظيرك الأفريقي السطو على الطائرة الخاصة التي أقلتك.

إنها مهمة شاقة أن تحاول تسويق ما لا يمكن تسويقه. وأن تحاول تحسين صورة بلد تعتمد أجهزته الأخرى ديبلوماسية التسليح والتفجير واصطياد «الكلاب الضالة». إنها مهمة شاقة أن تكون وزير خارجية رجل مريض يزعم أن التاريخ انتدبه لمهمة كبرى، وأنه قادر على تغيير العالم بكتيب ساذج ما كان العالم ليحفل به

لولا الذهب الأسود النائم تحت ثياب الصحراء المترامية.

كنت أبحث عن الدكتور علي عبدالسلام التريكي، الذي أمضى أربعة عقود في شؤون ديبلوماسية الجماهيرية وشجونها. اغتنمت مروره في باريس فوافق على مغادرة صمته. تعمدت أن يكون الحوار أشبه بدردشة طويلة لإنعاش ذاكرته. سألته عن معمر القذافي وعلاقاته بزعماء وقادة، ولم يبخل بالإجابات.

غضب القذافي من «خيانة» عبد الرحمن شلقم الذي انحاز إلى الثورة وقرر تعيين التريكي خلفاً له مندوباً لليبيا لدى الأمم المتحدة. تظاهر التريكي بالقبول وحين خرج انشق عن النظام. تسلط رواية التريكي الضوء على أسلوب ومواقف وعلاقات:

■ ما هو شعورك بعد هذه التجربة الطويلة؟

ـ الحقيقة، إنني سعيد بهذه التجربة في العمل الديبلوماسي. عملت وزيراً للخارجية ثلاث مرات ومندوباً لدى الأمم المتحدة ثلاث مرات، وتوليت رئاسة الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس وزراء الخارجية العرب ومجلس وزراء خارجية الدول الإسلامية، وتوليت أيضاً رئاسة مجلس وزراء الخارجية للبلدان الأفريقية أكثر من مرة. ومثلت كذلك ليبيا في قمم عربية

وأفريقية مرات عدة. إنها تجربة طويلة التقيت خلالها ١٢٨ زعيم دولة وقسماً منهم مرات عدة.

■ ذهبت باكراً إلى أفغانستان؟

- نعم ذهبت إلى أفغانستان والتقيت الملك ظاهر شاه. كان الهدف من إحدى الزيارات فتح كلية إسلامية بعدما فتح الاتحاد السوفياتي الشيوعي معهد بوليتكنيك بناء على طلب بعض المسؤولين. وأنشأنا أيضاً إذاعة اسمها «صوت الإسلام». كان ذلك في عام ١٩٧٣. ثم كرت سبحة الانقلابات فالتقيت من تعاقبوا على موقع القرار، محمد داود خان ثم حفيظ الله أمين ثم بابراك كرمل. أي أنني التقيت الملك ثم الذين انقلبوا عليه وتقاتلوا، وكانت سلسلة الأحداث دموية.

في إثيوبيا حدث الشيء نفسه تقريباً. التقيت الإمبراطور هيلاسيلاسي ثم لاحقاً من انقلبوا عليه خصوصاً منغيستو هايلي مريام. هذا الأمر أتاح لنا متابعة التحولات التي كانت تشهدها بعض الدول. في العلاقات بين الدول يجب أن تعرف مع من تتحدث وما هي سياسته وتحالفاته ومصالحه.

■ كيف وجدت شخصية هيلاسيلاسي؟

- كان ديكتاتوراً، لكنه كان زعيماً تاريخياً للمسيحيين في إثيوبيا ولقبيلة الأمهرة بالذات. كان أيضاً أحد مؤسسي منظمة الوحدة الأفريقية وكان يحظى باحترام في صفوفها، خصوصاً أنه أقام علاقات جيدة ومتينة مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

■ ماذا كان موقف ليبيا حين حصل التدخل العسكري السوفياتي في أفغانستان؟

ـ كان موقفنا شبيهاً بموقف معظم الدول في العالم الإسلامي وهو معارضة هذا التدخل. اعتبرنا أن التدخل يمثل خطورة على العالم الإسلامي والعالم العربي. طبعاً من دون أن ننسى أن قيام ثورة في أفغانستان ضد نظام متخلف أثار آمالاً بتحقيق تقدم. كنا في الواقع نشعر بقلق على باكستان من سياسة الاتحاد السوفياتي ولم يكن يريحنا وجود نظام ماركسي شيوعي في أفغانستان المتاخمة لباكستان. وقد قمت في تلك الفترة بوساطة بين أفغانستان وباكستان لتبريد الخلافات على الحدود بينهما وتكللت بالنجاح.

■ كيف كانت علاقة القذافي مع هيلاسيلاسي؟

ـ لم تكن للقذافي علاقة طيبة معه. السبب العلاقات المميزة التي كانت قائمة بين إثيوبيا وإسرائيل. طلب معمر نقل مقر منظمة الوحدة الأفريقية من أديس أبابا إلى القاهرة. كنت مديراً للدائرة الأفريقية واعترضت على الطلب وقلت إنه يعطي للأفارقة انطباعاً أن العرب يريدون الهيمنة على المنظمة الأفريقية. اقترحت نقل المقر إلى عاصمة أفريقية أخرى وكان التجاذب شديداً، فميثاق المنظمة انطلق من أديس أبابا واستمرت الحال على ما هي عليه ثم جاءت الثورة في إثيوبيا.

■ كيف تعاطيتم مع التغيير الذي حصل في إثيوبيا؟

ـ كنت أول أجنبي يزور أديس أبابا بعد التغيير. كانت السلطة في يد لجنة عسكرية برئاسة ضابط برتبة لواء. اكتشفت خلال اللقاء أن اللواء عندوم كان يتحدث بعبارات عامة ويؤكد لي أن ما سمعته من الأعضاء الآخرين في اللجنة العسكرية هو الحل. وحين اجتمعت بأعضاء اللجنة قبل ذلك لفت نظري أن ضابطاً برتبة رائد بدا صاحب نفوذ بينهم، وقالوا لي إن اسمه منغيستو هايلي مريام. أدركت خلال زيارتي أن اللواء مجرد ستارة تشبه ما كان عليه محمد نجيب في مصر، أي واجهة بانتظار انتقال المقاليد إلى الرجل القوي وهو منغيستو، وهذا ما حدث. كتبت بعد عودتي تقريراً بهذا المعنى. وقعت تجاذبات بين الثوار وكان منغيستو الأكثر قوة ودموية وتولى تصفية رفاقه.

■ **كيف كانت علاقة القذافي بمنغيستو؟**

ـ كانت جيدة على رغم أن منغيستو ماركسي. في تلك المرحلة كان السوفيات يفضلون الجناح الحزبي المدني في حين قدمنا نحن مساعدات عسكرية للجناح العسكري أي لفريق منغيستو. كنا نعتبر أن إسرائيل تفرض حصاراً على الأمة العربية من أديس أبابا إلى السنغال. أقامت إسرائيل علاقات مع هذه الدول وكان لا بد من كسر هذا الحصار. في ١٩٧٣ ساهمت الجهود العربية والليبية في كسر هذا الحصار وأقنعنا هذه الدول بقطع علاقاتها الديبلوماسية مع إسرائيل.

■ **هل أفهم أن القذافي كان يكره الشيوعية والشيوعيين؟**

ـ نعم.

■ كيف كانت علاقته مع الاتحاد السوفياتي؟

- يجب أن نتذكر هنا أننا نتحدث عن مرحلة مختلفة في العالم العربي وفي العالم ككل. كان هناك عالم القطبين وكانت الانقلابات العسكرية والانتفاضات شائعة. حتى بالنسبة إلى القذافي يجب التمييز بين السنوات الأولى والسنوات التي تلتها. الشعارات التي رفعها القذافي في السنوات الأولى حول الوحدة وقومية العمل الفدائي وغيرها، وكانت استعادة لشعارات عبد الناصر، أثارت حماسة كثيرين. بعد محاولة الانقلاب ضده في ١٩٧٥ تغير القذافي. لم يعد يثق بأحد وانهمك بالمحافظة على سلطته وتفكيك أي مصدر محتمل للخطر. هكذا بدأت الممارسات التي تحولت كارثة في النهاية.

■ رافقت القذافي في محادثاته مع الزعماء السوفيات. فكيف كانت؟

ـ التقى القذافي خلال زيارته بكل من ليونيد بريجنيف وقسطنطين تشيرنينكو وميخائيل غورباتشوف. كان معمر في البداية يكره الشيوعية والشيوعيين. وكان يعتقد أن الاتحاد السوفياتي لم ينفذ تماماً تعهداته لعبد الناصر. وفي ١٩٧٣ كان للرئيس الجزائري هواري بومدين ملاحظات من هذا النوع تحدثنا فيها. وقد دفعت الجزائر نقداً للاتحاد السوفياتي ثمن الأسلحة التي احتاج إليها عبد الناصر في تلك المرحلة.

لم يكن القذافي مؤيداً لأي هيمنة سوفياتية على حركة عدم الانحياز. وفي قمة الحركة في الجزائر في ١٩٧٣ قال القذافي

إن الدول المؤيدة للاتحاد السوفياتي ليست في الواقع دولاً غير منحازة. ثم إن القذافي كان يريد إقامة علاقات مباشرة مع الجمهوريات ذات الأكثرية الإسلامية في الاتحاد السوفياتي ومن دون المرور بموسكو. كلفني القذافي بزيارة هذه الجمهوريات لإقامة مثل هذه العلاقات، فما كان من السوفيات إلا أن أحضروا هؤلاء إلى موسكو والتقيتهم في الكرملين، ولم يتح لي زيارتهم في جمهورياتهم وكانت الرسالة واضحة.

■ كيف تعامل السوفيات مع معمر القذافي؟

ـ كانوا حريصين على فتح علاقات واسعة مع العرب بعدما تبنوا عبد الناصر وفكرة السد العالي، وكانوا يتطلعون إلى وجود كبير في الوطن العربي. لهذا كانوا يحرصون على مراعاة الفئات التي أطاحت أنظمة مؤيدة للغرب. والواقع أنهم سايروا القذافي على رغم صدامات أو ممارسات مستغربة كانت تحدث أحياناً. على سبيل المثل كانت المحادثات ذات مرة تجري في الكرملين والتفت القذافي إلى ساعته وقال: حان موعد صلاة العصر. وهكذا توقفت المحادثات ليصلي القذافي في الكرملين. ولعلها كانت المرة الأولى التي يقيم فيها السوفيات حفلة على شرف زعيم زائر ولا يقدمون الخمر. كان القذافي يكره أميركا ويحمل على الدول الحليفة لها أو الصديقة وربما يتحرش بها لكنه لم يكن سوفياتياً في حساباته ولا تابعاً على رغم شراء السلاح من السوفيات.

■ لم يكن القذافي يشرب الخمر؟

ـ لا. على الأقل هذا ما أعرفه.

■ ألم يكن يدخن؟

ـ قليلاً جداً. وقصة التدخين في المؤتمرات أحياناً كانت مقصودة.

■ حول ماذا أيضاً كان يصطدم بالسوفيات؟

ـ كانت لديه مآخذ على أوضاع الجمهوريات الإسلامية المنضوية في الاتحاد السوفياتي. ناقش السوفيات أحياناً في طبيعة علاقاتهم بدول حلف وارسو وكان يعتبرها نوعاً من الهيمنة. كان يريد من موسكو موقفاً أشد في النزاع العربي ـ الإسرائيلي. كان بومدين أيضاً يريد مثل هذا الموقف من السوفيات لكنه كان يعتبر أن على العرب أن يقدموا شيئاً بدورهم، لهذا اقترح في قمة الصمود والتصدي التي عقدت في دمشق، وبعد اختيار مصر طريق كامب ديفيد، إقامة تحالف استراتيجي مع السوفيات، لكنّ ذلك لم يتحقق. في السنوات الأولى لم يسمح القذافي للأسطول السوفياتي بزيارة الموانئ الليبية، في سنواته الأخيرة كان الموقف مختلفاً.

■ أرغمت ليبيا طائرة قادة الانقلاب على الرئيس جعفر نميري على الهبوط في أراضيها وسلمتهم للنميري الذي أعدمهم وقام بتصفية الحزب الشيوعي؟

ـ كنت رئيساً للدائرة العربية في وزارة الخارجية. تمت العملية بموجب اتفاق بين القذافي والرئيس أنور السادات. للأسف قام النميري بإعدام قادة الحزب الشيوعي ومن تسلمهم من طرابلس.

■ كيف كانت علاقات القذافي مع السادات؟

ـ كان القذافي يستقبل وزير دفاع غينيا حين أبلغ باندلاع حرب ١٩٧٣، فسارع إلى القول: «بدأت المسرحية». كان القذافي مطلعاً على وجود استعدادات للحرب وقدمت ليبيا بعض المساعدات بما فيها قوارب استخدمت في العبور، لكنه لم يكن مطلعاً على موعد الحرب وكان لديه شعور بأنها مدبرة. على رغم ذلك انتقل القذافي إلى القاهرة وزار غرفة العمليات. استنتج معمر أن الجيش المصري لم يُهزم عسكرياً بل بسبب القرار السياسي المصري. بدأ التوتر في العلاقات وبلغ مرحلة الصدام على الحدود. أنا في الحقيقة كنت أرى مخاطر القطيعة مع مصر مهما كانت الخلافات مع النظام القائم فيها. وبوساطة من الرئيس الغيني أحمد سيكوتوري التقيت نائب رئيس الوزراء المصري حافظ غانم في كوناكري كما التقيت بالدكتور محمود رياض وزير الدولة المصري للشؤون الخارجية بمبادرة من أياديما رئيس توغو. القطيعة العربية مع مصر كانت من القرارات المكلفة. في أول قمة للصمود والتصدي صغت مع عبد العزيز بوتفليقة، وكان وزيراً لخارجية الجزائر، بياناً قلنا فيه إن الأمة العربية ضعيفة بلا مصر ومصر لا شيء من دون الأمة العربية.

■ حضرت قمة بغداد التي قررت معاقبة مصر ونقل مقر الجامعة العربية منها، من كان متحمساً من القادة العرب لطرد مصر؟

ـ أكرر القول أن الرد العربي الأول لم يكن ذكياً وجر السادات إلى استخدام أسلوب العنجهية والمكابرة. في القمة كان صدام متحمساً لاتخاذ موقف متشدد من مصر. وكان حافظ الأسد متحمساً هو الآخر. هناك مأساة في العلاقات العربية لا تغيب حتى في أصعب الظروف. كان الود مفقوداً بين صدام والأسد وانعكس ذلك بوضوح في تصرفات الأول الذي استبعد أطراف جبهة الصمود عن المشاورات، ما دفعنا إلى مقاطعة الاجتماع، إلى أن تغير الأسلوب فشاركنا. شعرنا أن صدام يتشدد في الموقف من مصر وأن هدفه الآخر إضعاف الأسد. طبعاً لم يكن صدام قد تولى الرئاسة بعد لكنه كان المهيمن على القرار العراقي من موقعه نائباً للرئيس. لم يحضر القذافي تلك القمة وكان الوفد الليبي برئاسة أبوبكر يونس جابر رحمه الله.

■ كيف كانت علاقات القذافي مع صدام حسين؟

ـ كانت سيئة ومتوترة والأسباب كثيرة. ترك غياب جمال عبد الناصر فراغاً في العالم العربي أو على الأقل في جزء منه. هناك من حلم بملء هذا الفراغ. بعد زيارة السادات إلى القدس تعامل صدام مع مصر بوصفها «الرجل المريض». كان يعتقد أن حزب «البعث» قادر على وراثة دور الناصرية، خصوصاً أن العراق بلد يملك إمكانات مالية وثروة نفطية. السلطة المطلقة

تشجع صاحبها على هذا النوع من الأحلام. المشكلة أن بعض الذين يخوضون في هذا النوع من التجارب يتجاهلون الحقائق الإقليمية والدولية وغالباً ما يكونون عاجزين عن فهم موازين القوى. لهذا تأتي النتائج كارثية. وقد دفعت الأمة العربية أثماناً باهظة لحروب الزعامة والأدوار والمبالغات وسوء التقدير.

معمر القذافي أيضاً وقع في وهم الدور الكبير ووراثة دور مصر أو التأثير في قرارها. مشكلة بعض الرجال أنهم لا يعرفون العالم ويتوهمون القدرة على تغييره من دون الالتفات إلى الحجم الحقيقي لبلدانهم. القذافي وقع في وهم تغيير العالم بأسره.

كانت هناك كراهية متبادلة بين صدام ومعمر ترجمت على الأرض. خلال النزاع الليبي ـ التشادي قدّم صدام أسلحة متطورة لحسين حبري لمعاقبة القذافي. في المقابل أيد القذافي دائماً حق الأكراد في إنشاء وطن قومي لهم وقدم دعماً لهم واستقبلت ليبيا جلال طالباني ومسعود بارزاني وشخصيات عراقية معارضة. طبعاً كان ذلك يحصل بالتنسيق مع سورية التي تسعى إلى إضعاف صدام حسين. حصل صدام مباشر بين القذافي وصدام في قمة عربية عقدت في الدار البيضاء، وتدخل حافظ الأسد مؤيداً القذافي. كان صدام يتعامل مع القذافي بنوع من التعالي.

طبعاً ترسخت القطيعة حين وقفت سورية وليبيا إلى جانب إيران وقدمتا لها دعماً في حربها مع العراق. ارتكبت السلطات الليبية خطأ حين أصدرت في ختام زيارة علي خامنئي لطرابلس، وكان حينذاك رئيساً للجمهورية، بياناً سحبت فيه اعترافها بالنظام

العراقي. وللأسف لعب الرائد عبد السلام جلود دوراً في هذه المسألة. هذا التشدد غير المبرر أدى إلى قطع العلاقات. لاحقاً وبعد وساطات عربية عقد في المغرب لقاء حضره من الجانب العراقي طه ياسين رمضان وطارق عزيز، ومن الجانب الليبي الخويلدي الحميدي وأنا. لم يتم التوصل إلى اتفاق. بعدها اجتمعت مع طارق عزيز في صنعاء. الحقيقة أن الملك الحسن الثاني لم يكن جاداً أو مصرّاً على إنهاء الخلاف العراقي - الليبي. يمكن قول الشيء نفسه بالنسبة إلى الأزمة بين مصر وليبيا. التجربة تقول إن السياسة الفعلية لمعظم الأنظمة العربية هي تصفية الحسابات. كثيراً ما تحكّمت النظرة الضيقة بالسياسات والقرارات.

■ **من كان في القيادة الليبية متحمساً لتزويد إيران صواريخ استخدمتها في قصف المدن العراقية؟**

ـ الرائد عبدالسلام جلود كان الأبرز في هذا الاتجاه. أنا لم اكن راضياً على هذا التوجه فالعراق في النهاية بلد عربي.

■ **هذا يعني أن القذافي كان يكره صدام؟**

ـ كان الكره متبادلاً. طبعاً صدام توقف في ليبيا والتقى القذافي في طريقه للمشاركة في قمة «أوبك» في الجزائر حيث التقى شاه إيران ووقّعا ما عرف بـ«اتفاق الجزائر».

■ **التقيت صدام أكثر من مرة. ما هو انطباعك؟**

ـ انطباعي أنه كان يعيش في عالمه الخاص تماماً كما حدث

للقذافي. تصور أن يأتي وزير لمقابلة رئيس دولة وتتولى المراسم نقله من مكتب إلى آخر فإلى ثالث لينتهي به الأمر في حضرة الحاكم. كان يعطي انطباعاً أنه رجل مغرور. في طريقة حديثه ومشيته وحركاته، وكذلك في سلوكه إبان القمم التي يشارك فيها. في قمة تونس وخلال العشاء الرسمي تم إحضار طعام خاص لصدام اصطحبه الوفد العراقي معه. اعتبر الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة الأمر بمثابة إهانة وعدم ثقة بأجهزة الأمن التونسية فهاجم صدام بحدة وكان الموقف سيئاً. حصل صدام آخر بين الرجلين أثناء أعمال القمة. الحقيقة أن صدام كان يتصرف على أساس أنه الزعيم الأبرز أو الأقوى.

في قمة تونس تم التطرق إلى المشكلة في لبنان وكان الرئيس الياس سركيس حاضراً. شعر بعض المشاركين بشيء من عدم الارتياح حين تحدث الرئيس ياسر عرفات وكأنه رئيس لبنان. ثم عقد اجتماع في جناح صدام. كان اللقاء على مستوى الزعماء لكننا دعينا أنا ووزير خارجية الجزائر محمد بن يحيى. كان بين الحضور الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وولي العهد السعودي الأمير فهد بن عبدالعزيز والرئيس حافظ الأسد. اهتم صدام بالتشاور مع بعض الحاضرين خصوصاً الأمير فهد في حين كان المسكين الرئيس جعفر نميري مثلاً يلجأ إلي لمعرفة ماذا يجري. طبعاً أنا وزميلي الجزائري دعينا ربما لنشارك في أي التزامات مالية قد تقر. القذافي لم يكن حاضراً.

فجأة قال صدام: «أوجدنا حلاً لمشكلة لبنان». سألته كيف؟

فرد: «سنعطي لبنان بليوني دولار». الأمر غريب فعلاً. أي متابع للمشكلة كان يدرك حجم التعقيدات فيها. هناك الخلاف اللبناني ـ الفلسطيني. والخلاف اللبناني ـ اللبناني. ومسألة الحساسيات بين دمشق ومنظمة التحرير الفلسطينية. كلام صدام يعطي فكرة عن القمم العربية وطرق المعالجة. هكذا تم ترحيل الموضوع، ولا أعتقد أن لبنان حصل على شيء من البليونين. هناك سوء تقدير وتبسيط للمشكلات ورغبة عميقة في إرجاء الحلول الفعلية. أسلوب المعالجة يقوم على لملمة متسرعة للموضوع وإصدار بيان ويغادر الزعماء ولا يتغير شيء.

كانت علاقة صدام مع معمر سيئة للغاية. قام كل منهما باحتضان معارضي الآخر. كانت النظرة أن المعارض شخص خطر يجب بذل كل شيء من أجل التخلص منه. على سبيل المثال، قدم معمر عرضاً سخياً لصدام في حال موافقته على تسليم طرابلس المعارض الليبي محمد المقريف.

عرض عليه كمية محترمة من الطائرات المقاتلة في مقابل تسليم المقريف. وكان ذلك في أيام الحرب العراقية ـ الإيرانية. لم تصل المسألة إلى نتيجة. كان القذافي يدعم المعارضة الكردية والإسلامية في العراق، ربما كان مستعداً لإجراء مقايضة. لم تنجح المسألة مع صدام لكنها نجحت مع المغرب فقد أدى عرض سخي من القذافي إلى الملك الحسن الثاني إلى قيام المغرب بتسليم عضو مجلس قيادة الثورة الليبية المقدم عمر المحيشي إلى طرابلس حيث تم قتله.

■ هناك من يقول إن القذافي شهد شخصياً عملية قتل المحيشي بعد استعادته من المغرب؟

- لا علم لي بهذا التفصيل بالذات. هذه الممارسات القاسية تناولت أيضاً شخصاً فاضلاً هو وزير الخارجية السابق منصور الكيخيا.

■ ما هي قصة الكيخيا؟

- الكيخيا رجل سياسي ومحترم. ذهب ضحية عملية سيئة وقذرة من جانب النظام الليبي. خطفوه من القاهرة ولم يعثر على جثته. ظهرت روايات متعددة حول موعد قتله. كان منصور مناضلاً.

■ لماذا قتله القذافي ما دام لا يشكل خطورة على نظامه؟

- إنها عقلية تصفية كل معارض. لعبت الأجهزة الليبية دوراً قذراً في تصفية المعارضين.

■ ما هي قصة اختفاء الإمام موسى الصدر رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان؟

- نتحدث هنا بأمانة. أنا لا علم لدي بالتفاصيل. لم يأت الإمام الصدر إلى ليبيا من طريق الخارجية. الدور الوحيد للوزارة كان مقتصراً على دعوةٍ نقلها القائم بالأعمال الليبي في بيروت إلى الصدر. بعد ذلك تم التنسيق مع جهات أخرى.

أنا لم ألتق الصدر. ما كنت أسمعه هو أنه رجل مناضل وصاحب موقف قومي.

■ **ماذا قيل في طرابلس بعد شيوع نبأ اختفائه؟**

ـ نحن في الخارجية لم نعرف كيف وصل ولا متى. لاحقاً وبعد تركي منصب وزير الخارجية، اهتمت الوزارة بإجراء اتصالات مع الإيطاليين، فقالت السلطات يومذاك إنه غادر طرابلس إلى روما. شاع لاحقاً أن نقاشاً حاداً حصل بين القذافي والصدر وأدى إلى ما أدى إليه. والقصة غريبة إذ لم تكن لهذه الحادثة الخطرة والمؤسفة أي فائدة لليبيا أو للعمل القومي، وألحقت الكثير من الأضرار. إنها جريمة غريبة ولا أعرف لمصلحة من حصلت وفي أي سياق.

■ **كيف كانت علاقة معمر القذافي بياسر عرفات؟**

ـ في السنوات الأولى أعطى القذافي القضية الفلسطينية الأولوية على ما عداها وتكرر الكلام عن قومية العمل الفدائي. وبسبب هذا الموقف لم يكن القذافي يتردد في التغاضي عن بعض التفاصيل. وكانت كل الأنظار متجهة إلى حركة «فتح». لاحقاً برزت تنظيمات فلسطينية أخرى مثل «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» بزعامة جورج حبش، و«الجبهة الديموقراطية» بزعامة نايف حواتمة، و«القيادة العامة» بزعامة أحمد جبريل، وتنظيمات أخرى. كان هناك شعور لدى أطراف عربية، وبينها ليبيا، أن هذه التنظيمات يمكن أن تشكل بديلاً من «فتح». وهكذا قامت ليبيا بتسليح هذه التنظيمات ودعمها في لبنان في

موازاة تسليح ودعم تنظيمات لبنانية كانت تسمى القوى الوطنية اللبنانية.

كان أسلوب القذافي المفاجئ والمباشر والمتشدد مختلفاً عن أسلوب ياسر عرفات الذي كان يريد الحصول على دعم من الدول العربية من دون أن يتيح لها الإمساك بالقرار الفلسطيني أو التأثير في البرنامج الفلسطيني.

لا شك في أن عرفات كان بارعاً ومناوراً. كان حاضراً حين ألقى أنور السادات خطابه الشهير وأعلن استعداده لزيارة القدس من أجل إبرام سلام واستعادة الأرض المحتلة. ثم جاء عرفات إلى طرابلس وراح يتذمر ويقول إن السادات فاجأه وخدعه. لاحقاً كان لدى بعض القيادة الليبية شعور بأن عرفات يمارس لعبة مزدوجة وأنه كان ينسق مع السادات من طريق تفاهم توصل إليه مع المسؤول المصري سيد مرعي. طبعاً كان عرفات يقبّل ويعانق ويحاول إعطاء علاقاته الشخصية طابع الحميمية والدفء، لكنه كان يتمسك بحساباته ويستفيد إلى أقصى حد من التناقضات العربية للتفلت من أي ضوابط يعتبرها مزعجة.

في القمة الثالثة لـ «جبهة الصمود والتصدي»، التي عقدت في الجزائر، حاول القادة ضبط عرفات. طلبوا منه أن يكتب رسالة موجهة إلى الرئيس الأميركي جيمي كارتر يقول فيها صراحة إن السادات لا يمثل الفلسطينيين في أي نقاش أو مفاوضات تتعلق بالقضية الفلسطينية. أظهر عرفات تردداً فطلب الرئيس هواري بومدين مني أن أصوغ نص الرسالة ففعلت.

غضب ياسر عرفات وعتب وقال إن هناك نصاً سيعدّه المسؤول الفلسطيني عبدالمحسن أبوميزر. وفي النهاية نجح عرفات في الالتفاف على طلب القادة.

■ هل كان القذافي يكره عرفات؟

ـ لا أعرف إذا كانت الكراهية هي الكلمة المناسبة. الأكيد أنه كانت للقذافي مآخذ على أسلوب عرفات. كان الزعيم الفلسطيني بارعاً كما قلنا، يقبّل ويحتضن ويحاول الإفادة أحياناً من الخلافات العربية إما للحصول على دعم وإما لحماية قراره. مثلاً كان يأتي إلى طرابلس ويقول إنه لم يحصل على شيء في جولته الخليجية. كان يلعب على التناقضات. في المقابل كانت مواقف حبش واضحة وقاطعة وأسلوبه الشخصي مختلفاً، وهو ما مكّنه من فرض احترامه على محاوريه. طبعاً نجح أحمد جبريل زعيم «القيادة العامة» في إنشاء ما يمكن تسميته علاقة خاصة مع ليبيا وحصل على دعم واضح منها.

■ ألم ينزعج القذافي من كون حبش مسيحياً؟

ـ لم يشكل ذلك عائقاً في التعامل مع حبش أو حواتمة. طبعاً في المغرب العربي لا يشكل المسيحيون جزءاً من النسيج الاجتماعي. كنا في البداية نستغرب حين نرى مصرياً اسمه جورج أو إسحق ويتكلم العربية بطلاقة. التركيبة عندنا مختلفة عنها في لبنان، حيث التعددية جزء أساس من تركيبة البلد. كان حبش يحظى باحترام. سمعت مثل هذا الكلام من الرئيس

حافظ الأسد الذي ربطتني به علاقة خاصة وكانت لي معه لقاءات عدة. في المقابل، كانت علاقة الأسد بعرفات شائكة وقد عشتم في لبنان بعض فصولها.

■ كيف كانت علاقة حافظ الأسد مع القذافي؟

ـ كانت جيدة إجمالاً أو فلنقل لا بأس بها. وشهدت تلك الفترة محاولات للوحدة بين البلدين. يمكنني القول إن الأسد كان أكثر جدية من معمر في موضوع الوحدة. سلوك معمر اتسم بالديماغوجية في كثير من الأحيان. الأسد كان جدياً وكانت لديه قدرة على استيعاب من يتحاور معه. كان يقول مثلاً إن البعد الجغرافي ليس عائقاً وإن المسافة بين جاكرتا وبعض الجزر الإندونيسية تبلغ آلاف الكيلومترات. تمسك الأسد خلال محادثات الوحدة ببقاء حزب «البعث» معتبراً أن الموافقة على حل «البعث» خلال الوحدة المصرية ـ السورية كانت خطأ يجب ألا يتكرر. القذافي في المقابل كان يطالب بإلغاء حزب «البعث» في إطار الوحدة. قال الأسد إنه مستعد للاندماج الكامل بين البلدين شرط بقاء حزب «البعث». الحقيقة أن الأسد كان بارعاً وأظهرت الأيام أنه كان يعرف ماذا يريد ويُجري حسابات دقيقة. في لقاءات جبهة الصمود والتصدي كان الأسد يبدو مستعداً للذهاب إلى الآخر من أجل إسقاط كامب ديفيد.

يجب ألا ننسى هنا أننا نتحدث عن حقبة مختلفة. حقبة كانت حافلة بالانقلابات والأحلام الوحدوية. المشهد الدولي كان

مختلفاً أيضاً. اليوم لا نسمع في العالم العربي غير أخبار التشرذم والتوتر المذهبي والتفتت.

■ **كيف كانت علاقات القذافي مع الزعماء العرب إجمالاً؟**

ـ كانت له علاقات جيدة وممتازة مع الرئيس هواري بومدين. وكانت له علاقات متينة مع الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.

■ **ماذا كنت تبحث مع حافظ الأسد؟**

ـ كان الوضع العربي يستأثر بالجانب الأكبر من الاهتمام. بحثنا في مرحلة قيام صيغة تجمع مصر وسورية وليبيا أي «اتحاد الجمهوريات». وبحثنا في برنامج جبهة الصمود. كان الأسد يتطرق أيضاً إلى الوضع اللبناني. كان ينظر إلى سورية ولبنان كامتداد واحد ويعتبر لبنان امتداداً للأمن القومي السوري. ويتحدث أيضاً عن مسؤولية سورية تاريخية لمساعدة لبنان في الحفاظ على وحدته واستقراره. لا شك في أنه كان يبالغ في المحبة ويبالغ في العداء حين يتعلق الأمر بالأطراف اللبنانيين.

كان يبالغ مثلاً في لوم الموارنة أو لنقل، لوم قسم كبير منهم على عنادهم، ويعتبر أنهم يتطلعون إلى الغرب باستمرار لعرقلة سياسته، وأن بينهم من لا يتردد في الرهان على إسرائيل بذريعة مقاومة الهيمنة السورية. في الوقت نفسه كان يشيد بالرئيس الماروني سليمان فرنجية. كان لديه شعور أن أكثرية الموارنة لعبوا دوراً في عرقلة رغبة سورية في الإمساك الكامل بالورقة

اللبنانية. عملياً كان يريد من المسؤولين اللبنانيين انتهاج سياسة متطابقة مع السياسة السورية. كان أيضاً يشكو من وليد جنبلاط ويعتبره متقلباً ومزاجياً وغير مضمون. نحن كنا نشجعه على إقامة علاقات وثيقة مع جنبلاط لكن كان يبدو من كلامه أنه لا يثق به في حين يثق بالذين ينتهجون سياسة مطابقة لسياسة دمشق. كانت للأسد مثلاً علاقة ممتازة مع الرئيس نبيه بري. طبعاً حظي الرئيس إميل لحود بعطف صريح من الأسد الأب ثم من نجله بشار.

■ كيف كانت علاقة معمر مع الرئيس بشار الأسد؟

ـ لم تكن في مستوى العلاقة مع والده. كان القذافي يعتبر نفسه أكثر خبرة من جيل الأبناء من الحكام العرب، وكان ينادي الواحد منهم أحياناً بكلمة يا ابني وهذه مخاطبة غير مناسبة.

■ من كان الأقرب إلى القذافي في لبنان؟

ـ كانت العلاقة قوية مع القوى الوطنية اللبنانية وكان ممثلوها يزورون ليبيا ويلتقون المسؤولين ويحصلون على الدعم. هذا الملف كان في السنوات الأولى في عهدة الرائد عبدالسلام جلود الذي قام بزيارات ووساطات في الموضوع اللبناني. قدمت ليبيا دعماً واسعاً للقوى الوطنية اللبنانية والمنظمات الفلسطينية. عندما اندلعت الحرب في لبنان كان لليبيا موقف إيجابي تجاه المسيحيين اللبنانيين وكانت ضد الضغط عليهم أو حشرهم إلى درجة التفكير في التعامل مع إسرائيل.

■ لماذا اهتم القذافي بلبنان وأنفق تلك الأموال فيه؟

ـ لبنان بلد مفتوح وفيه حيوية سياسية وإعلام وأفكار وأحزاب وتيارات قومية، وقبل ذلك وجود الثورة الفلسطينية على أراضيه. كان هناك شعور بأهمية الوجود على الساحة اللبنانية لارتباطها بشؤون المنطقة. جمال عبدالناصر اهتم بالوضع في لبنان. حافظ الأسد كان يعتبر أن ترك لبنان يشكل خطورة على الأمن القومي لسورية. صدام حسين اهتم أيضاً في مرحلة ما. القذافي اهتم هو الآخر. تركيبة لبنان كانت تسهّل هذا النوع من الاهتمام أو التدخل.

■ في عهد القذافي كانت العلاقات الليبية ـ السعودية مضطربة؟

ـ الحقيقة أن السياسة السعودية لا تسعى إلى إثارة المشاكل وتوافق على معالجتها في حال حدوثها. الخطأ كان يأتي من جانب معمر. خذ مثلاً محاولة توزيع «الكتاب الأخضر» خلال موسم الحج. تدخلت لدى الأمير سلطان بن عبدالعزيز. وللأمانة كان موقفه إيجابياً، وكان دائماً منفتحاً ورحب الصدر. والتقيت الأمير فهد بن عبدالعزيز بعدما ألقوا القبض على ثلاثة ليبيين أثاروا مشاكل في الحج. سلمني إياهم وأعدتهم معي. القيادة السعودية قيادة عاقلة. في فترة لاحقة ذهبت إلى الملك عبدالله بن عبدالعزيز في ٢٠١٠. كانت لدى الملك مآخذ، خصوصاً أن السلطات اكتشفت محاولة أعدّتها الاجهزة الليبية لاغتياله.

كان التدهور بدأ بعد الإشكال الذي وقع في القمة العربية في شرم الشيخ. خلال القمة التقيت الأمير عبدالله وحاولت احتواء الموقف وتمنيت على الرئيس حسني مبارك أن يبذل جهوده. أنا كنت ضد أي تدهور بين طرابلس والرياض. ذات يوم طلب مني القذافي أن أهاجم السعودية خلال زيارتي إلى اليمن فلم أفعل. طبعاً الملك عبدالله كان لا يثق بالقذافي. وكانت لديه معلومات مؤكدة عن خطة استهدافه. محاولة الاغتيال كانت نوعاً من رد الفعل الغوغائي من جانب القذافي على ما حدث في شرم الشيخ من صدام بين الرجلين. على رغم ذلك أبدى الإخوان في السعودية استعداداً لتجاوز ما حصل لكن القذافي كان عنيداً في هذا الموضوع. كان معمر يتخذ مواقف سيئة وغير مبررة وغير منطقية كالمطالبة بوضع الحرمين الشريفين تحت إشراف غير سعودي.

■ **كيف كانت علاقة معمر مع الرئيس علي عبدالله صالح؟**

ـ عادية، لكن الرئيس صالح كان يتهم القذافي بدعم الحوثيين وأن السلطات اليمنية صادرت أموالاً ليبية كانت مرسلة إليهم.

■ **الى أي درجة كان العمل مع القذافي صعباً؟**

ـ كان صعباً جداً جداً. طبعاً أنا لم أمارس عملاً في الشأن الداخلي. في العمل الديبلوماسي كان القذافي صعباً وعليك دائماً أن تحاول إصلاح الأضرار التي تسببها تصريحاته أو

ممارساته. كان يتخذ مواقف عاطفية أو ارتجالية وتنعكس على علاقات البلد. تسبب في أزمات كثيرة مع تونس والسعودية والسودان ودول أخرى. كنت مع مجموعة من الإخوان في الدولة نسارع إلى حصر الأضرار تمهيداً لإيجاد حلول.

لم يكن القذافي يراعي الأصول الديبلوماسية. طلب مني مثلاً أن أنقل رسالة إلى الملك الحسن الثاني وأصر على أن أقول للعاهل المغربي «أنه رجعي وعميل» واتهامات أخرى. تصور أن يصل مبعوث إلى دولة ليبلغ ملكها أو رئيسها أنه «عميل». لم نكن ننقل مثل هذا الكلام.

ذهبت إلى الملك الحسن الثاني لأسلمه دعوة إلى القمة الافريقية التي كان مقرراً عقدها في طرابلس. استقبلني الملك في حضور وزير خارجيته واثنين من مستشاريه. قال لي: قبل تسلم رسالتك أحب أن أُسمعك شريطاً. بدأ الشريط وإذا هو عبارة عن تعليق في الإذاعة الليبية تضمّن ألفاظاً بذيئة ضد الملك وأخلاقه ومواقفه. صدم الحاضرون من الجانب المغربي لكن الملك كان يهدّئهم. عقدت جلسة طويلة مع العاهل المغربي امتدت من الثامنة مساء حتى الثانية صباحاً. في نهاية الجلسة قال الملك: ما رأيك يا علي أن نقوم نحن الرجعيين بتعيين شخص، وتقومون أنتم كتقدميين بتعيين شخص ويكون الحوار بينهما. سألته: من ترشح؟ فسمّى مسؤولاً مقرباً من الرئيس الشاذلي بن جديد. وسألني من نرشح فأوردت اسم العراقي سعدون حمادي، فقال: نحن نحسب سعدون معنا،

أي مع الرجعيين. الحقيقة أن الملك كان يسخر من الاتهامات التي درج القذافي على إطلاقها ضد الدول المعتدلة أو التي تقيم علاقات قوية مع أميركا.

هناك حالات عدة من هذا النوع. كان يغضب من عمرو موسى فيقول لي: اطلبه واشتمه، وقل له كذا وكذا، وكنت أجيبه: أنا لا أقدر أن أشتم.

■ **لكن علاقته كانت جيدة مع زين العابدين بن علي؟**

ـ كان بينهما نفاق متبادل. ذات يوم قال الرئيس حسني مبارك إن قمة عربية طارئة ستعقد في مصر، والملوك والرؤساء مدعوون لحضورها. بدت لهجته وكأنها استدعاء. حمّلني القذافي رسالة إلى مبارك تقول: نحن لسنا موظفين عندك وأشياء أخرى. طبعاً أنا ذهبت وتحدثت بمفردات مقبولة من نوع أن الصيغة التي استخدمت فُهِمت وكأنها استدعاء. وقد تفهّم الرئيس المصري ذلك. حمّلني القذافي رسالة من النوع الساخن إلى الرئيس فرنسوا ميتران بسبب الوضع في تشاد، لكن طبعاً لم أستخدم مفردات القذافي.

■ **إذاً العمل معه صعب؟**

ـ جداً. تصور أن يفكر في تقسيم سويسرا أو طردها من الأمم المتحدة أو إعلان الجهاد ضدها لأنها اتخذت إجراء ضد تجاوزات نجله هنيبعل وزوجته. إنه في الحقيقة مزاجي ويقوم أحياناً بمبادرات مضرة. جرى نقاش حاد بيني وبينه حين

اختلف مع رئيس جنوب إفريقيا مبيكي وراح يدعم الرئيس الحالي زوما. لقد كان جزء من وقتنا مكرساً لإصلاح الأخطاء والأضرار.

■ **كيف استطعت إذاً العمل معه طوال هذه المدة الطويلة؟**

ـ في الحقيقة كنت خارج البلاد لسنوات طويلة بسبب طبيعة عملي. ثم إنني لم أعمل في الشأن الداخلي. أمضيت نحو عشر سنوات أعمل مندوباً في الأمم المتحدة. وأربع سنوات سفيراً في باريس. وأمضيت سنتين مندوباً لدى الجامعة العربية. تصور أن يطلب مني بعد خطابه في نيويورك، وكنت رئيساً للجمعية العامة، التحرك لإعادة فتح التحقيق في اغتيال الرئيس جون كينيدي. تصور موقفي أمام الحاضرين ووسائل الإعلام. يريد إعادة التحقيق في مقتل كينيدي وكأن ليست لدينا مشاكل أكثر إلحاحاً. هذا الموضوع شبيه باهتمامه المفرط بالهنود الحمر وما تعرضوا له. يتصور الحاكم أحياناً أنه قادر على قلب المقاييس والأولويات والمزاج العام.

■ **لنعد إلى قصة الجمعية العامة؟**

ـ كانت تلك المرة الوحيدة التي ذهب فيها القذافي إلى الجمعية العامة، وكان رئيساً للاتحاد الافريقي. وكنت أنا رئيساً للجمعية العامة. يفترض برئيس الدولة ألا يتحدث أكثر من عشر دقائق. معمر تحدث ما يزيد على ساعة ونصف الساعة. وضعني في

موقف حرج جداً. كان الأمين العام المساعد يريد الضغط على زر الضوء الأحمر لتذكير المتحدث بأن وقته انتهى. رحت أرسل الرسائل للقذافي كي يختصر لكنه استرسل واسترسل.

النقطة الأخرى المسيئة كانت حين اغتنم وجوده على المنصة لرمي ميثاق الأمم المتحدة. بدا الاستياء واضحاً على وجه الأمين العام بان كي مون، وكان ينوي مطالبته بوقف كلمته، لكنني طلبت منه التريث لأنني لا أعرف ما يمكن أن يكون عليه رد معمر. لقد خجلت إلى درجة أنني أخفيت وجهي بيدي وظهرت صوري في الإعلام على هذا النحو.

قال القذافي أشياء غير معقولة على الاطلاق. إضافة إلى قصة كينيدي، طالب بإطلاق سراح الجنرال نورييغا. بدا القذافي جاهلاً تماماً بقواعد العمل في الجمعية العامة وقواعد إدراج المسائل على جدول أعمالها. تحدث كمن يلقي خطبة في سرت أو طرابلس حيث هو المرجع الأول والأخير ويستطيع أن يقول أي شيء ويطالب بأي شيء. طبعاً لم يؤخذ بشيء مما قاله على رغم أن بعض الدول الصغيرة في الكاريبي التي تحصل على أموال ليبية حاولت الإيحاء بأنها يمكن أن تقترح معالجة بعض مطالب القذافي. الحقيقة أن مندوب ليبيا لدى الأمم المتحدة عبدالرحمن شلقم لعب دوراً هو الآخر في مساعدتي على الخروج من هذه الورطة. كانت فضيحة كاملة.

■ **هل أثارت خيمته مشكلة يومها؟**

ـ لم يقبل الأميركيون موضوع نصب الخيمة واضطر إلى نصبها داخل المندوبية الليبية.

■ هل كان القذافي مجنوناً أو على شفا الجنون؟

ـ أعتقد بأنه في كثير من الأحيان كان يعيش في عالمه الخاص. لديّ شعور بأنه كان مقتنعاً بأنه شخصية استثنائية وأنه مكلف تغيير العالم. تغيير العالم مسألة لا تستطيعها دول كبرى. لم يدرك معمر، حجم ليبيا المحدود ولا حجم دوره. المشكلة أن الحاكم إذا حقق بعض النجاحات الصغيرة يعتبر أنه قادر على تحقيق كل شيء. مثلاً يمكنك أن تقنع حاكماً في إفريقيا بفرض اللغة العربية أو باعتناق الإسلام في مقابل دعم سخي، لكن في القضايا الكبرى الأمر مختلف. ينفصل الحاكم أحياناً عن الواقع ويأتي المدّاحون ليضاعفوا المشكلة. يزداد التعقيد إذا كان الحاكم لا يعرف الآليات التي تتحكم بالعلاقات بين الدول وتعقيدات المشهد الدولي. تتضاعف الصعوبة إذا كان الحاكم ينطلق من ثقافة محلية محدودة ومن أفكار قديمة، ويعتبر انه يمسك بالحقيقة المطلقة وأنه قادر على فرضها. أخطر ما في القذافي انه صاحب مواقف غير متوقعة وردود فعل غير متوقعة ويقترح حلولاً لا يمكن توقعها. من أنت مثلاً لتطرد سويسرا من الأمم المتحدة؟ طلب من مندوب ليبيا أن يطرح الموضوع في شكل رسمي. رفض المندوب الليبي جاد الله عزوز الطلحي تنفيذ الطلب فاستدعي إلى طرابلس. شلقم أيضاً لم يكن ينفذ هذا النوع من الطلبات. القذافي يقرأ كثيراً لكنه لا

بعرف العالم الحقيقي، العالم القائم على أرض الواقع. يتعامل مع أميركا كأنه يتعامل مع غرينادا. لا يتوقف عند القوة الاقتصادية والسياسية. تصور مثلاً أن يطالب في خطابه بنقل مقر الأمم المتحدة إلى سرت بعد نقلها في مرحلة أولى إلى أوروبا. كان يقول أي كلام.

■ كيف كان يعيش؟

ـ قربي من القذافي أو وجودي معه لا يعني أنني كنت أعرف شخصيته أو مطّلعاً على ماذا يعمل أو ماذا يقرأ أو ماذا يكتب أو ماذا يدير، هذه أمور لم أكن أتدخل بها، بل كنت أبتعد عنها. كنت معنياً بالأمور السياسية فقط. أنا لا أعرف أياً من أولاده مثلاً باستثناء سيف الإسلام الذي كنت أراه مع والده أحياناً. لم يكن لي اتصال مع أولاده في أعياد أو في مناسبات أو أفراح مثلاً ولم تكن بيننا علاقات عائلية.

■ متى التقيته للمرة الأولى؟

ـ في ١٩٧٣ وكنت يومذاك مديراً للإدارة الأفريقية في وزارة الخارجية وكان يريد نقل مقر منظمة الوحدة الأفريقية من أديس أبابا إلى القاهرة. لقد رأيت أن خطوة من هذا النوع ستثير الأفارقة وتدفعهم إلى اتهام العرب بالسعي إلى السيطرة على المنظمة واقترحت السعي إلى نقلها إلى عاصمة أفريقية غير عربية. ثم التقيته في نهاية ١٩٧٤ عندما كلفني زيارة الجمهوريات ذات الغالبية الإسلامية في الاتحاد السوفياتي. في الخارجية كنا نلتقي به كل يوم خميس لحوالى ساعة أو ساعتين.

■ عمَّ كان يتحدث خلال هذه اللقاءات؟

ـ كان الحديث يدور حول أبرز الشؤون الخارجية المطروحة وكان يقول اعملوا كذا أو كذا.

■ هل يكره أميركا؟

ـ لا أعرف شعوره الحقيقي في قرارة نفسه، وإن كان يحبها أم يكرهها، لكنه بالتأكيد لم يكن صديقاً لها. معمر شخصية غريبة، ولديه أشياء غامضة يصعب أحياناً تفسيرها بصورة منطقية. كان صديقاً لرئيس وزراء بريطانيا توني بلير ولسلفيو برلسكوني، وكان مستعداً أن يدير صداقات وفق انطباعاته وما يعتبره مصالحه. عقدته للأسف أنه في دولة صغيرة إمكاناتها محدودة، طبعاً كانت لديه أموال ولديه حرية التصرف بها وهذا ربما أعطاه ميزة استخدام الأموال في أي شكل.

■ لم تكن هناك مؤسسات تستطيع أن تقول له لا حول صرف الأموال؟

ـ أنهى معمر المؤسسات ورسّخ نظام الفرد المطلق الصلاحيات في ما يخص القرارات السياسية وغيرها. القرآن الكريم يتحدث عن فرعون «استخفّ قومه فأطاعوه». وهو في النهاية تحول إلى فرعون.

■ هل كان دموياً؟

ـ مؤكد أنه دموي. أنا لم أعمل في الشؤون الداخلية، إلا أن

عمليات تصفية المعارضة ومَنْ كان يسميهم «الكلاب الضالة» دليل على الأسلوب الدموي. أنا لم أطلق يوماً هذه التسمية على معارِض. هو كان يحقرّهم ويدينهم ويقتلهم. كان دموياً ومتسلطاً.

■ ألغى مجلس قيادة الثورة وفكك الجيش وجعله كتائب. لماذا؟

ـ إنه عدو أي مؤسسة منظمة تعمل وفق قواعد واضحة واستناداً إلى خطة. ما فعله بالمؤسسة العسكرية فعله بالمؤسسات الأخرى. تصور مثلاً أسلوب الزحف على السفارات وتشكيل لجان لإداراتها. العمل الديبلوماسي يحتاج إلى محترفين ومعلومات ولا يكفي أن يكون الشخص ثورياً أو موالياً ليتولى هذه المسؤوليات.

■ هذا يعني أنه أدار البلد لأربعة عقود وفق مزاجه؟

ـ أحد زملائنا يشبّه هذه الحالة بكيس كبير (شوال) وَضَعت فيه مجموعة من الفئران فعليك أن تحرك الكيس باستمرار حتى لا تعطيها الوقت لتفكر بحل للخروج منه من طريق قرضه. هو كذلك كان دائم التحريك، يُصدرُ كل يوم قانوناً أو يدبر عملية، وكل يوم هناك شيء مختلف. الدول تحتاج إلى الاستمرار والاستقرار في التنمية والديبلوماسية وميادين أخرى. ثمة من يعتقد أنه اعتمد أسلوب الحكم هذا لإلهاء الناس وإبقاء كل المواقع والجهات ضعيفة ومنشغلة بسلامتها أو حروبها الصغيرة.

■ ما هي المراحل التي مر بها القذافي؟

ـ خلال السنوات الخمس الأولى كان القذافي يتصرف في شكل معقول أو مقبول إلى حد ما، حتى مؤامرة عضو مجلس قيادة الثورة المقدم عمر المحيشي سنة ١٩٧٥، فهو تغير بعدها وأصبح لا يثق بالجيش ولا بزملائه ولا يثق بأحد و«لخْبَطَ» المؤسسات وأصبح الجيش غير منضبط. كذلك، النظام المدني الذي حاول القذافي استغلاله: القبائل والفتن بين الناس. راح يخلق حساسيات بين القبائل وفي المدن وحاول خلق مشاكل بين مصراتة وبني وليد وفي بنغازي بين البادية والحَضَر. أتقن لعبة تأليب الناس ضد بعضهم البعض كي يبقى الحَكَم والمرجع الوحيد ويتيسر له الاحتفاظ بالسلطة.

■ القذافي إذاً جعل من الاضطراب سياسة دائمة؟

ـ كل ذلك وهو يردد: أنا لست مسؤولاً ولست رئيساً. الرئيس حافظ الأسد عندما كان في طرابلس وكنا نتحادث في موضوع الوحدة بين ليبيا وسورية قال له القذافي: أنا لا أملك صلاحيات. فقال له: يا معمر، الصلاحيات التي تملكها أنت لا يملكها أي رئيس عربي.

■ هل هذا كان صحيحاً؟ هل كان هناك رئيس عربي يملك قدرة على التصرف ببلده وشعبه مثل القذافي؟

ـ فعلاً، كانت لديه حرية غير محدودة في التصرف بالمال والشعب.

■ **كنتم تعقدون اجتماعاً أسبوعياً، هل كان على دراية بالوضع الدولي؟**

ـ في السنوات الأولى له في الحكم كانت اجتماعاتنا أسبوعية، ثم تقطعت وأصبحت تعقد من حين إلى آخر إذا استجد موضوع. يقرأ الوضع الدولي انطلاقاً من مواقفه ورغباته من دون تفحص الوقائع والمتغيرات.

■ **عندما كنت وزيراً للخارجية هل كان يستدعيك وإلى أين؟ وما كانت طلباته؟**

ـ كان يستدعيني أحياناً إلى خيمته وأحياناً إلى مكتبه، وفي بعض الأحيان كانت لديه رسائل يريد إبلاغها وأحياناً لديه موضوع يريد إثارته، مثل موضوع الاتحاد العربي، موضوع الوحدة الأفريقية ومواضيع مختلفة.

■ **ما هي قصة «ملك ملوك أفريقيا»؟**

ـ أخجل من التحدث في ذلك لأنه شيء غريب. فوجئنا في يوم من الأيام حين دعاني أنا والدكتور محمد أحمد الشريف، رئيس جمعية الدعوة الإسلامية، وآخرين، وكان لديه ضيف من ساحل العاج طرح عليه فكرة أن يكون ملك ملوك أفريقيا. وقال لنا القذافي: اجتمعوا معه، فالتقيناه ووجدناه إنساناً تافهاً، وانسحبت أنا من الاجتماع، ولم أعد إلى التطرق إلى هذا الموضوع مع القذافي، إلا أنه استمر في أسلوبه. وكان هناك للأسف بعض الأفراد الليبيين الذين شجعوه على الخطأ. كانت مسألة مخجلة. كثيرون من الرؤساء الأفارقة ساءهم الأمر.

تحدث إليّ الرئيس المالي أحمد تماني توري وقال إن هذا أمر معيب فالقذافي يدّعي في الأساس أنه قام بثورة على المَلَكية ثم يريد أن ينصّب نفسه ملك ملوك أفريقيا. ثم إن أفريقيا ليس فيها ملوك، فيها «سلاطين» أو شيوخ قبائل ولا صلاحية لهم. هو حاول استغلالهم للتشجيع على وحدة أفريقيا وكان كلامه غير منطقي ومعيباً أساء للقذافي إساءة شخصية إذ إنه اعتُبر مهرِّجاً. طبعاً، كانت لدى معمر قدرة على شراء الذمم واستقطاب المطبّلين والمزمرين في الداخل والخارج.

■ كيف كانت علاقته بعيدي أمين؟

ـ التقيت عيدي أمين أكثر من مرة، وفي البداية كانت علاقتهما سياسية. عيدي أمين مسلم أوغندي وتبنى في زيارته دمشق موقفاً قوياً من إسرائيل على رغم أنه كانت لبلاده علاقات معها. جاء إلى ليبيا وأعلن منها قطع العلاقات مع إسرائيل. استمر القذافي بدعمه بالمال والسلاح وهو كان رئيس دولة قبل القذافي. المبرر الأساس للدعم كان موقفه من إسرائيل بعد قطع علاقاته معها. ثم انقلبت العلاقة إلى شكل آخر عندما حدثت مشكلة بين معمر والسودان بسبب طائرات تنقل الأسلحة إلى عيدي أمين. عندما كان عيدي أمين في السلطة حدث غزو لأوغندا من جانب جوليوس نيريري رئيس جمهورية تنزانيا، وشُكِّلت مقاومة للقضاء على عيدي أمين بدعم من تنزانيا. وقف القذافي إلى جانب عيدي أمين وأرسل له قوة ليبية ساعدته في مقاومة المخطط.

■ هل قُتِل ليبيون في أوغندا؟

ـ نعم، سقط ليبيون في أوغندا. كانت مغامرة غير محسوبة لأن ليبيا بلد صحراوي والجنود الليبيين متدربون في الصحراء وليس في الغابات. وجدوا أنفسهم في غابات وبعضهم لم يكن خضع لأي تدريب مناسب، فراحوا ضحية مغامرة من مغامرات القذافي على رغم أن هدفها في حينه كان نبيلاً نوعاً ما. أنا زرت الرئيس نيريري وحاولنا إنقاذ الموقف وأن نمنع على الأقل الحرب لكننا تأخرنا. عندما زرت الرئيس نيريري في منزله في الواحدة فجراً تأسف، لي قائلاً: «جئت متأخراً سيد التريكي. إن رجلكم (عيدي أمين) انتهى أمره».

نيريري دعم الرئيس السابق أوبوتي الذي كان رئيساً سابقاً قبل قيام عيدي أمين بالانقلاب عليه، وعاد أوبوتي إلى الحكم لاحقاً قبل أن يقوم انقلاب آخر عليه قام به الرئيس الحالي يوري موسيفيني.

■ ثم دعم القذافي موسيفيني؟

ـ موسيفيني كان ضد نيريري وأوبوتي وأدار حركة مقاومة، ووقف القذافي إلى جانبه بقوة ودعمه حتى عاد إلى السلطة.

■ ما هي مشكلة تشاد، بحكم أنك كنت مطلعاً على ملفها؟

ـ شعبا تشاد وليبيا أقرب شعبين بعضهما إلى بعض، وفق التركيبة القبَلية. فلا توجد قبيلة في ليبيا إلا ولديها فرع في

تشاد، وهناك رباط وثيق بين البلدين من الناحية الشعبية. عندما حصل الغزو الإيطالي على ليبيا ساند الإخوان الليبيون الموجودون في تشاد كما التشاديون ليبيا خلال الغزو ضد الإيطاليين، حتى أن والد الملك إدريس السنوسي توفي في تشاد، واستشهد خلال معارك إسلامية في ذلك الوقت ضد الأوروبيين (الفرنسيين). وكانت هناك روابط وثيقة جداً بين البلدين. واستمرت هذه الروابط بصرف النظر عمّن يحكم ليبيا أو مَنْ يحكم تشاد. سلطان دارداي والد غوكوني وداي الذي أصبح لاحقاً رئيساً كان لاجئاً في ليبيا أيام الملك إدريس السنوسي، وكان يتمتع بحماية. استمرت هذه العلاقات الخاصة بين ليبيا وتشاد.

■ هل تشبه العلاقة بين البلدين العلاقة بين سورية ولبنان؟

ـ لا، العلاقة مختلفة، فلبنان وسورية بلدان عربيان، ولبنان كان جزءاً من سورية الكبرى في فترة من الفترات، وهذا لم يحصل بين ليبيا وتشاد على رغم أن جزءاً كبيراً من الأراضي الليبية استولى عليه الفرنسيون، وعندما أنشأوا جمهورية تشاد ضموا جزءاً من الأراضي الليبية إليها كما ضموا أجزاء أخرى إلى الجزائر وضموا أجزاء أخرى إلى بلدان أفريقية أخرى. عندما كان الصراع بين الفرنسيين والإيطاليين على الاستعمار بعد معاهدة ١٩٠٢، حصل تقسيم للمستعمرات وليبيا كانت مستعمرة إيطالية، وفي ذلك الوقت عندما انهزمت إيطاليا في الحرب وُزع جزء كبير من الأراضي الليبية على الدول المجاورة.

الفرنسيون منحوا تشاد استقلالها في عهد الرئيس فرنسوا تومبلباي، وبعد ذلك ظهرت حركات إسلامية ضده وهو من أقلية مسيحية من الجنوب، وبقيت حركات التمرد مستمرة في تشاد، فهناك الانقلاب الذي قام به الضباط ضد فيليكس مالوم، وهم ينتمون إلى حركة فلورينا (الحركة الوطنية في تشاد) وقد انتصرت وجاءت بالرئيس غوكوني وداي. والرئيس غوكوني قام تمرد ضده من قِبَل حسين حبري وهو من قبائل شمالية لكن ضعيفة (قبيلة التَبو). الوضع في تشاد لم يكن مستقراً أبداً. تشاد أقرب إلى السودان منها إلى ليبيا من الناحية البشرية العروبية. القبائل التي تفصل بين ليبيا وتشاد (التبو والغرهان) ليست عربية بل قبائل شبه بربرية، بينما قبائل الزغاوة مثلاً التي إلى جانب السودان، عربية ومرتبطة ارتباطاً كبيراً بالسودان. مع العلم أن اللغة العربية هي اللغة السائدة في تشاد، تشاد أكثر عروبة من الصومال ومن جيبوتي، والجميع في تشاد يتكلم اللغة العربية وغالبيتهم تكتبها، بمن فيهم المسيحيون في الجنوب.

■ **هل كان تدخّل القذافي في تشاد لنصرة المسلمين؟**

ـ الغالبية في تشاد مسلمة، وهو ناصر حركة فلورينا حتى وصلت إلى الحكم برئاسة غوكوني، ثم ناصر السودان حسين حبري بعدما حدثت عداوة بين القذافي والنميري. وصل حبري إلى السلطة وكان دموياً وقتل نحو ٤٠ ألف شخص خلال حكمه، وهو مطلوب الآن لدى محكمة الجنايات الدولية وأقاموا له محكمة أفريقية في دكار. كان هناك كرّ وفرّ بين

الفئات التشادية، وكل يوم فرقة، إلى أن وصل الرئيس الحالي إدريس ديبي الذي كان موجوداً في السودان وساعده الليبيون أيضاً وتمكن من القضاء على حسين حبري.

■ ما هو الشريط المتنازَع عليه؟

ـ كما ذكرت، تلك الأراضي كانت أساساً ليبية أعطُيت لتشاد، ولكن بعد الحصول على استقلال الدول الأفريقية اعتمدت الحدود الاستعمارية كحدود للدول. مشكلة شريط أوزو نتجت من أخطاء ليبية أيضاً لأن ليبيا لم توفّق عند لجوئها إلى محكمة العدل الدولية الملزَمة باتفاقات بين دول، والاتفاق الفرنسي ـ الإيطالي حدد الشرعية لتلك الحدود. منطقة أوزو ليس فيها أية ثروات كبرى متنازع عليها.

■ كم أنفقت ليبيا في تشاد؟

ـ ليس لدي أية إحصاءات دقيقة، لكن مبالغ مالية كبيرة أُنفِقَت في تشاد سواء في الحروب أو في تقديم المساعدات.

■ ما هدف سياسة القذافي الأفريقية؟ هل كان يطمح إلى نشر الإسلام وبناء مساجد وإلى الدعوة الإسلامية؟

ـ كان هناك عمل لنشر الإسلام في أفريقيا تولته جمعية الدعوة الإسلامية الليبية. الإسلام منتشر في أفريقيا قبل جمعية الدعوة الإسلامية، وربما كان انتشار الإسلام رد فعل من الأفريقيين على الاستعمار. المسيحية لم تكن عميقة في تشاد ولا في أفريقيا كلها ولم يكن لها جذور، أو جذورها ضعيفة. المسيحية

أتت مع الاستعمار بخلاف الوثنية. الإسلام انتشر في أفريقيا من طريق القبائل في تومبكتو وفي الشمال وفي شرق أفريقيا.

■ **هل هناك رؤساء أفارقة اعتنقوا الإسلام بسبب تأثير القذافي؟**

ـ هناك رئيس أفريقيا الوسطى السابق جان بيديل بوكاسا، ورئيس الغابون السابق عمر بونغو وابنه الرئيس الحالي علي بونغو. عائلة بوكاسا لم تستمر في الإسلام في حين استمرت عائلة بونغو.

■ **هل عرفت بوكاسا؟**

ـ التقيت به أكثر من مرة وهو رجل أبله وساذج ومجنون.

■ **حدثنا عن الرؤساء الأفارقة.**

ـ بعض الزعماء الأفارقة غريبو الأطوار. بوكاسا كان يعتقد نفسه إمبراطوراً وملك الملوك، وأدار إمبراطورية أفريقيا الوسطى وتوّج نفسه خلال احتفال كبير وانتهى حكمه بانقلاب عسكري. كثيرون من الرؤساء الأفارقة كانوا في فترة الاستعمار الفرنسي جنوداً. بوكاسا مثلاً كان جندياً في فيتنام مع القوات الفرنسية، وكانت لديه صديقة فرنسية أنجبت له ابنة اسمها لامارتين. وعندما أصبح رئيساً لأفريقيا الوسطى طلب من الأميركيين أن يجدوا له ابنته فأحضر له الفرنسيون شابة وادّعوا أنها ابنته، وكان ذلك خلال حكم فاليري جيسكار ديستان. واتضح له أنها ليست ابنته ثم جاؤوه لاحقاً بابنته الحقيقية.

بعض الرؤساء الأفارقة الذين قاموا بانقلابات عسكرية كانوا جنوداً، وقليل منهم من الضباط في الجيش الفرنسي أيام الاستعمار. طبعاً، بعض رؤساء أفريقيا رجال عظام مثل رئيس النيجر الراحل هاماني دوري الذي كان عضواً في البرلمان الفرنسي، والرئيس العاجي فيليكس هوفويت بوانيي الذي كان وزيراً للصحة مع الجنرال ديغول.

أفريقيا الأنغلوفونية كان فيها حركات تحرر ومن قادتها الرئيس جوليوس نيريري الذي قاد حركة تحرر، والرئيس جومو كينياتا في كينيا وكان ضمن الحركة المقاوِمة الماو ماو التي كانت تقاوم الإنكليز، ودعمه الرئيس جمال عبدالناصر ثم اعتقله الإنكليز ومنعوا عنه شرب الماء لمدة ستة أشهر حيث كان يُسقى فقط الويسكي والخمور فأصبح مدمناً على الكحول. الرئيس كينياتا من قبيلة كبيرة وانضم إلى حركة الماو ماو المقاوِمة وقتله الإنكليز نفسياً أثناء سجنه.

ذهبت إلى مقابلة الرئيس جومو كينياتا في كينيا بوساطَة من عيدي أمين رئيس أوغندا الذي كانت لديه علاقة طيبة معه. كان الغرض من الزيارة نقل مقر منظمة الوحدة الأفريقية من أديس أبابا، نتيجة علاقات إثيوبيا بإسرائيل. وعوض أن أنتقل من أوغندا مباشرة إلى كينيا مررت بمقديشو للقاء الرئيس سياد برّي في الصومال وتحادثنا، وأبلغونا أن الرئيس كينياتا ليس في نيروبي بل في مومباسا وهي منطقة عربية ساحلية ومَصيف، معظم سكانها عرب من الجزيرة العربية وفيها مصفاة نفط.

حُدد موعد لي فتوجهت للقائه، وكان عنده وزير الخارجية الكيني إمبيكا الذي أبلغه أنني أحمل رسالة من معمر القذافي. كانت الرسالة شفوية. دخلت على الرئيس ووجدت أربعة يحملونه على ما يشبه السرير المتنقل ثم أجلس على الكرسي وسألني: هل أنت مبعوث من معمر القذافي؟ قلت له نعم. قال: هل معك الرسالة؟ قلت إن الرسالة شفوية. سألني: هل تحمل جواز سفرك؟ قلت له إنه ليس معي بل في الطائرة الخاصة الصغيرة التي أقلتني. وانبرى وزير الخارجية واسمه القبلي مودينغا يشرح له أنني مبعوث أحمل رسالة شفوية، فوافق على سماع رسالتي بعد أن وُضعت في موقف حرج حين طلب مني، للمرة الأولى، رئيس دولة جواز سفري. شرحت له عن العلاقات الإثيوبية ـ الإسرائيلية التي نريد بسببها نقل مقر المنظمة من أديس أبابا. كان رده: تريدون نقل المقر فقط بسبب العلاقات الإثيوبية ـ الإسرائيلية: مع السلامة أيها السيد الوزير. وتركني وغادر مكان الاجتماع.

بعد انتهاء اللقاء قال لي مودينغا وزير الخارجية الكيني إنه يريد أخذ الطائرة التي أقلتني. وأضاف: نحن نزودك بتذكرة سفر وأنت تترك لنا الطائرة. قلت له: إنني متوجه الآن إلى بوروندي، وبعد عودتي أرسل لك الطائرة. وكانت تلك حيلة مني لمغادرة كينيا، وبالطبع لم أرسل إليه الطائرة الخاصة لاحقاً.

■ **ماذا لديك عن بوكاسا؟**

ـ توجهت إلى «الإمبراطور» بوكاسا في زيارة، عندما كان

سيفتتح مقر العاصمة الجديدة بدلاً من بانغي. استدعى السفير الروسي والسفير الأميركي والسفير الفرنسي، سفراء الدول الكبرى، وقال لهم نريد أن تكون هنا العاصمة الجديدة، وهذا الشارع اسمه شارع الجنرال ديغول تبنيه فرنسا، والشارع الثاني اسمه روزفلت تبنيه أميركا. خاف السفير السوفياتي من أن يُطلب من بلاده بناء شارع باسم غورباتشوف فتظاهر أنه أغمي عليه ليتخلص من «مدينة بوكاسا». كان بوكاسا يتندر بتلك الحادثة أمامي وهو كان مدركاً أنها حيلة من السفير السوفياتي.

جاء إلى أفريقيا الوسطى وفد من الأمم المتحدة للإحصاء، وكان رئيس الفريق تونسياً، فقابل الرئيس بوكاسا: وأبلغه أن الإحصاء أنجِز والحصيلة أن عدد سكان أفريقيا الوسطى أربعة ملايين ونصف المليون نسمة. فقال له بوكاسا لا، عدد سكان أفريقيا الوسطى عشرة ملايين، وأودع الموفد التونسي السجن. ثم اضطررنا إلى التوسط لإخراجه من السجن.

■ مَنْ من الرؤساء الأفارقة الذين زرتهم اتهم بأكل لحوم البشر؟

ــ يُقال إن بوكاسا كان من آكلي لحوم البشر، ولكن حتماً ليس عيدي أمين، فهو مسلم، وكان في الكونغو قبائل من آكلي لحوم البشر لا أعرف إذا كانت اندثرت الآن، والرئيس موبوتو سيسي سيكو رئيس زائير الذي كان معروفاً عنه أنه يحب أكل دماغ القرد.

موبوتو سيسي سيكو وازابانغا إنسان أبله وساذج ومغرور، وأطلق على نفسه تلك التسمية التي تعني الديك الذي يعاشر كل الدجاجات. كان ضابطاً في الجيش البلجيكي ثم قام بعملية انقلابية ضد الرئيس الراحل باتريس لومومبا وقتله، وأنهى كازابوغو رئيس الجمهورية السابق وانتقل من ضابط إلى حاكم مطلق لزائير البلد الكبير.

▪ ماذا أيضاً عن بوكاسا وبقية الرؤساء الأفارقة؟

ـ بوكاسا كان مغروراً وكان يسألني: هل سمعت خطابي في الأمم المتحدة؟ فأقول: لا، فيرد: وكيف لا، يجب أن تسمعه وكذلك خطاب الجنرال يعقوب غاوون رئيس نيجيريا، لتعطيني رأيك أي الخطابَيْن أفضل. موبوتو كان ساذجاً لكنه كان مسيطراً على الوضع في زائير ـ الكونغو حيث الحكم كان بالعنف والقتل والفساد.

حدّثني صديق فرنسي، وهو رجل أعمال كان على الباخرة الرئاسية في رحلة عبر نهر الكونغو، عن حادثة كان شاهداً عليها: لم تعجب موبوتو سيسي سيكو خدمة أحد الندلاء فطلب من مرافقيه رميه للتماسيح في النهر، وطبعاً سارعوا إلى تنفيذ أوامره.

من نوادر عيدي أمين أنه كان يُحضِر أربعة بريطانيين من العاملين في البلد لحمله على الأكتاف في عربة، ويفتخر أنه أذل الإنكليز. كما كان يقيم سباقات للسيارات وينضم إلى

السباق قبل نهايته بقليل ليربح هو السباق. لكن علاقاته العربية كانت جيدة.

سياد برّي رجل ماركسي يساري. وكان يريد إنشاء حزب شيوعي لنشر الشيوعية في الصومال ولم ينجح في ذلك. حكم الصومال بيد من حديد ونار لكنه حافظ على الصومال موحداً.

■ ما كان رأي الرؤساء الأفارقة في القذافي؟

ـ كان لديه أنصار في القارة الأفريقية، خصوصاً عندما سعى إلى الوحدة الأفريقية وصرف عليها الأموال. ليسوا كلهم جديين بل ولاء بعضهم كان نتيجة التأثير المادي. وفي قضية طائرة لوكربي مع البريطانيين أظهر الأفارقة مساندة لليبيا. الرؤساء الأفارقة يساندون أي بلد أفريقي ضد أي بلد من خارج القارة.

■ ماذا تقول عن عملية تفجير الطائرة الاميركية فوق لوكربي؟

ـ هذه القضية معقدة فعلاً. ليبيا اتُهمت بالعملية، وسواء كانت وراءها أو لا، وسواء نفذتها منفردة أو بمشاركة آخرين، فإن تلك قضية كان يجب أن يبحث فيها مجلس الطيران في كندا ويُصدر فيها قراراً، ويتم التحقيق على هذا الأساس. صدر قرار عن مجلس الأمن وكان ذلك مقصوداً لأن ليبيا كانت ضعيفة في ذلك الوقت وكانت محاصرة، واعتقادي أنه حتى لو لم تكن ليبيا المسؤولة، فإنه كان سيُصار إلى تحميلها المسؤولية.

■ هل تعتقد أن ليبيا غير مسؤولة عن حادثة لوكربي؟

ـ هناك أقوال كثيرة، كانت هناك فرضية تقول أن ليبيا مسؤولة، وطرحت أيضاً فرضية مسؤولية بعض العناصر الفلسطينية. حتى لو أن ليبيا كانت المسؤولة فإن القرار لا يصدر عن مجلس الأمن، وكذلك ما تلاه من حصار وفرض عقوبات. حصلت تفجيرات لطائرات عدة في السابق، مثل الطائرة الهندية التي انفجرت فوق المحيط الأطلسي وذهب ضحيتها الكثيرون، والطائرة المصرية التي انفجرت في أميركا فقيل إن الطيار ردد بعض العبارات. في تلك الحوادث لم تُتخذ الإجراءات التي اتُخذت ضد ليبيا كدولة، فقد استغلوا ضعف الليبيين وتوّحد مجلس الأمن ضد ليبيا، وتصرفات معمر القذافي ربما أدت إلى تفاقم هذا الموضوع. لا أريد تبرئة الأجهزة لكنني أشير إلى أن طريقة العقاب كانت غير عادية.

■ هل كان المسؤولون الليبيون يتحدثون في ما بينهم عما إذا كانت ليبيا نفذت التفجير أو لا؟

ـ حتى لو كانت ليبيا المسؤولة، فإن ذلك لم يكن بعلم المسؤولين الليبيين، لكن المفروض لو وجد قانون دولي نزيه، فإن القضية لا ترقى إلى مستوى قضية ضد دولة، فيُصار إلى محاصرتها ويُمنع عنها الغذاء، رد الفعل كان مبالغاً فيه في شكل كبير. الحصار آذى الليبيين وأضعف ليبيا. وتصرفات معمر القذافى الشخصية هي التي فاقمت الموقف.

■ **ما قصة طائرة «يو تي آيه» الفرنسية التي قيل إن الأجهزة الليبية فجّرتها فوق النيجر لاعتقادها أن المعارض محمد المقريف كان بين ركابها؟**

ـ ينطبق عليها ما ذكرت عن لوكربي، وصدر حكم في شأنها في فرنسا. المنطق الموجود في هذا العالم الغريب يجعل أي خلاف بين دولة كبيرة ودولة صغيرة يُخسّر الدولة الصغيرة الحُجة، والقرار يكون للدولة الكبيرة.

■ **هل تعرف الرئيس بشار الأسد شخصياً؟**

ـ نعم قابلته ونقلت إليه رسائل تتعلق بإطار العمل العربي المشترك. علاقاته مع معمر القذافي لم تكن علاقات خاصة كما كانت الحال مع والده الرئيس حافظ الأسد، وكان القذافي كما أشرت سابقاً، ينادي بشار «يا إبني». مشكلة القذافي أنه كان ينادي الملك محمد السادس أيضاً «يا إبني»، وكان ذلك يُسبب للحكام الشبان إزعاجاً. بشار الأسد زار ليبيا لكنني لم أكن موجوداً أثناء زيارته.

■ **تعرفت إلى القذافي عام ١٩٧٣. متى أدركت أن القذافي يتوجه نحو كارثة؟ هل كنت تتوقع أن يصل «الربيع العربي» إلى ليبيا؟**

ـ نحن حقيقة، منذ عام ١٩٧٥ ومعي بعض الزملاء، بتنا ندرك خطورة الموقف بعد التصفيات وعمليات الإبادة والقتل، وعملية سجن أبو سليم لاحقاً. هذه التصرفات كانت تنذر

بكارثة. تصرفات القذافي ثم تصرفات أولاده المالية وسيطرتهم على الاقتصاد كانت أمراً مزعجاً، فقد أعلن «الجهاد» على سويسرا لأن ابنه هنيبعل، وزوجته اللبنانية، تسببا بمشكلة هناك. أولاده أساؤوا إليه في شكل كبير، وكذلك هو كانت تصرفاته حمقاء، بخاصة عندما بدأت الثورة ضده، أعطى تعليمات بقتل الناس خصوصاً في مصراتة حيث طلب إبادة جماعية لأهلها، ومحاولة تدمير بنغازي. كانت تصرفات شخص أهوج. إذا كانت هناك ثورة ضدك كحاكم فعليك أن تحاول حل المشكلة سياسياً لا أن تبيد شعبك وتنعت الناس بالجرذان و«مَنْ أنتم»؟ القذافي في السنوات الأخيرة أصبح خارج الواقع.

■ هل كان التوريث مطروحاً فعلياً وأن سيف الإسلام سيكون خليفته؟

ـ لم يتحدث علناً عن ذلك معنا، لكن تصرفاته كانت توحي بذلك، بعدما أصبح التوريث في العالم العربي مباحاً بعد الذي حصل في سورية وما كان يُحضّر في اليمن، وأصبحت الجمهوريات كالملكيات في الوطن العربي. كل حاكم عربي يريد نقل السلطة إلى ابنه.

■ كيف كانت علاقة القذافي بالرئيس حسني مبارك؟

ـ كانت جيدة، وأعتقد أنه دعم مبارك في مصر، ولكن لم يكن لدي اطلاع مباشر على هذا الأمر.

■ **مَنْ كان الرجال الأساسيون حول القذافي في السنوات الأخيرة؟**

ـ من الصعب الحديث عن رجال أساسيين في بلد حجم الصلاحيات فيه مرهون برضا الحاكم. هناك أشخاص لديهم وظائف، لكن الناس الأقرب إليه لا يملكون مناصب، مثل أقربائه وكتائب الأمن الخاصة به ومجموعة من قبيلته وبينهم خليفة حنيش الذي توفي أخيراً.

■ **ما كان موقع عبدالله السنوسي؟**

ـ عبدالله السنوسي عديل القذافي وله تأثير عليه وبقي معه. كان رجل أمن، مدير الاستخبارت العسكرية ونائب مدير الاستخبارات العامة. وكان مقرباً منه. بالنسبة إلى معمر القذافي، كان هو السلطة المطلقة على رغم وجود أشخاص قريبين منه في الأمور الداخلية، مثل رؤساء الوزارات، والبغدادي المحمودي بينهم.

■ **خلال الاجتماعات هل كان القذافي يقبل أن يعارضه أحد؟**

ـ كان ممكناً أن يتقبل المعارضة خصوصاً خلال اللقاءات الثنائية، أي على انفراد.

■ **ما المواقف التي تذكرها بينكما؟**

ـ هناك مواقف عدة في ما يخصّ السياسة الخارجية كنت أقول

رأيي فيها وأعترض عليها لأنها غير مناسبة أو غير منطقية، لكن إذا أصر ننفذ، ففي النهاية هو يتحمّل مسؤوليتها. كنا مجموعة من السياسيين نجتمع بالقذافي، مثل عبدالرحمن شلقم وبشير صالح، سكرتير القذافي، وشكري غانم، نناقشه في كثير من المواضيع ونعارضه أحياناً.

■ كيف كانت تجربة عبدالرحمن شلقم في وزارة الخارجية؟

ـ عبدالرحمن شخص جيد وعاقل وله رأيه، وعلاقتي الشخصية به جيدة جداً.

■ بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ هل حدث تحول في نهج القذافي؟ هل كان يكره الإسلاميين في الداخل؟

ـ لا علاقة للقذافي بأحداث ١١ سبتمبر لا من قريب ولا من بعيد، لكن سيف الإسلام اجتمع مع الإسلاميين وتناقش معهم وتم العفو عن بعضهم على رغم أن كثيرين من الإسلاميين تعرضوا للقتل، خصوصاً في سجن أبو سليم (المذبحة الشهيرة التي راح ضحيتها ١٢٧٠ سجيناً)، وفي غيرها من التصفيات.

هناك أيضاً مذبحة الطائرة الليبية في ١٩٩٢ والتي قتل فيها ١٥٧ شخصاً. الاعتقاد السائد هو أن الأجهزة الليبية أسقطتها عمداً وحمّلت الاميركيين في حينها المسؤولية بذريعة أنهم لم يزودوا ليبيا قطع الغيار. كانت عملية مدبرة والطيار كان عديلي علي

الفَقَيّ وقتل فيها. الطائرة أسقِطت بصاروخ بعدما كانت زرعت بمتفجرات لم تنفجر بطريقة صحيحة. وتردد أن الغرض من الجريمة كان إجراء مقايضة مع الأميركيين في قضية طائرة «لوكربي» أي: نحن اتهمنا بإسقاط طائرة وأنتم اتهمتم بإسقاط طائرة، فلنقفل الملف. طبعاً هذا تفكير ساذج.

■ **كيف كان موقفك كوزير للخارجية ومبعوث للرئيس الليبي بعد أدوار القذافي هذه، وكيف كانت الدول تتعامل معك؟**

ـ واجهت مشاكل عدة وتلقيت ردود فعل دولية تجاه أعمال لا أخلاقية، بخاصة لجهة تعقب الليبيين المعارضين في الخارج وتصفيتهم.

■ **هل تولت الاستخبارات الليبية مهمة تصفية الليبيين المعارضين في الخارج أم استعانت بآخرين مثل جماعة «أبو نضال» مثلاً؟**

ـ نعم عبر أشخاص مأجورين يثقون بهم، لا أعرف إذا تم استخدام «أبو نضال» أم لا، لكن من المؤكد أنهم استخدموا بعض الفلسطينيين.

■ **استخدم القذافي «الجيش الأحمر» الياباني وكذلك «الألوية الحمر»؟**

ـ كانت لديه إمكانات ضخمة واستخدم كثيرين. الإرهاب الذي

مارسه معمر القذافي ضد المعارضة الليبية في الداخل والخارج أمر غير مقبول. وأعتقد أنه كان وراء عملية خطف وزراء «أوبك» في فيينا التي ذهب ضحيتها بعض الليبيين مثل يوسف الازمرلي الذي كان صديقنا وزميلنا وكان موجوداً ضمن الوفد الليبي وقُتل خلالها.

■ متى أعلنت طلاقك مع النظام في ليبيا؟

ـ بعد عودتي من الأمم المتحدة ورئاستي الجمعية العامة في نيويورك طلبت إعفائي. وذكرت أنني غير راغب في الوظيفة إطلاقاً. أمسكت أعلى وظيفة في العالم رئيساً للجمعية العامة في الأمم المتحدة ولم يعد لدي أي رغبة للعمل في وزارة الخارجية. أبلغت هذه الرسالة إلى معمر، وأنني أريد أن أترك وأتقاعد. عندما بدأت الأحداث كنت في طرابلس. ذهبت إلى السنغال، ولدى عودتي بدأت الأحداث في بنغازي. حاولت الاتصال بالقذافي للقائه أو التحدث إليه لإبلاغه أن ما يحدث غير مقبول. اتصلت بسكرتيره بشير صالح فلم يرد عليّ، ثم اتصلت مرة ثانية وتحدثت إلى أحد موظفي السكرتارية ولم يعودوا إليّ لتحديد موعد لي مع القذافي. بدأت الأحداث وأنا في طرابلس. حتى خلال الأحداث كانت مشاركتي مجمدة ولم أدعَ إلى اجتماعات اللجنة السياسية، التي شُكِّلت لمعالجة الموقف.

عند تطور الأحداث، وبعدما اتخذ عبدالرحمن شلقم موقفه، تذكروني وطلبوا مني التوجه إلى نيويورك، وكان موقفي صعباً جداً سواء كان ردي بالرفض أو الموافقة، وبدأت أخطط

للخروج من البلد. طلبوا مني التوجه لمقابلة بان كي مون (الأمين العام للامم المتحدة) في تونس. ذهبت إلى تونس لكنني لم أقابل الرجل ولم أطلب مقابلته بل قابلت الباجي قائد السبسي وهو صديقي، وكان رئيس وزراء تونس، وأبلغته أنني سأسافر. واتصلت بالسفير الأميركي في تونس وطلبت منه إبلاغ حكومته ألا يصدروا تأشيرة لي لأنني لا أرغب في السفر إلى نيويورك (مبعوثاً من القذافي). واتصلت هاتفياً بسوزان رايس وأبلغتها. اتصلت أيضاً بفرنسوا غييان الذي كان سفير فرنسا في ليبيا وتسلم الملف الليبي في وزارة الخارجية الفرنسية. أخذت إجراءاتي وتوجهت من تونس إلى القاهرة في ٢٠ آذار/ مارس ٢٠١١، وكانت الثورة بدأت في بنغازي في ١٧ شباط (فبراير)، وأصدرت يومذاك من القاهرة بياناً دنت فيه ما يجري وقدمت استقالتي وأعلنت انشقاقي عن النظام. لقد توجهت من تونس إلى القاهرة على أساس أنني سأطلب تأشيرة من سفارة أميركا في القاهرة وأبلغت الاميركيين في القاهرة أنني لا أريد التأشيرة.

في ٢١ آذار/ مارس هجمت كتائب القذافي على منزلي في طرابلس وتم تدميره بالكامل بعدما أخذوا كل مقتنياتي. زوجتي غادرت معي، وكنت قد رتبت سفر ابني محمد قبل مغادرتي ليبيا. خسرت كتبي وصوري ووثائق وتذكارات ٤٠ سنة من العمل. وظهرت قائمة الخمسين شخصية الذين تم إهدار دمهم وإباحة قتلهم بأمر من القذافي، وأنا من ضمنهم. بقيت في القاهرة حيث لقيت كل الدعم من الحكومة المصرية والأمن المصري. بدأت من أيامي الأولى في القاهرة العمل من أجل

دعم الثورة الليبية، سواء إعلامياً أو من خلال اتصالاتي مع البريطانيين والفرنسيين. واتصلت بالرئيس (الجزائري عبدالعزيز) بوتفليقة، وهو صديقي، ليدعم الثورة الليبية، ووجهت إليه رسائل عدة بينها رسالة من طريق عبدالقادر حجّار، سفير الجزائر في القاهرة، ومن طريق الأخضر الابراهيمي وهما أوصلا إليه الرسالتين. واتصلت بأصدقاء لي في الحكومة السودانية وطلبت دعمهم. قابلت نبيل العربي، وكان وزير خارجية مصر حينذاك، وحدثته طويلاً وبيّنت له موقفي، كما تكلمت مع المسؤولين عن الأمن المصري والاستخبارات العامة المصرية. وبدأت أعمل من أجل الثورة الليبية.

■ **هل لك علاقة مع المجلس الوطني الحاكم؟**

ـ كانت لدي علاقة بمصطفى عبدالجليل حين كان وزيراً للعدل في ليبيا ولا علاقة لي مع الآخرين، لكنني لم أتصل به إطلاقاً ولا بأي من أعضاء المجلس الوطني الحاكم. انشققت عن النظام وبدأت العمل لدعم الثورة لكنني لم أتصل بالمجلس.

■ **أنت الآن لا تزور ليبيا، هل هناك أي إجراء ضدك هناك؟**

ـ أصدر المجلس الوطني الحاكم قراراً بمصادرة أملاك بعض الليبيين، الذين يعتبرهم من أزلام القذافي، وأنا منهم. وضعوا الأملاك تحت الحراسة ولكن هذا غير مقبول قانونياً وغير منطقي لأن المجلس الانتقالي أساساً مجلس موقت ولا يصدر

مثل هذه القرارات التي هي من اختصاص القضاء. مصطفى عبدالجليل عمِل مع النظام وزيراً وكان رئيس محكمة الشعب. كثيرون ممن قادوا الثورة عملوا مع النظام، وهذا لا يعني أن كل مَنْ عمل في عهد القذافي كان مع القذافي، أنا عملت للدولة الليبية.

■ هل لديك الكثير من الأملاك في ليبيا؟

ـ لدي بيت كبير بنيته في أرض اشتريتها عام ١٩٦٦ قبل الثورة الليبية. أنا لم أعمل في التجارة أو في شركات ولم أحصل على عمولات من شركات. العمل في الخارجية كله أوراق: أحيل وأرفق رسائل ليس فيها أموال ولا موازنات.

■ حدثنا عن نشأتك.

ـ أنا من مواليد مصراتة في تشرين الأول/ أكتوبر من العام ١٩٣٨. درست في الجامعة الليبية أولاً ثم في جامعة تولوز في فرنسا حيث حصلت على درجة الدكتوراه في التاريخ السياسي. أجيد اللغتين الفرنسية والإنكليزية. متزوج ولي ابن في الخارج وأربع بنات ما زلن يقمن في ليبيا.

■ ماذا تشعر بعد هذه التجربة الطويلة؟ هل أنت نادم على العمل مع القذافي؟

ـ أشعر أنني أديت واجبي تجاه بلدي خلال عملي، طوال هذه الفترة، وأعتز بخبراتي سواء في الأمم المتحدة أو في الجامعة العربية، ولم يحدث إطلاقاً أنني تكلمت عن معمر القذافي

كشخصية أو شكرته، لا في الأمم المتحدة لا في الجامعة العربية، ولا في دول عدم الانحياز، ولا في المؤتمر الإسلامي ولا في أي مكان، ولا في أحاديث صحافية.

■ **هل التقيت كاسترو؟ وكيف كانت علاقة القذافي به؟**

ـ نعم التقيته. كاسترو زعيم كبير قد تختلف معه كماركسي، لكنه زعيم ذو خبرة يختلف كثيراً عن معمر القذافي. كاسترو قائد.

■ **ما هي علاقة القذافي بتوني بلير؟**

ـ كانت علاقة انتهازية سياسية، من جانب بريطانيا ومن جانب معمر بالذات، وأصبح سيف الإسلام يعتبره صديق العائلة.

■ **قابلت ١٣٨ زعيم دولة، من هي الشخصية التي استحوذت على إعجابك؟**

ـ أكثر رئيس تأثرت به وبشكل كبير هو الرئيس علي بوتو، كان مناضلاً حقيقياً. حضرت خطابه في الأمم المتحدة بعد انفصال باكستان ولمست مدى تأثيره كسياسي. ثم قابلته بصفته رئيس وزراء أكثر من مرة وتحدثت إليه كثيراً. وحضرت محنته عندما تمرد عليه مولاي محمود والتيار الديني وحاولت التوسط بينهما. حضرت قمة لاهور الإسلامية وكان رئيسها. علي بوتو رجل سياسي مطلع وبارع. أيضاً رئيس الوزراء اليوناني أندرياس باباندريو أعجبتُ بشخصيته. وجوليو أندريوتي من إيطاليا والرئيس الراحل هواري بومدين. وبيني وبين الرئيس

الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة صداقة عزيزة. الرئيس بومدين زعيم سياسي عربي كبير. أنا أقدر أيضاً الرئيس حافظ الأسد تقديراً كبيراً، كان بعيد النظر وسياسياً محنكاً. ومن الرؤساء الأفارقة أقدر الرئيس العاجي فيليكس هوفويت بوانييه وطبعاً نلسون مانديلا.

■ **ما هي أصعب مهمة كلفك بها القذافي؟**

ـ قضية تشاد أتعبتني لأنها قضية شعب جار وقضية حية.

■ **ماذا قال لك فرانسوا ميتران عن القذافي؟**

ـ ميتران التقى القذافي في جزيرة كريت وكان مستعداً للتفاهم مع ليبيا. أنا كنت من أواخر السفراء الذين قدموا أوراق اعتمادهم إلى ميتران قبل وفاته.

■ **هل التقيت الرئيس جاك شيراك؟**

ـ التقيت شيراك أكثر من مرة وهو شخص مطلع ويتعاطف جداً مع الشؤون العربية.

■ **مَنْ التقيت من المسؤولين السعوديين؟**

ـ أول لقاء لي كان مع الملك فيصل، رحمه الله، في ١٩٧٣ للبحث في قضية المسلمين في جنوب الفيليبين ضد نظام ماركوس. القذافي كان يقدم مساعدات للمسلمين هناك، وهو أثار الموضوع وحمّلني رسائل إلى حكام الخليج العربي. الملك فيصل كان شخصية مؤثرة وقيادية ومحللاً سياسياً جيداً

ومطلعاً على الوضع الدولي، وحماسته لقضية فلسطين كانت كبيرة جداً، وحضر معي الاجتماع المستشار رشاد فرعون، كان مع الملك أحد إخوته. كان الملك فيصل يعرف أنني مدخن شره فأعطاني الإذن بالتدخين (في مجلسه)، وتحادثنا طويلاً في القضايا العربية وفي قضية المسلمين في الفيليبين. وللأسف كان لديه حينذاك عتب كبير على الزعيم كمال جنبلاط بعدما أطلق تصريحاً لم يتضمن مراعاة لبعض المشاعر الإسلامية. نقلت رسائل مماثلة إلى الشيخ زايد بن سلطان. الشيخ زايد كان رجلاً عفوياً وممتازاً.

التقيت الملك خالد مرتين، مرة في جنيف بخصوص «أوبك» ومرة في الرياض. وقابلت الملك فهد مرات عدة. الملك فهد كان صاحب شخصية محببة ومحاوراً جيداً. حقيقة، أعضاء العائلة المالكة السعودية يتميزون بالهدوء والأدب في التعامل مع الناس، وعلاقاتي معهم شخصياً كانت ممتازة وحاولت تصحيح ما أمكن. علاقتي مع الأمير سعود الفيصل ممتازة. التقيت الأمير سلطان في باريس، وهو شخصية محببة ومنفتح ومستمع جيد ومطلع على الوضع العربي والدولي ومشاعره الإسلامية حية. سلوك العائلة المالكة السعودية معتدل عربياً وإسلامياً ولا يحبون الخلافات.

■ أي نوع من الكتب تقرأ؟

ـ أقرأ الكتب السياسية ومذكرات القادة.

■ ماذا كان شعورك يوم مقتل القذافي؟

ـ كنت أتوقع له مثل هذا المصير لأنه لم يوفر لنفسه مخرجاً. دمّر نفسه ودمّر أسرته ودمّر البلد معه.

■ **أنت عايشت القذافي وصدام حسين وقد دمّرا بلديهما ودمّرا عائلتيهما ودمّرا نفسيهما.**

ـ للأسف لقد عاشا على الأوهام. القذافي كان عندما يتحدث يقول إن الشعب يحبه والشعب يقدره وهذا كذب. إذا كان الشعب يحبك فهل تصفه بالجرذان؟ هذا غير مقبول. إنها مأساة حين تسمع من زعيم نظام ديكتاتوري يقتل شعبه عبارة «شعبي يحبني». يقتل الديكتاتور شعبه ثم يهتف «شعبي يحبني». المقلق أن هناك من لا يريد أن يتعلم.

■ **قصة القذافي انتهت بكارثة للبلد ولصانع الكارثة.**

ـ هذا صحيح. قتل القذافي وقتل ابناه خميس وسيف العرب، وأنا لا أعرفهما، ثم المعتصم الذي قتل معه، واعتُقِلَ سيف الإسلام، وهرب ولدان: ابنه محمد والأغلب أنه في الجزائر، وابنته عائشة.

■ **هل كانت علاقة القذافي بالرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة قوية؟**

ـ كانت علاقة لا بأس بها.

■ **وعلاقته بالرئيس السوداني الراحل جعفر النميري؟**

ـ كانت سيئة، كان القذافي يتصرف وكأنه أكثر من رئيس أو زعيم لبلد، وكان يطالب عملياً بأن يعترف له بدور بهذا الحجم. ويبدو أنه كان من الصعب على النميري، وهو عسكري أيضاً، التسليم بشيء من هذا النوع. ساهم معمر في إسقاط النميري عبر الدعم الذي قدمه للصادق المهدي، والنميري رد له الجميل وافتعل له المشاكل. هذه هي المشكلة، كل حاكم يحاول امتلاك أوراق داخل حدود البلد الآخر. بالنسبة إلى السودان حاولنا دائماً إنقاذ العلاقات لكن معمر، وإنصافاً للحقيقة، أساء إلى السودان. هناك مسألة غريبة في هذا السياق. شجّع معمر الانفصال في السودان، وهذا أكبر خطأ ـ حتى ما قبل جون قرنق (جوزف لاغو) على رغم أن شعبَي السودان وليبيا أقرب شعبَين بعضهما إلى بعض وجيران. لا أعرف لماذا أساء إلى السودان إلى تلك الدرجة. ثم إن انفصال جنوب السودان يطرح مشاكل معقدة تتعلق بالنفوذ الأجنبي هناك والتأثير في تدفق النيل، وهو أمر يقلق مصر.

■ **ذكرت أن توني بلير أصبح «صديق العائلة»؟**

ـ هكذا يدّعون. وعلاقة القذافي ببرلسكوني كانت قوية، وهما يتشابهان.

■ **مَنْ تعرف من القيادات اللبنانية؟**

ـ عرفت الكثير من القيادات الوطنية اللبنانية: جورج حاوي، رحمه الله، ومحسن إبراهيم ووليد جنبلاط، والرئيس السابق

أمين الجميّل الذي تعرفت إليه في نيويورك خلال زيارة له وكنت حينها رئيس المجموعة العربية ودعوناه كعرب، وألقيتُ كلمة ترحيبية شدّدت فيها على عروبة لبنان، وكانت الكتائب اللبنانية متهمة، تلقّى تلميحي بحساسية ثم أصبحنا أصدقاء. في إحدى زياراتي لبنان خلال لقائي بالرئيس أمين الجميّل في قصره، وكان في شهر رمضان، قُصف القصر بصاروخ سقط في الحديقة خلال تناولنا الطعام. عند مغادرتنا القاعة سقط صاروخ ثانٍ أوقعنا أرضاً وتدحرجنا معاً على السلالم ونجونا بأعجوبة. وهو زارنا في ليبيا والتقى القذافي. وخلال عملي سفيراً في باريس كنت ألتقي الرئيس الجميّل باستمرار خلال إقامته هناك، مع ميشال مرهج.

■ **السفارات الليبية كانت تتضمن خلايا أمنية واتهمَت بتخزين السلاح.**

ـ هذا صحيح، واكتُشِف الأمر أكثر في السنوات الأخيرة. خلال عملي مندوباً في نيويورك رفضت توظيف أي شخص أمني وقلت لهم إن العمل في نيويورك كله وثائق معلنَة ونرسل إليكم ما تريدون. إشراك السفارات في مسائل أمنية يؤدي إلى حوادث مؤسفة ومحرجة كما حدث في سفارتنا في لندن. لم نكن في الواقع دولة طبيعية تعمل مؤسساتها وفق القواعد المتعارف عليها.

■ **كيف كانت علاقتك مع موسى كوسا؟**

ـ ربطتنا علاقة عمل عادية.

■ **مَنْ من المجموعة الفاعلة في ليبيا كان صديقاً لك وجمعتكما علاقة شخصية؟**

ـ معظمهم أصدقاء لي وبيننا عِشْرة سنوات طويلة، عبدالرحمن شلقم ومحمد الزوي، فضلاً عن آخرين.

■ **كيف تصف الوضع الحالي في ليبيا وما هو المخرج؟**

ـ أرى أن ما حصل في ليبيا معجزة في ما يخص إسقاط النظام، والكتائب إثر ثورة شعبية كان لا بُد منها. قسوة القذافي المفرطة ضد شعبه تسببت في تدخل حلف الناتو. الآن وقد انتهى نظام القذافي يُفترَض بنا نحن الليبيين أن نسعى إلى الوحدة الوطنية. أتمنى أن يستنتج الليبيون الدروس اللازمة مما حدث. أتمنى أن يتوقف الآخرون أيضاً عند ما حصل. هل هناك موقع يستحق أن يقتل الحاكم شعبه من أجل الاحتفاظ بذلك الموقع؟

■ **هل أنت خائف على ليبيا؟**

ـ أنا خائف على ليبيا بسبب الحركات التي ظهرت أخيراً تحت شعار اللامركزية والكونفيديرالية والفيديرالية والانفصالية والأقاليم (مثل إقليم بَرَقة). هذه النعرة الإقليمية سيئة وأنا خائف على ليبيا منها. النقطة الأخرى التي أتخوف منها الاقتتال الذي جرى في الكُفرة وسبها بين التّبو والطوارق، وما جرى في زوارة بين البربر والعرب. كذلك كثرة السلاح الذي انتشر في شكل مخيف وهذا سبَّبه القذافي. هذا الانتشار للسلاح يشكّل

خطراً حتى على الدول المجاورة، مثل مصر. هناك مئات الآلاف من الليبيين خارج ليبيا حالياً، منهم في مصر وتونس، ويجب العمل على المصالحة الوطنية لا أن نعود إلى أسلوب القذافي في تتبع المعارضة ودفع المبالغ الطائلة لتصفية المعارضين أو لاستمالتهم. هذا الأمر غير مقبول إطلاقاً.

أرى من الضرورة الدعوة إلى المصالحة الوطنية، وهذا لا يمنع محاكمة كل مَنْ ارتكب جريمة قَتْل أو ظلم أو سجن أشخاصاً وتحويله إلى القضاء، وكذلك الفساد المالي، على رغم أن الفساد المالي مستمر ولم يكن فقط خلال عهد القذافي، كما نسمع من تصريحات وزير المال والمجلس الانتقالي، مع ذلك محاربة الفساد واجبة. ومَنْ نملك ضده دليل أنه أفسَد أو أخذ رشى أو شارك في السطو على المصارف يجب تقديمه إلى المحاكمة. لكن إصدار قرار تمييزي ووضع البعض وأولادهم القاصرين وأولادهم البالغين وزوجاتهم وأملاكهم تحت الحراسة من دون دليل، فهذا لم يحصل في التاريخ، حتى القذافي لم يقم بمثل هذا العمل، وهذا غير مقبول. في القرآن الكريم «لا تزر وازرة وزر أخرى» فلا يجوز محاسبة أحد على خطأ ارتكبه غيره. يجب عدم مطاردة الليبيين بل إصدار عفو عام ليعود الليبيون إلى بلدهم ومَنْ عليه مأخذ يحوّل إلى القضاء. لكن أن يُصدر مجلس انتقالي موقت قرارات مُعيبة فهذا غير مقبول، خصوصاً أنها اتُخِذَت بانتقائية فبعض الذين ينتمون إلى جهة معينة لم يعاقَبوا. أريد للبلد الخير وأريد للبلد أن يلعب دوراً كبيراً. روح الانتقام لا تبني بلداً.

■ حدثنا عن ملابس القذافي الغريبة ولباسه الأفريقي غير الموجود في التقليد الليبي.

- القذافي حالة وشخصية خاصة. لا أعرف ما إذا كان ذلك نتيجة رغبة في لفت الأنظار أو تأكيد الاختلاف، لكن الأمر يبلغ حداً محرجاً. كان القذافي غريباً في طريقة تصرفه وأسلوبه في اتخاذ القرار وفي تقويمه للآخرين.

■ هل كان أبو بكر يونس الذي قتل هو الآخر مؤثراً؟

- أبو بكر يونس كان طيباً، ولكن للأسف بعض الإخوان استمروا مع القذافي حتى النهاية وكانت نهاية مؤلمة لبعضهم تُل.

■ ما هو مصير الخويلدي الحميدي؟

- هو خارج ليبيا ولكن لا أعرف أين هو.

■ القذافي صنع مصيره مثل صدام؟

- هو أنهى نفسه بنفسه. الحكم في الوطن العربي «من المهد إلى اللحد»، وهذا غير مقبول. تحولت بعض الجمهوريات إلى ملكيات وراثية ولكن من دون أن تقتدي بالملكيات العقلانية المستندة إلى التقاليد.

■ كيف كانت علاقة القذافي مع الملك حسين؟

- كانت علاقتهما مقبولة بعد المرحلة الأولى التي شهدت

فصولاً عاصفة، يوم كان القذافي يسارع إلى اتهام الآخرين بالخيانة ويطلق التهديدات ضدهم. علاقته مع الملك عبدالله الثاني كانت مقبولة أيضاً.

■ ماذا كان رد فعل القذافي على غزو الكويت؟

ـ وقف إلى جانب الكويتيين وعرض عليهم مساعدات ولم يكن مع غزو صدام الكويت.

■ هل قابلت الإمام الخميني؟

ـ قابلته مع مجموعة من أنصاره وكان صاحب شخصية عادية. الحقيقة أنني لم أشعر بالانبهار. ربما كان للآخرين رأي آخر. هذا كان انطباعي. كذلك قابلت المرشد الحالي علي خامنئي.

■ كيف تصف الوضع العربي اليوم؟

ـ أرى الوضع العربي مؤلماً ولا أجد القمم العربية جدية في عملها. فهم يجتمعون لساعات ويستعجلون المغادرة. إذا قارنا بين القمم الأفريقية والقمم العربية، القمم الأفريقية أكثر جدية إلى درجة أن لا مقارنة بين العرب وأفريقيا، فالزعماء الأفارقة قد يقضون يومين يتحادثون في جدول الأعمال ويناقشونه ويختلفون في ما بينهم ثم في النهاية يفترقون وجميعهم أصدقاء، بينما خلال مناقشة استمرت ساعة في قمة تونس مثلاً، قالوا إن مشكلة لبنان حُلّت. القادة العرب يأتون إلى القمة وهاجسهم موعد المغادرة. يجب أن يتغير نهج القمم العربية كلياً وكذلك العمل العربي.

■ **كيف ترى العلاقات بين الزعماء العرب؟**

ـ العلاقات بينهم ليست سيئة إجمالاً لكنهم ينافقون بعضهم كثيراً ولا يبحثون الأمور بجدية. هل يُعقل مثلاً ما يجري الآن في فلسطين من عجز عربي؟ هذا شيء مخيف.

■ **ما رأيك بما يجري في سورية؟**

ـ أرى شخصياً أن هناك خطورة على سورية كبلد مواجهة، وقد تتطور الأحداث إلى حرب أهلية وهذا شيء خطير بالنسبة إلى العرب. سورية ليست دولة عادية بعيدة في المغرب العربي بل هي دولة مواجهة عربية أساسية بصرف النظر مَنْ المخطئ ومَنْ المصيب فيها، ويجب الحفاظ على سورية. العراق دُمِّر. انتهى وما يجري هناك الآن مأساة، سواء لجهة النزاع الطائفي الشيعي ـ السنّي أو لما حدث للمسيحيين في العراق، فهذا شيء مخجل، وهذا أخطر ما يمكن أن يصيب الوطن العربي. المسيحيون في العراق ومصر وسورية ولبنان هم جزء من النسيج العربي وليسوا غرباء مهاجرين من دول أخرى. ما عاناه المسيحيون في العراق مخجل إذ تعرضوا لاضطهاد تسبب في هجرتهم إلى الخارج. الخوف من أن تسود الطائفية في كل مكان. وهناك خطورة على لبنان وعلى سورية، وعلى العراق خشية أكبر. ولا أستبعد أن ينتقل ما يجري في العراق وسورية حالياً إلى دول عربية أخرى. نرى الوضع في البحرين وفي اليمن. الوطن العربي يمر بمرحلة من أصعب ما يمكن. ليس

في مصلحة العرب أن ينحازوا إلى جهة ما ضد جهة أخرى، بل يجب أن يعمل العرب على حل مشاكلهم.

■ **هل ترى أن عقدة الزعامة دمرت العالم العربي. صدام أراد أن يكون الزعيم والقذافي أراد أن يكون الزعيم؟**

ـ الزعامات العربية الزائفة تلك تسببت في دمار الوطن العربي. غزو صدام الكويت كان كارثة وأساء للأمة العربية ودمّرها، وخلق مشاكل في الوطن العربي.

■ **كيف ترى السياسة الإيرانية في الوطن العربي؟**

ـ أنا شخصياً أعارض حصول صدام عربي ـ فارسي، وذلك بحكم الجوار والعلاقة الطيبة. من مصلحة إيران أيضاً كدولة مجاورة للوطن العربي، أن تقيم علاقات جيدة وممتازة مع جيرانها. من حق إيران كثورة أن تسعى إلى بناء قوة. وفعلاً إيران لم تعد دولة عادية بل أصبحت قوة كبيرة عبر بناء قاعدة صناعية. مصلحتنا كعرب ليست في الصراع ضد إيران. الشيخ زايد رحمه الله قالت له السيدة ثاتشر: الآن هناك خطر سوفياتي على المنطقة العربية كلها ويجب أن نتوحد. أجابها الشيخ زايد: نحن لدينا خطران، خطر إسرائيلي وخطر روسي، علينا أن نبدأ بمواجهة الخطر الأول (إسرائيل) ثم ننتقل إلى الخطر الثاني. على الإيرانيين أيضاً أن يدركوا أن من مصلحتهم العمل مع العرب. ولكن من غير المقبول أن يتدخلوا في الشؤون الداخلية للدول العربية. جر العرب إلى فتنة طائفية شيعية ـ

سنّية أو عربية ـ غير عربية شيء مخيف. وكنت خلال رئاستي الجمعية العامة أرسلت إلى ملك البحرين الشيخ حمد بن عيسى رسالة بهذا الخصوص. الحوار ممكن لحل مشاكلنا خصوصاً مع جيراننا.

■ بالعودة إلى الوضع في سورية هل تعتبر ما يجري معركة من أجل الديموقراطية؟

ـ الديموقراطية ليست قميص عثمان نستوردها من الخارج ونقدمها إلى الشعوب. إذا أراد الشعب الليبي أو الشعب السوري حل مشاكلهما، فهما حُرّان، ولكن لا نأتي بالديموقراطية من الخارج.

■ هل تخاف أن يؤدي الربيع العربي في النهاية إلى قيام أنظمة أصولية إسلامية متشددة؟

ـ الربيع العربي شيء يبشّر بالخير إذا استمر. نرى المشاكل كثيرة في مصر على رغم أن المصريين لم يتجاوزوا الحدود في العمل بعضهم ضد بعض، بل ما زال أسلوب الحوار قائماً بينهم: تونس تعرضت لمشاكل وما زالت ونرى موقف السلفيين هناك. ليبيا تتعرض لمشاكل. هذا لا يعني أن المشكلة هي في الربيع العربي بل المشكلة في مَنْ يتولى هذا الربيع. المصالحة الوطنية مطلوبة في مصر وتونس وليبيا. إذا تعرضت مصر لهزة مثل ما حدث في بعض الدول العربية الأخرى فستكون كارثة، لأن مصر هي دولة المواجهة الأساسية التي نعتمد عليها ونعوّل

عليها في مواجهة العدو. أمن مصر مهم جداً للعرب كلهم وأمن سورية مهم للعرب كلهم. دولة ساحل العاج أجرت بسهولة عملية انتخابية ناجحة وديموقراطية أين منها الانتخابات في الوطن العربي. هل في العراق انتخابات حرة؟ علماً أن العراق تعرض لأكثر من ربيع، تعرض لحرب مدمرة. هل نتوقع تحسن الأوضاع في اليمن؟ المشاكل لا تزال قائمة في اليمن في شكل كبير. المشاكل قائمة في كل البلاد العربية.

وضعنا العربي سيئ: السودان بلد عربي تفكك وأصبح هناك وجود إسرائيلي في جنوب السودان، وأصبح الخطر على مصر. ومشكلة مياه النيل. وهناك مأساة الصومال. الصومال مأساة بلا نهاية. يخرج من حرب ليدخل في حرب. عنف وجوع وفقر وتشدد. مَنْ ينقذ الوضع العربي والأمة العربية؟

■ **هل كان القذافي مهتماً بالشأن الإريتري؟**

ـ كانت هناك علاقات عادية مع إريتريا.

■ **وهل كان مهتماً بجمع الأموال أم كان همه السلطة فقط؟**

ـ كانت السلطة بيده ومعها الأموال. الحاكم المطلق يملك كل شيء.

■ **أشرتَ إلى أن القمم العربية شكلية ولرفع العتب. ما هي أهم قمة عربية حضرتها؟**

ـ لا أظن أن هناك قمة عربية مهمة.

■ رافقت القذافي في زياراته أفريقيا. أين تلك المملكة الصغيرة التي تردد أنه زارها وتحكمها ملكة وأعدت له استقبالاً حافلاً؟

ـ كانت تلك في أوغندا واسمها تونغا على ما أذكر، وهي سلطنة داخلية. هم شجعوا القذافي على ارتداء ملابس غريبة.

■ كان القذافي يترك الدولة وشؤونها ويهرب إلى الخيمة في الصحراء، فهل كان يعتبر نفسه مفكراً؟

ـ نعم، كان يعتبر نفسه مفكراً.

■ كيف كانت علاقتك بالأمين العام السابق لجامعة الدول العربية عمرو موسى؟

ـ علاقتي به ممتازة وهو صديق، وكان جيداً كوزير خارجية، وجيداً إلى حد كبير كأمين عام للجامعة. حاول لمّ شمل العرب كما يحاول نبيل العربي الآن، لكن الوضع العربي سيئ ولا أعرف إن كان هناك أمل.

■ هل يمكن صعود قذافي آخر في ليبيا؟

ـ نأمل ألا يظهر قذافي آخر وأن لا تتكرر المأساة، هذا يعتمد على الطريقة التي يتم بها تسيير البلد.

■ هل تفكر في العودة إلى ليبيا؟

ـ طبعاً، ونأمل العودة بعد التأسيس للديموقراطية بدلاً من المجلس الوطني.

■ هل صحيح أن حياة القذافي النسائية كانت صاخبة؟

ـ لم أحاول يوماً أن أكون قريباً إلى هذه الدرجة، وكنت أفضل عدم الاطلاع على هذه الجوانب. حصل همس في هذه المواضيع.

■ ماذا كان دور بشير صالح ونوري المسماري؟

ـ الأول كان سكرتير العقيد وأحياناً مستشاره والثاني كان مدير المراسم لديه.

■ بماذا كنتم تشعرون حين تسمعون أنباء مظاهر البذخ التي مارسها أبناء القذافي خارج البلاد؟

ـ أثارت تصرفاتهم انزعاجاً واستياء كبيرين، وكنا نتحدث في ما بيننا عن الأضرار التي تلحقها هذه التصرفات بالبلاد. لم تكن لي أي علاقة قريبة بالأبناء ولم يحدث أن كنت طرفاً في مشاكلهم ولم يطلبوا مني شيئاً.

■ هل شكا لك زعماء من تصرفات العقيد أو اتهمه بعدم التوازن؟

ـ سمعت من بعض الزعماء ملاحظات وإشارات وأحياناً انتقادات. رؤساء في أفريقيا لم يتقبلوا إعلانه نفسه ملكاً لملوك

أفريقيا. الرئيس السابق لمالي أحمد تاماني توري كان من الذين انتقدوا تلك الظاهرة غير المبررة.

■ تردد أنك كنت تجول خصوصاً في أفريقيا ومعك حقيبة ملأى بالدولارات؟

ـ هذا غير صحيح. طبعاً كانت هناك مساعدات تقدم ولكن عبر قنوات أخرى. تم دعم حكومات وحركات وأشخاص لكن ليس عبر وزراء الخارجية.

■ هل شعرت ذات يوم بالقلق على مصيرك الشخصي؟

ـ الحقيقة أنني لم أعمل في الشأن الداخلي أو الأمن. أمضيت عمري في وزارة الخارجية وفي مهمات تتعلق بها. هذا أبعدني والحمد لله عن عالم العنف وذيوله. أُخضعت أحياناً للتحقيق ولكن لأسباب تافهة يخجل المرء من ذكرها.

■ أعطنا عينة منها؟

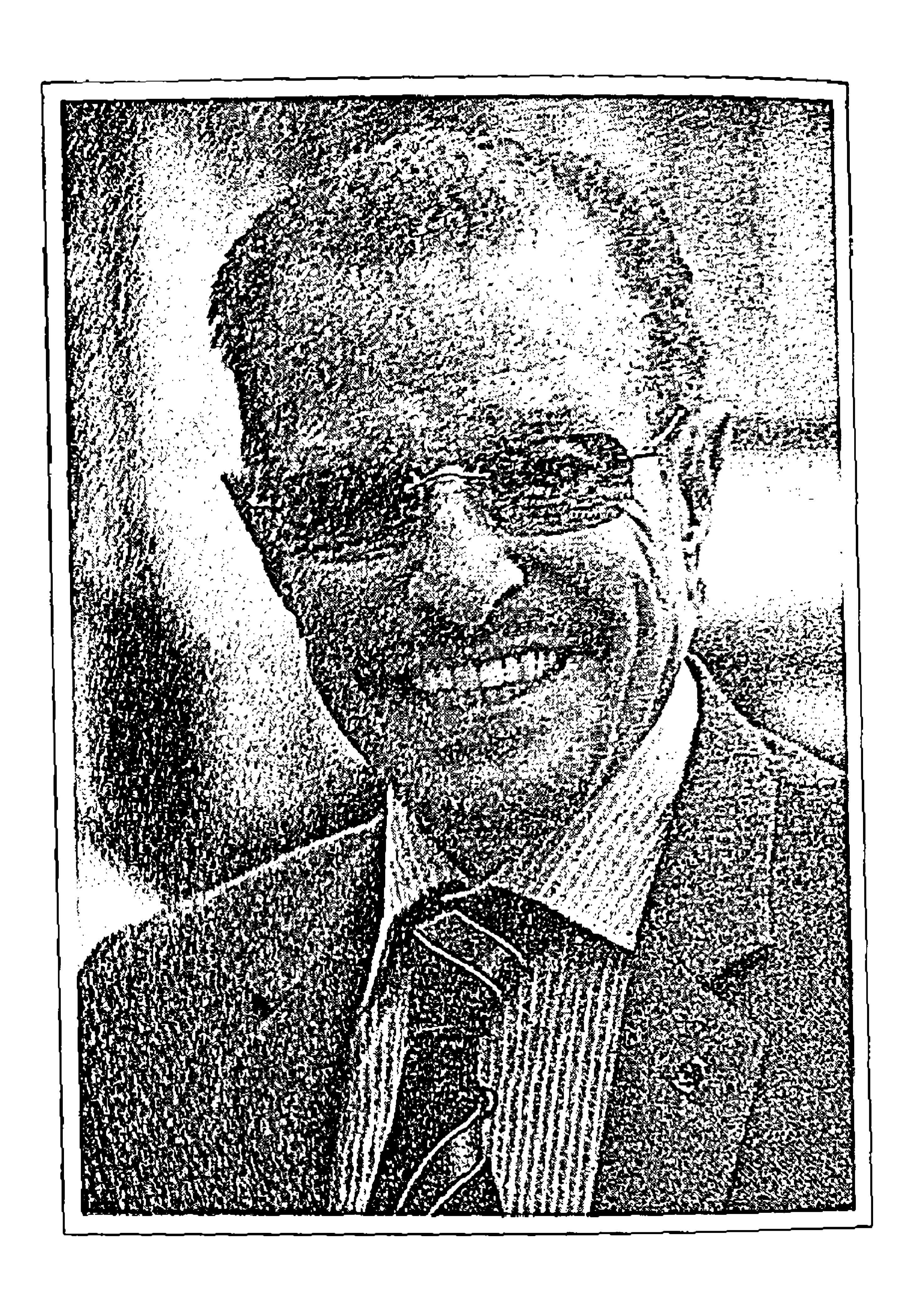
ـ حين حصلت المشادة في شرم الشيخ بين الملك عبدالله بن عبدالعزيز والقذافي دبّجوا تقريراً قالوا فيه إنني كنت أبتسم. التهمة هي الابتسام. تم التحقيق معي. كنت أستدعى أيضاً للتحقيق بسبب عدم إيفاد رسالة أو الزعم بأنني لم أحسن استقبال زائر. مسائل تافهة ولا صحة لها. كان التحقيق يتم عبر مؤتمر الشعب العام أو وزير العدل.

■ هل كانت قصة الأيدز والممرضات البلغاريات من صنع الأجهزة؟

ـ كانت مأساة في أي حال. كذلك عملية تفجير الطائرة في طرابلس لاتهام الأميركيين بها.

■ **هل كان القذافي يعتقد أن «الكتاب الأخضر» يحل مشاكل ليبيا وأنه أراد الاقتداء بماو تسي تونغ ولينين؟**

ـ لا شك في أنه كان يعتقد أن «الكتاب الأخضر» هو الحل. إنها مأساة حين ينفصل صاحب القرار عن الواقع ويغرق في أوهامه. هذا لا يحدث في الدول التي تملك مؤسسات عريقة ومحترمة.



نوري المسماري



لو قرأتُ هذا الكلام في رواية لما صدّقته، ولاتهمتُ الكاتب بالمبالغة وجموح الخيال. لكن المتحدث هنا يروي ما شاهد وما سمع. وهو كان حاضراً قرب الخيمة وفيها وقرب باب العزيزية وفيه. وكان أيضاً في طائرة معمر القذافي ولقاءاته وأسفاره وعلى مقربة من فمه وأذنه. وفي مؤتمرات القمة كان يجلس خلف القائد، جاهزاً لتلقي التعليمات ومستنفراً لحل الإشكالات وهي كثيرة وفظيعة.

من ١٩٧٩ حتى ٢٠١٠ عمل نوري المسماري أميناً لجهاز المراسم العامة برتبة وزير دولة، وكان قد عمل بين ١٩٧٧ و١٩٨٢ مديراً عاماً للمراسم. وفي الفترة الفاصلة بين التجربتين عمل في التجارة.

ترك المسماري سفينة النظام في ٢٠١٠ وكان أول من جاهر بانشقاقه لدى اندلاع الثورة في السنة التالية.

رصد القذافي ٥٠ مليون دولار لإعادته، وجهز له حوضاً من ماء النار لكنه نجا.

تكشف رواية المسماري علاقة عبدالله السنوسي عديل القذافي بجريمة إخفاء الإمام موسى الصدر رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان أواخر آب/أغسطس ١٩٧٨، أو على الأقل مشاركته في إخفاء الجريمة، وتشير أيضاً إلى متورطين محتملين. وتتضاعف قيمة الرواية لأن موريتانيا وعدت بتسليم السنوسي إلى السلطات الليبية على رغم مطالبة المحكمة الجنائية الدولية بتسلمه لمحاكمته.

تكشف الرواية أيضاً أسلوب القذافي الغريب في التعامل مع الدول وزعمائها، وتقدم صورة عن رجل سادي لا يتردد في اغتصاب الزائرات والتحرش بزوجات رؤساء ووزيرات. ويتحدث المسماري عن حالتين صارختين تعرضت فيهما زائرتان لاغتصاب وحشي. ولأسباب قانونية أو إنسانية سنكتفي «الحياة» بنشر الأحرف الأولى أو إغفال الأسماء في محطات شخصية أو أمنية.

■ بأي كلمة تفتتح هذا اللقاء؟

ـ أترحم على شهداء الثورة الليبية الذين حملوا أرواحهم على

أكفهم من أجل حرية الشعب الليبي وتخليصه من الطاغية. وأشكر أيضاً أفراد أسرتي الذين تحملوا العذاب والسجن من أحفاد إلى أبناء إلى زوجتي إلى كل من له علاقة بي، وكل من لاقى ويلات العذاب من الطاغية بسبب انشقاقي عنه. وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الملك عبدالله الثاني وشعب الأردن وحكومته لما قدموه إلى الشعب الليبي من مساعدات واعتراف بالمجلس الانتقالي، من دون أي أجندات خفية.

■ هل رأيت الإمام موسى الصدر يدخل مقر القذافي أواخر آب/ اغسطس ١٩٧٨؟

ـ كلا، كنت حينها مدير المراسم بالوكالة، وكانت إدارة تابعة للخارجية وليست جهازاً مستقلاً. كان مديرها أحمد أبو شاقور في مهمة خارج البلاد وحللتُ مكانه بالوكالة بصفتي رئيس التشريفات، وكانت حركتي محدودة في الرئاسة.

حدث شيء لم أقدّر في حينه أهميته. اتصل بي عبدالله السنوسي وكان يومها ضابطاً صغيراً في إدارة الاستخبارات الحربية، ومكتبها في شارع الشط وتعمل برئاسة النقيب عبدالله الحجازي. طبعاً، هذه رتبَته آنذاك، وهو ممن كان معمر القذافي يسميهم «الضباط الأحرار». سألني السنوسي هل من الضروري أن تختم السلطات الإيطالية جواز سفر من يريد الدخول إلى أراضيها؟ أجبت طبعاً لا بد من ختمه فهذه هي القواعد المعمول بها في أي دولة. أنهى المكالمة.

كلّمني السنوسي لاحقاً وقال لي: سأرسل لك جوازات سفر والمطلوب تأمين تأشيرات لأصحابها إلى إيطاليا.

أعتقد أن الجوازات كانت ثلاثة، نتكلم عن واقعة حصلت قبل أكثر من ثلاثة عقود. أتاني جندي أرسله السنوسي وأعطاني الجوازات. لم يكن لديّ ما يدفع إلى الشكوك، لكنني فتحتُ الجوازات ووجدتُ في واحدٍ منها أنه للإمام موسى الصدر، رحمه الله. لم تعلَق الأسماء الأخرى بذاكرتي لكنني أتذكر اسم الإمام لأنه شخصية معروفة. اتصلتُ بالسفير الإيطالي وقلتُ إننا نريد تأشيرات لضيوف عندنا فأبدى ترحيبه. أرسلتُ الجوازات ولكن سرعان ما اتصل بي السنوسي مجدداً يسأل: هل انتهت؟ قلتُ له: إن الأمر يحتاج إلى بعض الوقت وسأرسلها إليك فور إعادتها إليّ. أعاد لي السفير الإيطالي الجوازات مع التأشيرات فأرسلتها إلى عبدالله السنوسي. لاحقاً سمعتُ عن اختفاء الإمام الصدر فبقيت الواقعة في ذاكرتي، خصوصاً أن السنوسي هو مَن أرسل الجوازات.

الصدر لم يدخل إيطاليا ولا علاقة لها بمصيره، لا من قريب ولا من بعيد. المعروف أن شخصية مثل الصدر يمكن أن تحظى باستقبال خاص، بمعنى أن تُستقبل رسمياً في صالون في المطار ويتولى موظف إحضار الجوازات بعد ختمها، لكن الأكيد أن الصدر لم يتوجه إلى إيطاليا بل توجّه من ادعى أنه الإمام موسى الصدر. ولا يزال عالقاً بذاكرتي أن ضابطاً في الاستخبارات اسمه موسى من منطقة صبراتة، ولا أتذكر عائلته،

كانت له علاقة بعبدالله السنوسي، وكذلك بالشخص الذي ألبسوه ثياب الصدر وأرسلوه بسبب طول قامته وتشابه الملامح.

■ إذاً، أرسلوا ضابطاً في المهمة؟

ـ نعم، ضابطاً في الأمن الداخلي برتبة عقيد. كان الرجل، قبل انقلاب القذافي في ١٩٦٩ مدير مكتب وزير الداخلية أحمد عنسف في العهد الملكي. وقد حُوِّل بعد تولي القذافي إلى ما يُسمى المباحث العامة التي تغيّرت وأصبحت جهازاً بمفردها هو الأمن الداخلي.

■ لماذا وقع الخيار على هذا الضابط؟

ـ لأنه طويل القامة وملامحه مشابهة. وهكذا دخل، والأرجح أن الموظف الإيطالي الذي يختم الجوازات لا يرى عادة صاحب الجواز إذا كان استُقبل في صالون للضيوف، والأرجح أيضاً أن يتولى ديبلوماسي من السفارة الليبية نقل الجواز من الموظف إلى صاحبه. هنا حصل شيء لافت، لقد تُرِكَت الجوازات ومعها سجادة صلاة الإمام في الفندق. تُركت عمداً، فما الحكمة أساساً من ترك الجوازات إذا كانت حصلت عملية خطف بقصد الاغتيال؟ الحقيقة أنها تُركت للقول إن الصدر غادر ليبيا ودخل إيطاليا واختفى هناك.

أكرر القول وللأمانة أن الإيطاليين أبرياء من هذا الموضوع ولا علاقة لهم بإخفاء الصدر. كل ما في الأمر أنهم تعرّضوا

لخديعة، إذ دخل ثلاثة أشخاص بجوازات سفر ثلاثة آخرين ثم عاد الذين دخلوا بجوازات ديبلوماسية ليبية. الضابط الذي شارك في العملية كان يحرص دائماً على أن يُسافر بجواز سفر خاص، خوفاً من أن يتعرض لشيء.

■ ما اسم هذا الضابط؟

ـ أعتقد أن اسمه م.أ.

■ ماذا كانت رتبة عبدالله السنوسي؟

ـ لا أذكر بالضبط، ملازم أول أو ملازم ثانٍ.

■ هل تعتقد بأن الصدر قُتل فوراً؟

ـ لا أملك معلومة أكيدة من شخص كان حاضراً. تردد أنه قُتل، أي تعرّض لعملية تصفية.

■ ما هي الرواية التي شاعت؟

ـ أعتقد بأن رجلين لهما علاقة بالقتل، هما العقيد ف.أ.غ. والآخر ت.خ. الذي كان أخيراً رئيساً للأمن الداخلي وكان وقت الحادثة ضابطاً في الجيش. هذان لهما علاقة ويعرفان ما حصل وطبعاً عبدالله السنوسي بينهم.

■ تعتقد إذاً بأن للسنوسي علاقة بما جرى؟

ـ نعم لعبدالله السنوسي علاقة وإلا فلماذا أرسل يطلب التأشيرات ويستعجلها؟

■ هل تعرف أين دُفنوا؟

ـ كلا، لا أعرف. لقد فرم القذافي كثيرين وضاعت آثارهم.

■ مثل مَن؟

ـ لائحة طويلة. أنا شخصياً أُبلِغتُ أنه كان يُجهِّز لي حوضاً من ماء النار ليغرقني فيه فور عودتي.

■ من أبلغك؟

ـ أبلغني علي أبو جازية وهو كان من المقربين جداً. كانت له علاقة باللجان الثورية وكان وزيراً للإعلام، وخلال الأحداث كان مقرباً جداً من القذافي، وانشق لاحقاً.

■ ماذا قال لك؟

ـ قال لي: كُتبَ لك عمر جديد. أنا أخفيتُ عنك شيئاً كي لا أزعجك، والآن بعدما انتهى الرجل سأقوله لك. كان القذافي يجهز لك حوضاً من ماء النار لاستقبالك فيه فور عودتك، وكما يقال الحجة على الراوي. التقيت موسى كوسا في الدوحة وتكلمنا. قال لي: أنت مرحب بك في الدوحة، وبدا كمن ينقل عرضاً رسمياً لاستضافتي. أجبتُ: إنني موجود في الأردن بضيافة جلالة الملك عبدالله الثاني ولن أتحرك وشكراً لك. عندها قال لي: يا نوري انتبه لأن القذافي كان مستعداً لدفع ٥٠ مليون دولار ليأتوا بك حياً. هذا قاله لي موسى كوسا وعلي أبو جازية، وليس غريباً على أسلوب القذافي.

▣ لماذا توليت تسليم عبدالباسط المقرحي والأمين خليفة الفحيمة المتهمين يومها بتفجير طائرة «لوكربي»؟

ـ حصلت موافقة ليبية على تسليمهما. شُكلت لجنة برئاسة عمر المنتصر وكان وزير الخارجية آنذاك، وموسى كوسا بصفته جهة أمنية، وأنا بصفتي من الناحية المراسمية. وصلت طائرة عليها شعار الأمم المتحدة ونزل منها جنود مسلحون وكلاب بوليسية. قلت لهم: هذا مرفوض، هذه أرض ليبية ولها سيادة، انا لا دخل لي بالقذافي ولكن هذه بلادي، ولأنكم تنزلون بسلاحكم على المطار وبكلابكم البوليسية، فهذا ليس من الأمم المتحدة. أنتم جيش، واتضح لي أنهم قوات مسلحة من إيطاليا فرفضت، لا المقرحي ولا الفحيمة سيسلم إليكم قبل أن تصعدوا إلى الطائرة. تدخّل عمر المنتصر وقال لي يا نوري سلمهم، فقلت له هذا غير مقبول على الإطلاق. سألتُ مندوب الامم المتحدة: هؤلاء «ماشيين» طوعاً ام مقبوض عليهم؟ وجهت السؤال إلى فحيمة والمقرحي فقالا: نحن نذهب طوعاً. قلت: يمكن اذاً أن نصعدهما إلى طائرة مدنية لغاية وصولهما إلى مطار نيويورك أو لاهاي أو أمستردام. قلت: اعتبروا هذه الطائرة مدنية ونحن الذين طلبنا طائرة الأمم المتحدة كضمان لهما، وإلا فيمكن أن يسافرا على متن طائرة مدنية بتذاكر سفر عادية، وحين يصلان إلى مطار أمستردام يسلمان نفسيهما. ولماذا هذه الأغلال لشخص بادر إلى تسليم نفسه، أنا أعترض، على الأرض الليبية من دون أغلال ومن

دون حرس، في الطائرة افعلوا ما تشاؤون. فاتفقنا على هذا وطلبوا أن يفتشوهما، فلم يكن لديّ مانع، وفتشوا الحقائب وصعد المقرحي والفحيمة إلى الطائرة.

■ هل كان صعباً على القذافي تسليم الفحيمة والمقرحي؟

ـ قضية لوكربي شائكة ومعقدة، يخالطها شيء من الغموض. في موعد حدوثها كنت خارج الدولة. ليست لديّ رواية قاطعة، وما إذا كانت العملية من صنع طرف واحد أم أكثر. تعرضت ليبيا بسبب حادث التفجير لضغوط هائلة.

■ هل تعتقد بأن القذافي ارتكب «لوكربي» رداً على الغارات الأميركية على ليبيا في ١٩٨٦؟

ـ هناك غموض في منطقة ما، لا أريد أن أدّعي أنني أعرف ملابسات هذا الموضوع.

■ لا أتخيل أنك ستقول الشيء ذاته عن تفجير طائرة «يوتا» الفرنسية فوق النيجر، والتي صدرت فيها أحكام ضد مجموعة بين أفرادها عبدالله السنوسي.

ـ هذه قضية مختلفة، لسعيد راشد وعبدالله السنوسي علاقة بها وهذا لا يختلف عليه اثنان.

■ سعيد راشد الذي قُتل أثناء الثورة؟

ــ نعم، قتل هو وابنه في باب العزيزية برصاص جماعة خميس، نجل القذافي.

■ **لماذا فجّروا هذه الطائرة وهل صحيح أنهم اعتقدوا بأن المعارض محمد المقريف كان بين ركابها؟**

ــ لها علاقة بذلك، ولها علاقة بالحرب في تشاد. اعتقدوا بأن الطائرة تقلّ شخصيات تشادية بينها حسين حبري.

■ **قمتَ لاحقاً بتسليم الممرضات البلغاريات اللواتي اتُهِمن مع طبيب من أصل فلسطيني بحقن أطفال بالايدز...**

ــ حين أتت سيسيليا ساركوزي (الزوجة السابقة للرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي) كنت ضمن فريق المحادثات مع سيسيليا والوفد المرافق لها. أتت في وساطة لإطلاق الممرضات، وأصبحت هناك مفاوضات بين سيسيليا و(رئيس الحكومة الليبية) البغدادي المحمودي وطرف ليبي آخر. دخلنا في نقاش لا نهاية له، وكنا نستمر فيه حتى الثانية أو الثالثة فجراً. كانت سيسيليا حادة واصطدمتُ بها مرات، وفي النهاية جهّزنا أنفسنا في المطار وحضر مدير الإدارة القانونية ومدير الإدارة الأوروبية في وزارة الخارجية الليبية، وكانت طائرة الرئاسة موجودة وسيسيليا ساركوزي تريد تسلُّمهنّ، فما المبرر كي تتولى زوجة رئيس دولة استقبال سجناء أُفرج عنهم. حاول مسؤول فرنسي تهدئتي فرفضت. أثناء ذلك كان البغدادي ووزير الداخلية الليبي يشاركان في نقاش حول تسليم الممرضات،

وطلبا ٤٥٠ مليون دولار فحصل تعهد من دولة قطر، أعتقد من طريق السيد حمد بن جاسم (بن جبر آل ثاني) رئيس الوزراء وزير الخارجية.

■ هل دفعت قطر؟

ـ أعتقد انها دفعت ولعبت دوراً في الدفع نيابة عن فرنسا. قلت لسيسيليا لا يمكن أن تستقبليهن تحت الطائرة، تماماً مثلما حصل مع الأمم المتحدة. أتى بهن ضابط من الأمن المركزي وطلب دخولهن فقلت لهن لا يمكن، فكلّمني البغدادي وقال لي: يا أخي أدخلهن، فقلت له لا يمكن، كنتُ أريد كسب الوقت لأنه يمكن البني آدم الذي اسمه القذافي، أن يغيّر رأيه. فأتى سفير البرتغال الذي كانت بلاده ترأس الاتحاد الأوروبي وكانت مسؤولة عن الأمن في الاتحاد، ومندوبة الاتحاد، وسفير بلغاريا وسفير فلسطين الذي كان موجوداً بخصوص الطبيب الفلسطيني. قلت: نحن سنسلم للاتحاد الأوروبي وهذا مسجل بالتلفزيون. وجّهتُ كلامي إلى سفير البرتغال وقلت له: هل لديك علم بهذا الشيء؟ فقال: لديّ علم بذلك وأشهد بذلك. قلت للوزير البلغاري: مع الممرضات هناك طبيب فلسطيني لديه الجنسية البلغارية يطالب بالمغادرة معهن إلى بلغاريا، فقال نعم، واتجهت إلى الفلسطيني فوافق. بعد ذلك انقلب القذافي واتخذ إجراءات بينها حسم راتب شهر للبغدادي المحمودي وسجن شهر وقطع راتب لرجب المسماري وزير الداخلية الذي أُبعِد لاحقاً عن الوزارة.

■ **لماذا؟**

ـ هذه ألاعيب القذافي. احتجَّ وقال أنا لم أقل هذا وأنتم تسرعتم.

■ **وأنت هل اتُّخذ في حقك إجراء ما؟**

ـ لا.

■ **كيف كانت علاقة القذافي بساركوزي؟**

ـ جيدة.

■ **هل صحيح أنه دعم حملته الانتخابية؟**

ـ للأمانة لم أشاهد ذلك، لكنني سمعت هذا الحديث.

■ **ما المشكلات التي كنت تواجهها بوصفك مديراً للمراسم مع زعيم بمزاجية القذافي؟**

ـ كان يعطي مواعيد ومقابلات على مزاجه، وحين ينهض من النوم كان يقول هاتوا لي الرئيس الفلاني. كان يتصرف وكأنه رئيس الرؤساء، وأن من حقه استدعاءهم ساعة يشاء، وأن من واجبهم أن يلبوا. كنا نواجه صعوبات وإشكالات لا حد لها ونحاول معالجتها والتغلب عليها. استفزت الطريقة رئيساً أفريقياً فقال لي: أنا أيضاً رئيس دولة مثل رئيس دولتك.

كان القذافي يحب احتقار الرؤساء وإذلالهم. تصوّر أنه كان يقول لي: هات العبد، وقصده رئيس الدولة الأفريقية الذي

يستعد لمقابلته. وحين يغادر الرئيس، يقول (القذافي) ذهب العبد أعطوه شيئاً.

■ هل كان يحتقر الأفارقة؟

ـ نعم كان يحتقرهم. حتى الذين كان يطرب في داخله لمجاملاتهم أو تزلفهم كان يصفهم بالأغبياء. كان يعبّر عن أسلوبه الاستعلائي باختيار موقع الزائر وتمييز موقعه الشخصي وكرسيه وطريقة جلوسه. عقدة التميز عن الآخرين لازمته في استقبالاته وحتى في أسفاره. وكان عليَّ أن أتوقع دائماً هذا النوع من الإشكالات. أقنع نفسه بأنه ليس رئيس دولة أي أنه أكبر من رئيس دولة، ويجب التعامل معه على هذا الأساس. كان يقول أنا لستُ رئيس دولة وأريد أن أجلس على كرسي وحدي. أتذكر في قمة في قطر، كان يريد الجلوس في زاوية وحده وليس بين الرؤساء. طبعاً هذا الطلب مستحيل. القطريون لم يقبلوا.

كان يطلب أن يأتي إليه رئيس ما، وحين كنا ندعو المعني ولا يستطيع بسبب انشغاله بشيء ما، كان القذافي يتهمنا بأننا لم نوصل الدعوة. وكان يقول لماذا لم يأتِ، أنا معمر القذافي. لا يستطيع أن يصدق أنه عرض على رئيس أن يستقبله ولم يسارع الأخير إلى إلغاء كل مواعيده لاغتنام الفرصة. وبسبب غروره، وربما لتفادي الإحراج أمام المحيطين به، كان يتهمنا بعدم إيصال الدعوة.

■ هل تذكر حادثة معيّنة؟

ـ حوادث كثيرة من هذا النوع. مرة مع رئيس مدغشقر عام ١٩٨٠، كان هناك مؤتمر القمة الأفريقي، وكان من المفترض أن يأتي رئيس سييراليون ليكتمل النصاب، لكنه لم يفعل. تكلم مع رئيس مدغشقر على أساس أن يقف معنا وأنا كلّمته، وحين لم يتحقق ذلك حمّلنا مسؤولية التقصير، فقلت له: كلمناه. فرد: لا، لا، أنتم لم تكلّموه. مثلاً في مؤتمر القمة الأفريقي كانت الدولة المضيفة تقيم عشاء رسمياً، وفي الوقت ذاته كان القذافي يتعمد إقامة عشاء رسمي في الموعد ذاته، فكنا نضطر أن نطبع بطاقات ونبلّغهم وحين لا يأتي إلا عدد قليل كان يقول أنتم لم تبلغوهم. الحقيقة أن الذين كانوا يلبون دعوته سواء ثلاثة أو أربعة، إنما كانوا يفعلون بسبب حاجتهم الماسة إلى مساعداته.

■ هذا في القمم الأفريقية لا العربية؟

ـ لم يجرؤ القذافي على فعل ذلك في القمم العربية. وصلنا إلى مرحلة كنا نطبع فيها بطاقتين، واحدة يتسلمها مدير مراسم الرئيس وبطاقة نختم بها ختم السفارة، وعلى رغم هذا لم يقتنع بأن الرؤساء الأفارقة يرفضون المجيء. الإحراجات كانت كثيرة.

■ هل كانت قصة الخيمة تثير لكم مشاكل، وأين؟

ـ كثيراً، مثلاً في باريس كان يريد خيمة في حديقة الإليزيه وكان هناك فندق تابع للإليزيه خاص بالرؤساء والملوك، فأقمنا

الخيمة في حديقته وهي كانت للاستخدام مرة واحدة للصور والمقابلات الصحافية.

■ أين أثارت الخيمة أيضاً مشاكل؟

ـ في موسكو. وكان القذافي مصرّاً إلى درجة خفنا معها أن تتسبب الخيمة في إفشال الزيارة برمّتها. واجهنا مشكلة جدية وحصل جدل وتسرب الحديث عن إشكال. كان فلاديمير بوتين رئيساً للوزراء وعرف بالأمر، فذهبتُ إليه طالباً مساعدته. وقال لي هذه موسكو وهناك حماية البيئة، فقلت له لن نأتي بجمل أو ناقة، هي كناية عن خيمة فقط. في النهاية جاءت الموافقة ونُصِبت الخيمة في حديقة الكرملين.

وفي نيويورك لم يكن هناك سكن، وكان القذافي لا يريد أن يصعد درجاً أو مصعداً. كان يريد طابقاً أرضياً، الدرج بسبب صحته والمصعد كانت لديه فوبيا منه والأنفاق كذلك، وكان يخاف السفر الطويل، فتحتّم أن نمر بمطارات عدة. ذهبنا إلى نيويورك وكان هناك رفض شديد وبحزم، فأتى ابنه معتصم متباهياً أمام والده، استأجر فيللا خارج نيويورك ونصب فيها خيمة. طبعاً أتى البلاغ وانقلبت الدنيا وكانت الشرطة تريد القبض عليهم، ومن طائرة هليكوبتر صوّروا الخيمة المنصوبة.

■ هل كنت في الجمعية العامة للأمم المتحدة حين ألقى الخطاب؟

ـ هذه مشكلة كذلك، حتى مراسمية. هناك مقصورة خلف

المنصة يجلس فيها الرئيس الذي يلي المتحدث الأول. المتحدث الذي قبلنا كان اوباما، فرفض القذافي أن يجلس في المقصورة ليوحي بأنه ينتظره. وهذه ليس لها معنى. الرئيس الذي يخرج يهنئه على كلمته والثاني يقول له: أتمنى لك التوفيق بكلمتك، فهذه عادة بروتوكولية، انزعج منها القذافي وقال: أنا أذهب من مقعدي إلى المنصة. وآنذاك كان رئيس الجمعية العمومية الدكتور علي التريكي، وجرَّب أن يشتكي لي، فقلت له أنت تعرفه أكثر مني، وقال لي مدير مراسم الأمم المتحدة: أنت أقدم واحد فينا وتفهم في قضية المراسم في العالم.

■ ألم يره أوباما، ولا تصافح معه؟

ـ في إيطاليا نعم، أما في نيويورك فلا. انتظر القذافي نهاية كلمة أوباما أمام الجمعية العامة ثم صعد من مقعده وجلس في مقعد الانتظار، وأصر على أن أصعد معه على «البوديوم».

■ ما كان شعورك وهو يلقي الخطاب؟

ـ في بدايته كان جيداً، ولكن حين أراد تمزيق الميثاق ولم يستطع لأنه كان سميكاً رماه ففضحنا، وكان أمراً مخجلاً، ٩٥ دقيقة، ساعة ونصف ساعة تطلَّب الخطاب، وهو قصد أن يكون حديثه أطول من حديث أوباما.

■ يقال إن القذافي خاف حين رأى صورة صدام حسين يُعدم؟

ـ هذا طبيعي، فقد يكون استنتج أن الديكتاتور لا يستطيع أن يحمي نفسه إلى ما لا نهاية، مهما كان عدد جيشه ومهما أحاط نفسه بآلة قمع لا ترحم. ليس بسيطاً على ديكتاتور أن يرى نظيره يُقتاد إلى محكمة ثم يُعدم بعد إزالة صوره وتماثيله. قد يكون شعر بأن الحصانة الدائمة مجرد كذبة، خصوصاً بعد الارتكابات الهائلة في حق المعارضين والمواطنين. كان القذافي يعرف بالتأكيد ما فعله على مدار عقود داخل ليبيا وخارجها.

■ كان يكره صدام؟

ـ كان يكرهه في شكل غريب. كان يشتمه وينعته بالغبي، ويقول عنه إنه إنسان تافه متهور. قد يرجع ذلك إلى أن صدام أيضاً كان صاحب سلوك يوحي بالاستعلاء. ثم إن صدام لم يكن في وارد الاعتراف للقذافي بدور وزعامة. دعم القذافي أخصام صدام في العراق، فردّ صدام بدعم خصوم القذافي في تشاد. كانت العداوة بين الرجلين شديدة. قبل الغزو الأميركي للعراق في ٢٠٠٣ استقبل القذافي مبعوثاً أوفده صدام. قال للمبعوث إنه لا يرى أن الأمور ستمر على خير. أعرب عن استعداده لاستضافة صدام في ليبيا، إذا كان ذلك يجنّب العراق ويلات الحرب، وقال إن صدام يستطيع اختيار مكان آخر إذا كان غير راغب في المجيء إلى ليبيا. طبعاً لم يكن صدام في وارد المغادرة، ولا يتخيل المرء أن يأتي ويقيم في ليبيا التي ساندت معارضيه وقدمت أسلحة إلى إيران خلال

حربها مع العراق. المبعوث العراقي أكد أن الاستعدادات لجبه العدوان عالية ومثلها المعنويات، لكن القذافي لم يكن مقتنعاً.

■ **في خطابه في القمة العربية في دمشق، توقع القذافي لبعض المشاركين مصيراً مشابهاً لصدام؟**

ـ نعم قال لهم ذلك: «سيأتي الدور عليكم وستتم محاكمتكم». الحقيقة أنه كان خائفاً على نفسه. رأى ما فعله الأميركيون في أفغانستان والعراق، فأدرك أن باستطاعة أميركا أن تقتلع نظاماً معادياً لها من جذوره.

■ **ما الذي كان يقوله عن الرئيس حسني مبارك؟**

ـ لم يعتبره يوماً نداً له، على رغم حجم مصر، كأنه كان يعتقد بأن مصر تحتاج إليه شخصياً. سمعته يردد ذات يوم: حين كنت أذهب إلى مصر للقاء سيدهم جمال عبدالناصر، كان السادات ومبارك يؤديان لي التحية.

■ **هل كان يساعد مبارك مادياً؟**

ـ نعم.

■ **ومَنْ أيضاً كان يساعد مِن الرؤساء العرب؟**

ـ اعتقد رئيس تونس أيضاً، ولا معلومات لديّ عن آخرين.

■ **كيف كان يعامل ياسر عرفات؟**

ـ كان يعامله كشخص عادي ويعتبره ضعيفاً. ربما كان يكره

هالة عرفات كحامل قضية، أو حرصه على إبقاء خطوطه مفتوحة مع جميع الزعماء العرب. وحصلت في فترة معينة برودة بينهما ودعم القذافي تنظيمات كانت تعادي عرفات وسياسته. قصة صبري البنا (أبو نضال) معروفة، وكذلك قصة الانشقاق في حركة «فتح». كان القذافي يحرص دائماً في الوقوف أو الجلوس على أن تكون له الأرجحية. يريد أن يكون مكانه مرموقاً أكثر من عرفات، وتكرر الأمر، خصوصاً مع الرئيس محمود عباس. كان التشدد في الموضوع الفلسطيني والمزايدة على عرفات جزءاً من أسلوب اعتمده القذافي كما اعتمده زعماء آخرون. كان الغرض من هذه المواقف التوظيف الداخلي وتلميع الصورة.

■ **كان يكره عباس؟**

- نعم، وكان يعتبره ضعيفاً، ويتهمه بالتفريط بفلسطين وحقوق الفلسطينيين.

■ **مَن كان يحب مِن الفلسطينيين؟**

- أحمد جبريل (الأمين العام للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة) كان صديقه وكذلك مساعده طلال ناجي.

■ **وكان يستقبل أحياناً سياسيين لبنانيين...**

- نعم استقبل وليد جنبلاط وجورج حاوي وغيرهما. زاره رئيس الجمهورية السابق أمين الجميّل وأعدّ له استقبالاً جيداً وكان النقاش محترماً. كان الجميّل رئيساً سابقاً وكنت أنا ملازماً

له خلال زيارته. لفتنا أن القذافي عامله باحترام. للأمانة، أمين الجميل تصرّف باحترام لموقعه كرئيس سابق وزعيم سياسي.

■ هل صحيح أن القذافي كان يخفض باب الخيمة لينحني الرئيس الداخل؟

ـ لا ليس صحيحاً. لكنه كان يحب التعالي عليهم ودائماً كان يريد كرسيه أعلى من كرسي ضيفه.

■ كيف كانت علاقته بتوني بلير؟

ـ في البداية كانت سيئة. استقبله في الواقع برسالة تحقير. وضع رجلاً على رجل بحيث صار حذاؤه مقابل وجه الزائر، وكان يعرف بوجود الكاميرات ويتقصّد ذلك. لاحقاً تحولت العلاقة بين الرجلين صداقة حميمة وبتشجيع من سيف الإسلام.

■ هل سمعتَ منه أن سيف الإسلام سيكون وريثه؟

ـ كان سيف الإسلام مجهّزاً لهذا، لكن شقيقه المعتصم بالله لم يكن راضياً وألّف «لوبي» هو وإخوته، ضم تحت جناحه الساعدي وهنيبعل وخميس، حتى وصل الأمر إلى مرحلة أن والدتهم صفية اجتمعت بهم وقالت لهم: أريد أن تكونوا وراء أخيكم سيف الإسلام لأنه الأخ الأكبر، فوقف الساعدي محتجاً وقال لها: هذا بالنسبة لك وله.

■ هل سمعتَ من القذافي شيئاً يخص التوريث؟

ـ كلا لم أسمع، لكنه كان يجهّز سيف الإسلام من دون أن يفرّط بسيطرته المطلقة على كل شيء. سيف الإسلام تسرّع في بعض الأحيان أو حاول تسريع الأمور، وكان القذافي يعيده إلى جادة الصواب، بما معناه: ما دمتُ حياً فأنا الوحيد. في موضوع السلطة لا يتساهل القذافي، لا يعرف أولاده ولا يعرف أحداً.

■ **هل تعتبره عاشق سلطة؟**

ـ عاشق سلطة وعاشق نفسه، ولا يرحم في هذا المجال. حاول سيف الإسلام توسيع سيطرته فسحب البساط من تحته.

■ **كيف كانت علاقته بزوجته وهو تزوج مرتين؟**

ـ المرة الأولى بنت نوري خالد حاكم دار بوليس سبها، وكان الزواج متسرّعاً، ولأن أخاها خالد كان عضواً من الضباط الأحرار. ولاحقاً تزوّج صفية، وهي كانت ممرّضة تعرّف إليها حين أجرى جراحة للزائدة في المنطقة الشرقية، وهي كانت مهتمة به فتزوجها وطلّق فتحية.

■ **هل كانت علاقته مع صفية جيدة؟**

ـ كان القذافي رجلاً بلا حدود أو ضوابط. كان يفعل ما يحلو له. رجل متسلط ومبالغ، ويعتبر أن ليس من حق أحد أن يسأله أو يراجعه. يفعل ما يريد، وكانت هناك مشاكل كبيرة بينهما، خصوصاً في المدة الأخيرة عندما كان هناك كلام عن علاقته بالنساء أولاده كانوا مقتنعين بها. أتذكر مرة كنا في زيارة إلى دولة أوروبية شرقية، وكان معنا نجله المعتصم،

وكنا نريد أن نلغي شيئاً ينوي أن يفعله فقال المعتصم: «اتركوه، دعوه يعيش حياته». أولاده أصبحوا مقتنعين بأنه مصرّ على العيش وفق أسلوبه.

■ هل شعرت مرة بأنه على خلاف مع صفية؟

ـ كثيراً، دائماً تحصل خلافات، وكان يجلس كثيراً في البيت الذي دمره «الأطلسي» في باب العزيزية واعتقلوا بعد تدميره زوجتي وأبنائي وأحفادي. هذا بيت تحت الأرض، توجد فيه الخدمات والغلمان والوساخة. لديه هناك حجرات نوم ورياضة وحلاق ومطبخ. بيت كامل تحت الأرض ودهاليز تفضي إلى الخارج. أحياناً كان يجلس هناك شهراً أو شهرين، ونحن نعرف أنه حين يلازم ذلك المكان، ينهمك بحياته الصاخبة والمخجلة.

■ هل كانت لديه أي مشاكل صحية؟

ـ كانت لديه صعوبة في التنفس.

■ هل أجرى جراحات تجميلية؟

ـ أجل، في الأصل شعره خفيف جداً. تردد أنه استعان بطبيب برازيلي لهذا الغرض. كان يتذرع بأنه غاضب ومعتكف، ويستنكف عن استقبال الناس للاهتمام بأموره وقصصه. كان يكره أن تتكاثر التجاعيد في وجهه، ويأخذ حقن «بوتوكس» دائماً.

■ هل هو شجاع شخصياً؟

ـ جبان، لكنه يدّعي الشجاعة. كنا حين نذهب إلى مؤتمرات يطلب منا قبل كل شيء اكتشاف المخارج الإضافية، ويقول: ضعوا عليها حراساً، ويجب أن تكون معكم مصابيح. وإذا انطفأ النور تضيئون مصابيحكم، والذين يجلسون بجانب البوابات يرسلون إشارات لنعرف إن هناك بوابة للخروج منها. إنه جبان. حين قلت إنه لن يترك ليبيا قلت ذلك لأنني أعرفه عنيداً ومتشبثاً ولا يمكن أن يستسلم. لا يستطيع تخيل الحياة خارج السلطة، وهذا ليس نتيجة شجاعة. كان يأخذ حبوباً معينة تعطيه معنويات وشعوراً بالشجاعة والقوة.

■ من جاءه بهذه الحبوب؟

ـ أعتقد عبدالله السنوسي. كان يأخذها دائماً وأثناء الحرب كانوا يعطونها للجيش، هي ليست حبوب هلوسة، إنها ترفع المعنويات.

■ هل كان يأخذها حين كنت معه؟

ـ نعم.

■ ماذا يفعل حين يغضب؟

ـ حين يغضب لا يمكن لأحد أن يقابله في أي شكل، بانتظار أن يرتاح، وكي يرتاح لا بد من أن يصطدم بأحد ليفرّغ شحنة غضبه.

■ هل يكسر شيئاً إذا غضب؟

ـ لا، ليست لديه هذه العادة، يحب أن يهين أحداً فيرتاح. حتى أمام الرؤساء كان يرمي ملفات على الأرض ليلتقطها مساعدوه.

■ هل حصلت معك؟

ـ لا، حصلت مع المسكين بشير صالح رئيس ديوانه.

■ هل اصطدمت معه؟

ـ نعم كثيراً، ومرات كان يلكمني.

■ وحين يغضب منك؟

ـ يرسلني إلى السجن.

■ هل مد يده عليك؟

ـ لا، هذه يفعلها مع الجميع ليثبت أنه شعبي. يقول: اذهب هناك، اذهب. أتذكر مرة في السبعينيات كان على خلاف مع ياسر عرفات، كان لدينا احتفال في ذكرى جلاء الأميركيين في ١١ حزيران/ يونيو في قاعدة معيتيقة. كان معنا الرئيس عرفات. حين وصلتُ وجدت طائرات «ميراج» وإلى جانبها جمل بأمر منه (القذافي)، كان هناك عزوف من الطلاب عن دخول الكليات العسكرية، كانوا يريدون كليات مدنية. شعرت بأن الجو غير طبيعي، وكان معي ضابط اسمه سعد مسعود آمر

الحرس الخاص. قلت له: يا سعد اذهب واستقبل الرئيس، فقال لي: لا، اذهب أنت. كان القذافي مرتدياً ثياب طياري الهليكوبتر ولونها أحمر، وحين تقدمت منه لكمني، وقال اذهب هناك. ولاحقاً حين تقدم طلاب المدارس من المنصة أمام ياسر عرفات وطيّروا حماماً أبيض، جنّ جنون القذافي، والتفت إلى آمر القوات الجوية صالح الفرجاني وقال له: لديك شهر سجن. لماذا تطلقون حمام سلام؟ وقعت حمامة بين رجليه فأمسكها بقسوة كمن يحاول قتلها وقال: خذوها واربطوها. وحين ألقى خطابه قال: هذه طائراتكم مرمية والجمال إلى جانبها. خذوا الجمال واتركوا الطائرات ليأخذها أسيادكم. كان منزعجاً من عزوف الطلاب عن الكليات.

■ هل كان يكره الاسلاميين؟

ـ كثيراً، كان يكرههم ويشتمهم.

■ وكان يكره أسامة بن لادن.

ـ نعم، وفي ١٩٨٤ اتهموا بن لادن بأنه أرسل مجموعة من أفغانستان إلى باب العزيزية لقتل القذافي.

■ ما هي محاولات الاغتيال التي تعرض لها؟

ـ هذه واحدة منها، وقتذاك حمّلها للمعارضة الإسلامية وبن لادن. دخل المنفذون في سيارات جمع القمامة إلى بيته ولم يكن موجوداً. أعدم بسبب هذه المحاولة جميع أفراد الحرس الخاص. دخل المنفّذون وخرجوا ولم ينتبه إليهم أحد، وهو

اعتبر أن ثمة تواطؤاً من الحرس، فأعدم جميع أفراده. لجأ المنفذون بعد الهجوم إلى بناء، فقصفه الحرس الجمهوري بالدبابات بقيادة خليفة حنيش.

■ أين تعرّضَ أيضاً لمحاولة اغتيال؟

ـ تعرض لمحاولة انقلاب بقيادة إدريس الشهيبي الذي قتل في غارة جوية استهدفته أثناء محاولته الهروب إلى مصر. وهناك انقلاب عمر المحيشي عضو مجلس قيادة الثورة، والذي اختلف مع القذافي وراح ينسق مع عسكريين بهدف إطاحته. كانوا يخططون للانقلاب وكانت لدى القذافي معلومات أو شبهات، فأخذهم جميعاً معه على متن الطائرة إلى أوغندا في عهد عيدي أمين، لحضور مؤتمر القمة في كمبالا في السبعينيات. وأثناء اجتماعهم في منزل القائم بالأعمال محمود الباهي، كان القذافي يريد أن يذهب إليهم ليلاً لكن الحرس رفض. في الليلة ذاتها كان عمر المحيشي يريد الدخول على القذافي وهو نائم، وبدا أنه كان يريد قتله، وكان هناك ضابط صف أيامها، هو الآن عقيد اسمه مسعود الزغراد منعه من الدخول. قال له المحيشي: أنا عضو مجلس قيادة الثورة وأريد الدخول فرفض وشهر سلاحه فتراجع المحيشي. وحين عادوا معه إلى ليبيا حصلت الاعتقالات. هرب المحيشي ولاحقاً أتى به من المغرب في إطار صفقة، وقال له: «أتينا بك تحت أرجلنا»، وقتله بنفسه بإطلاق النار عليه، كما روى لي الحراس بشيء من التباهي.

وهناك محاولة أخرى هي من أحد اقارب القذافي، وهو ضابط في الحرس، وحين رأينا الفيديو اكتشفنا كم كان قتله شنيعاً. علّق القذافي جثث أقارب له قرب باب العزيزية.

■ تعني أنه كان يخاف؟

ـ أجل كان يخاف كثيراً. الأنفاق لا يمكن أن يدخلها والمصاعد كذلك، وكان يُكثِر من الهبوط والإقلاع في المطارات حين نسافر، لتفادي المسافات الطويلة، وكنت أتعب جداً.

■ كيف ذهب إذاً إلى نيويورك؟

ـ كدتُ أصاب بالجنون على رغم خبرتي في الطيران. اضطررنا للتوقف في محطات، والقيام بعمليات التفاف لأنه لا يريد أن يمضي ساعات طويلة مسافراً فوق المحيط.

■ ما هي المثابة؟

ـ هناك مثابة ثورية ومثابة عالمية. المثابة العالمية كان يرأسها موسى كوسا وكان فيها أعضاء من مجموعة ٧ أبريل/ نيسان التي شنقت الطلاب في الجامعات، وكان الوجه الأبرز عبدالسلام جلود رئيس اللجان الثورية.

■ ماذا عن حادثة ٧ أبريل؟

ـ هذه تصفية للمعارضين للقذافي في الجامعات، شُنقوا من دون توقف.

■ من أخذ القرار؟

ـ القذافي، وجلود كان يشرف على التصفية.

■ **كيف كانت العلاقة بينهما؟**

ـ في البداية كانت ممتازة، ولاحقاً أصبح القذافي يتفرّد بالسلطة، وجلود قال له مع السلامة، وجلس في بيته. حاول القذافي في الأحداث الأخيرة أن يأتي بجلود ليُشرف على العمليات العسكرية، لكنه رفض.

■ هل جلود متورط بأحداث دموية؟

ـ متورط بعملية ٧ أبريل، وكان آنذاك رئيساً لمكتب اللجان الثورية، ولاحقاً أداروا المثابة العالمية وكانت تهتم بالخارج. انقلابات ومعسكرات.

■ أين عملت هذه المثابة؟

ـ في غرينادا وأنحاء عدة في أميركا اللاتينية وكوبا ونيكاراغوا، وكان دانيال أورتيغا تلميذاً في المثابة، ولاحقاً عمِلَت في أوغندا وكان يوري موسيفيني خريج المثابة وكابيلا الأب كان من أعضائها.

■ هذا يعني أن موسى كوسا كان صانع انقلابات وثورات في العالم؟

ـ نعم، لقد أمسك الأمن الخارجي لمدة ١٢ سنة.

■ وهل كان القذافي يحب موسى؟

ـ نعم، كان موسى ذكياً.

■ ماذا عن إبراهيم البشاري؟

ـ ابراهيم البشاري الله يرحمه، كان رئيس جهاز الأمن الخارجي، وكان هناك عداء بينه وبين موسى، وازدواجية بين المثابة والجهاز، لكنه كان جيداً.

■ ماذا عن عبدالله السنوسي؟

ـ أمامك طيب، محترم، جيد، كريم، لكنه دموي وينفذ إرادة سيده، ويزايد ويبالغ.

■ **ما أخطر شيء فعله السنوسي؟ هل له علاقة بمجزرة سجن بو سليم التي أودت بأكثر من ١٢٠٠ سجين؟**

ـ طبعاً ونفذها بأمر من القذافي.

■ من كان يتخذ قرار الاغتيالات؟

ـ ليس هناك اغتيال لشخصية معروفة ومهمة إلا بأمر من القذافي، وأبصم على ذلك. مرةً قال لي موسى كوسا: أريدك، فقلت له ماذا تريد؟ والله لم أتخاصم مع الرجل ولا اصطدمت به. وكان في كل مرة يقول لي هات الحقيبة وفيها ملابس ومعجون الأسنان، فأعرف أن قراراً صدر بسجني. قال لي: لا لا، أنا أريدك في طريق الشط. قلت: أنت تخطط لمؤامرة،

فضحك وأصر على ذهابي. رئيس الاستخبارات الليبية يطلبني في طريق الشط، وفي الليل نحو الساعة العاشرة، هل يريد القذافي اغتيالي وموسى كوسا معروف. ذهبتُ إلى طريق الشط بجانب الإذاعة الليبية فرأيته ومعه حقيبة، فقلت له: افتحها وإن شاء الله تنفجر ولكن بنا نحن الاثنين، وحين فتحها كان في داخلها أشرطة وتقارير، قلتُ له ما: علاقتي بهذا، قال: «الجو مع المعلم زفت وأنا مختلف معه وهو غاضب عليّ ولا يريد رؤيتي»، فقلت له: اشرح لي عنها. قال: «هذه سلمني إياها وزير داخلية عربي وتتعلق باتصالات غرامية للرجل» (القذافي). أخذتُ الحقيبة وذهبتُ إلى المهتمَّة بهذه الأمور ثم إلى القذافي. قلت له: أعطاني موسى حقيبة فيها كذا وكذا، فقال: هذا حمار وكذاب. وقال لي: «أنا مشغول، إسمع الأشرطة أنت ومبروكة الشريف». كانت الرسائل والأشرطة تتعلق باتصالات يجريها القذافي مع فتيات في دول أخرى يكذبن عليه في ما يتعلق بهويتهن وموقعهن العائلي والاجتماعي.

■ في أي سنة ولدت؟

ـ ١٩٤٨.

■ وأين درست؟

ـ في ليبيا وفي إيطاليا، درستُ الموارد البشرية، في إيطاليا درستُ ثلاث سنوات علوم سياسية، ولاحقاً التحقتُ بدورات في عمليات الطيران. توليتُ منصب آمر المطار بعد الفاتح من

سبتمبر ١٩٦٩ ولاحقاً نقلت إلى الخارجية في السلك الديبلوماسي، وكنت رئيس التشريفات بما يعني مساعد مدير المراسم، وبعد وفاته تسلمت منصب مدير المراسم، ولديّ ماجستير إدارة. اشتغلتُ من ١٩٧٧ حتى ١٩٨٢ ومنها إلى ١٩٩٧ في أعمال حرة، ثم عدت إلى العمل مع القذافي في ١٩٩٧، حتى مغادرتي التي سبقت اندلاع الثورة التي أطاحته.

■ من هم الرؤساء الذين كانت للقذافي علاقة جيدة معهم؟

ـ كانت علاقته بأمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني جيدة آنذاك. الأمير كان الوسيط في إعادة العلاقات بين القذافي والعاهل السعودي الملك عبدالله بن عبدالعزيز. حصلت هذه الوساطة في بيت الشيخ حمد في الدوحة، خلال عقد القمة العربية هناك وكنت موجوداً.

■ هل قال السنوسي للملك عبدالله في اللقاء: «أنا خططت لاغتيالك ولكن من دون علم القائد».

ـ نعم، وفي الحقيقة كان اللقاء جيداً وفق ما شاهدت.

■ هل كنت موجوداً في شرم الشيخ؟

ـ طبعاً.

■ ما الذي حصل هناك؟

القذافي ليس شخصاً سهلاً. فهو يتكلم أحياناً عن أمر بينما يقصد أمراً آخر. وكلامه يمكن أن يكون له تفسيران. منذ زمن كان القذافي يشتم أهل الخليج وبعبارات بالغة القسوة. في مؤتمر القمة كان يتحدث عن العراق، وقال: «أنتم فرضتم على الأميركيين أن يأتوا إلى الكويت. صدام اجتاح الكويت، والكويتيون «كويسين» وبأموالهم اشتروا الأميركيين وأحضروهم ليدافعوا عنهم كلامه هذا كان فيه نوع من الشتيمة ووضعتمونا أمام الأمر الواقع، مثلما حصل في خليج الخنازير»، يقصد خليج الخنازير عندما أتى الأميركيون أيام كينيدي إلى كوبا من أجل الصواريخ السوفياتية. وهنا حصل الإشكال بينه وبين الملك عبدالله الذي حمل على القذافي. كنت أجلس وراءه كما أفعل دائماً. حاولت أن أتحدث إلى علي عبدالسلام التريكي الذي كان وزيراً للخارجية، وخرج ورُفِعت الجلسة. حاول الرئيس علي عبدالله صالح تهدئة القذافي وطلب منه الدخول إلى القاعة للتفاهم، فدفع القذافي علي صالح وكاد أن يطرحه أرضاً. حصل الإشكال لكنهم أصروا على دخول القذافي إلى القاعة، فدخل إلى صالون الاستقبال وحاولوا تهدئة الموقف، لكن العداء كان قد وقع. حاول القذافي إيجاد تبريرات وأنه كان يقصد خليج كوبا. قال إن اللوم كان يجب أن يقع عليه من جانب العراقيين لا من غيرهم. في ذلك اليوم كان جالساً على يساره أمير الكويت الحالي الشيخ صباح الأحمد الصباح، وكان آنذاك وزيراً للخارجية. التفت إليه القذافي، لكن صباح الأحمد أخذ الأمر بهدوء.

■ حصل الحادث وقرر القذافي التآمر لاغتيال الملك عبدالله؟

ـ لم أكن جزءاً من الدائرة الأمنية لأقول إنني شاهدت أو سمعت.

■ لكن متورطين اعتُقلوا في السعودية.

ـ طبعاً هناك أشخاص اعتُقلوا، أحدهم من مكتب سيف الإسلام القذافي وآخر من مكتب الساعدي القذافي.

■ في رأيك هل يمكن أن ينفذوا عملية قتل بهذا الحجم من دون العودة إلى القذافي؟

ـ الإساءة نعم، أما القتل فلا. لا بد من أمر من القذافي.

■ هل سمعته مرة يتحدث عن السعودية؟

ـ نعم.

■ لماذا كان يكرهها؟

ـ القذافي تربّى في بيئة فقيرة جداً. وأبوه كان راعي غنم عند والي فزّان أيام بداية الاستقلال الليبي، وكانت ليبيا مقسمة ثلاث ولايات: طرابلس الغرب وولاية برقة وولاية فزّان. وكان ولداً مشاغباً، يكره أي شخص ميسور الحال. ووالد قريبه أحمد قذاف الدم كان برتبة مقدم في القوة المتحركة، وكانت عائلته ميسورة الحال وتساعد عائلة معمر. معمر

القذافي كان يحمل في نفسه كراهية لميسوري الحال، بخاصة الأنظمة الملكية. ثم هناك ثقل السعودية السياسي والاقتصادي والإسلامي. والقذافي إضافة إلى ذلك نزق وعنيف ويحب الدم كثيراً.

■ **أعطِنا دليلاً جديداً على دمويته.**

ـ كنا في رحلة صيد في رومانيا، خلالها قُتل صالح بو فروة بالرصاص، وهو أحد الضباط الأحرار المقربين من القذافي، لكن هذه قصة طويلة.

■ **هل كانت عملية قتل مقصودة، أي هل اغتنموا رحلة الصيد لقتله؟**

ـ نعم.

■ **مَنْ قتله، جماعة القذافي؟**

ـ نعم. لعملية القتل هذه قصة تتعلق بموضوع أن والدة القذافي يهودية.

■ **صالح بو فروة قال إن أم القذافي يهودية؟**

ـ وصلته معلومة من إيطاليا مع أوراق ومستندات متصلة تفيد بأن أم القذافي يهودية.

■ **وهل هي يهودية؟**

ـ نعم.

■ أنت تجزم بالأمر، فما السبب؟

ـ عمار ضو الذي كان سفيراً في إيطاليا وصلت إليه المعلومة ذاتها مع مستندات وغيرها، وبعد مغادرته ليبيا إلى إيطاليا اغتيل ولفّقت التهمة بأن وراء تصفيته مَنْ كان يسميهم القذافي «الكلاب الضالة»، أي المعارضة الليبية، وهذا غير صحيح. كذلك الملحق الإعلامي اغتيل، لأنه كان على علم بهذه القضية.

■ كل مَنْ كانوا على علم بأن والدة القذافي يهودية قتلوا؟

ـ نعم تمت تصفيتهم.

■ هذا كان في رحلة الصيد في رومانيا، ولكن في أي عام؟

ـ في الثمانين كما أعتقد، أيام تشاوشيسكو.

■ هل كانت علاقة القذافي بتشاوشيسكو قوية؟

ـ نعم كانت قوية جداً، على رغم أنه كانت هناك كراهية بين زوجة تشاوشيسكو والقذافي.

■ ولماذا كانت تكرهه؟

لا أعرف.

■ قلتَ إن القذافي كان دموياً، كيف؟

ـ في تلك الرحلة أذكر أنهم أتوا بالغزال الذي اصطاده القذافي. فلما فتحوا بطنه، أدخل القذافي يديه وراح يغسلهما بدم الغزال. كان المنظر رهيباً وغريباً. الصور لا تزال موجودة في ليبيا.

■ **غسلَ يديه بدم الغزال؟**

ـ وضع كلتا يديه داخل بطن الغزال، وراح يغسلهما بالدم. أنا من دون قصد سألته: لماذا تغسل يديك بالدم الوسخ؟ فقال: أنت لا تعرف فوائد غسل اليدين بالدم وهو ساخن.

■ **هل تعتقد بأنه قتل أحداً بيده؟**

ـ أعتقد.

■ **مثل مَنْ؟**

ـ لا أريد أن أجزم في أحداث لم أكن شاهداً عليها، لكنه كان بلا شفقة.

■ **دليل آخر على غرابة القذافي؟**

ـ كان يعاني شذوذاً جنسياً رهيباً. غلمان وغيرهم.

■ **بما أنك كنت مدير المراسم لديه، هل كانوا يحضرون له غلماناً إلى الخيمة؟**

ـ كان معه غلمانه. كثيرون ممن كانوا معه كانوا غلماناً

ويسمونهم «مجموعة الخدمات». هؤلاء كلهم كانوا غلماناً وضابطات وحريماً.

■ كان يحب النساء كثيراً؟

ـ أعتقد بأنها كانت عملية سادية. أذكر مرة حين كنتُ في المكتب وردتني مكالمة من مسؤول أمن الفندق يقول فيها إن ضيفة أفريقية مريضة وتريد أن تقابلني، فقلت للمتصل إنني لست طبيباً ولا أفهم بهذه الأمور. الفندق كان يتبع للمراسم. قلت له أن يتصل بطبيب ليراها. فقال: أعتقد يا سيد نوري أن من الأفضل أن تأتي. قلت له: ما قصتك أنت، هل تعطيني تعليمات؟ فقال: أنا لا أعطي تعليمات، أنصح بأن تراها أنت قبل أن يراها الطبيب.

عندها اخذت السيارة وتوجهت إلى الفندق. ولما وصلت سألت الشخص الذي اتصل بي، ما حصل؟ فقال: اصعد إلى الغرفة لترى بنفسك. دخلت على هذه السيدة وهي من نيجيريا وأذكر أن اسمها كان الدكتورة (...)، وكانت في حال يرثى لها. كانت في حال رهيبة، تعرضت للعض والنتش والدم يسيل، وآثار كدمات ظاهرة على جسدها، وكانت تبكي. سألتها ما بها، فقالت: هجم عليّ.

قلت لها: مَن هاجمك (...) في الفندق؟ فأجابت: لا. ذهبت لمقابلة القذافي وهجم عليَّ.

■ ماذا فعلت؟

ـ طلبتُ أن يأتوا إليها بطبيب. اتصلت بأحمد رمضان وهو كان مدير مكتب القذافي لكنه أقرب من بشير صالح، وطلبت منه أن يرسل طبيب القيادة. تململ أولاً، لكنني أعدت الطلب. فقال: حاضر. ثم سألني لماذا طلبت طبيب القيادة، إذا كان بإمكانك إحضار أي طبيب. فشرحت له الموضوع، ثم قابلت معمر القذافي وأخبرته بما حصل، فقال: فضّك منها. وقال إن هذه السيدة تكذب وأن المسألة عملية ابتزاز.

■ قلتَ للقذافي ما حصل؟

ـ طبعاً. قلت إن المرأة موجودة وتدّعي كذا وكذا. فقال إنها ربما فعلت ذلك بنفسها لتبتزّه. أجبتُ أن الموضوع يجب أن يُعالَج. فقال: حسناً أعطوها أي مبلغ. أذكر أن أحمد رمضان أرسل إليها مئة ألف دولار، فأقفل الموضوع.

■ وهي قابلته بأي صفة؟

ـ كانت تقول إنها دكتورة. عدا ذلك لا أعرف شيئاً.

■ كانت طبيبة؟

ـ لا أعرف، لكنهم كانوا يسمونها الدكتورة. كان هناك شيء اسمه «الضيف الخاص» للقائد، وهؤلاء لم تكن لي علاقة بهم باستثناء دفع تكاليف الفندق وغيره.

■ كان هناك فندق تابع للمراسم؟

ـ في البداية كان «المهاري» تابعاً للمراسم، ثم صرنا نتعامل مع كل الفنادق.

■ هل تذكر حوادث أخرى مماثلة؟

ـ حصلت أمور كثيرة. الحادثة الثانية حصلت لزوجة رجل أعمال سويسري، وكادت أن تتحول كارثة كبرى، لكنها لاحقاً تلاشت وانتهت ذيولها.

■ ما موضوع هذه الحادثة؟

ـ هذه سيدة إيرانية زوجة رجل سويسري مشارك في وفد من شركة إيرانية لتوظيف الأموال، قابَلَت السيدةُ القذافي ليلاً واعتدى عليها بعنف. عرفتُ الأمر بينما كنا عائدين في طائرة الوفد ولاحظنا أن الأمن المرافق للوفد اعتقل سيدة على الطائرة. كان معنا أيضاً محمد الحويج الذي تولى لاحقاً حقيبة المال.

■ أين حصلت الحادثة؟

ـ في سرت، ولها تفاصيل ثانية. دخلت معهم في تفاوض على الطائرة، وعلى الطائرة عرفتُ أن زوجة السويسري هجم عليها القذافي وكانت في حال يرثى لها.

■ كانت معكم على الطائرة؟

ـ نعم. كانت في غرفة النوم في الطائرة. أدخلني إليها زوجها، ووجدتها في حال تبعث على الذعر، الدم يسيل منها، فأخبرتني بما حصل. قالت إن سيدة جاءت إليها واستدعتها للمقابلة،

وكانت برفقتها ضابطة اسمها سالمة. وذهبوا إلى المقابلة، وكانوا في البداية أخبروها بأنها دعوة، ولكن لاحقاً دخل القذافي ودعاها إلى المكتب و«هجم» عليها بعنف. عندما دخلتُ للتحدث مع زوجة السويسري، دخل رجال الأمن الذين كانوا بصحبة الوفد، وقبضوا على السيدة التي كانت برفقتنا وهي الوسيطة التي أحضرت الوفد.

■ **اعتقلوها في الجو؟**

ــ نعم وكأنها عملية خطف. عندها قلت لهم: ما تفعلونه خطر، لأن الأمن والاستخبارات يعرفون أننا غادرنا المطار بطائرتكم. وحصلت بيني وبين الزوج السويسري مشادّة. وقلت له إن ما تفعله خطأ، فقبل أن تخرج من الأجواء الليبية ستجد الطائرات الحربية تلاحقك.

■ **كان هناك حراس مع السويسريين؟**

ــ نعم. كان معهم عناصر من الأمن الخاص بهم.

■ **هؤلاء العناصر هم من اعتقل المرأة الوسيطة؟**

ــ نعم. المرأة التي كانت السبب في الاعتداء.

■ **كيف عالجتم الأمر؟**

ــ قلت للزوج: أولاً نحن لن نقبل التفاهم معك، قبل أن تفكوا الأغلال من يدي السيدة.

■ هل كانت هذه السيدة ليبية؟

ـ عربية. قلت: ما ذنبها، هي العبد المأمور، ولا علاقة لها. وسألت زوجة السويسري، هل حاولت هذه السيدة إقناعك؟ فقالت لا. وسألتُ السيدة: هل قالوا لك إنها دعوة، فقالت نعم. يعني أن لا علاقة لها بالأمر. ففكوا الأغلال. محمد الحويج كان خائفاً وجباناً وشبه ميت على الطائرة. حتى إنه أشاد بي، وقال: بعمري لم أر بمثل شجاعة نوري في هذا الموقف. أقنعت الرجل بأن هذا خطأ، وبأن الطائرة ستلاحَق لأن شخصين ليبيين مهمَّين على متنها، ولم تدخل أجواء طرابلس.

■ لمَنْ كانت الطائرة؟

ـ لهم. نحن كانت لدينا طائرة، لكنهم أصروا على أن نرافقهم على متن طائرتهم لغاية في نفس يعقوب.

■ الطائرة كانت سويسرية؟

ـ نعم. قلت: له أنت حر، إذا أردت أن تذهب فاذهب، لكن هذا سيسبب لك فضيحة في بلادك، وستتهم بعملية خطف ولن تستفيد. توصّلنا إلى حل. قال: أتعدني بأنكم لن تقبضوا عليّ في طرابلس؟ قلت: أعطيك كلمة شرف بألا يتم التعرض لك ولا لزوجتك ولا لأي شخص معك، وهذه الحادثة ستكون بيني وبينك. وقلت لحويج: إذا صدرت منك أي كلمة ستنتهي، فقال إنه موافق على كل ما أقرره. نزلنا في مطار المعيتيقة ونزل الوفد وغادر السويسري وزوجته، وكان خائفاً.

وراح الوفد. كانوا أحضروا لي هدية ساعة سويسرية، فقلت إنني لا أتسلم الهدايا.

■ **هل طلبوا أموالاً؟**

ـ هو طلب ٢٠ مليون دولار تعويضاً عما تعرضت له زوجته. قلت له إنني لا أتدخل في هذه الأمور.

■ **لم يقبض أموالاً؟**

ـ لاحقاً، الحويج تابع العملية. والسيدة التي كانت معنا أخبرت القذافي بما حصل. وقالت: نوري تصرف وقام بكذا وكذا. وأعتقد بأن السيد عبدالحفيظ الزليطني الذي كان وزيراً للاقتصاد نظّم تعاوناً بين هذه المجموعة السويسرية وليبيا.

■ **هذا عملياً يعني أنهم حصلوا على تعويض؟**

ـ كان تعويضاً على شكل استثمار، وكانت للقذافي مواقف كثيرة في هذا الإطار. هو كان يحب الانتقام من الشخصيات من طريق زوجاتهم. أنا أستغرب كيف أن بشير صالح لم ينشق عن القذافي، وحتى عزالدين الهنشيري الذي كان وزيراً للأمن العام وكان في الاستخبارات ورئيساً للحرس الثوري ثم رئيساً للحرس الخاص. أستغرب كيف أنهما لم ينشقّا عنه، لأنني عندما كنت أتخاصم مع القذافي وأُسجَن وأخرَّج من السجن، كنت آتي إلى مكتب بشير صالح وأكتب استقالتي وأقول إنني سأغادر. كان بشير صالح والهنشيري يوصيانني بالهدوء والتمهل ويقولان: عندما تأتي هذه اللحظة سنبلغك. كان هناك مخطط

لدى الاثنين لكنهما لم يبلغاني به. وكانا يقولان إنني مندفع ودائم الغضب، ويطلبان مني الهدوء، ويقولان إن الوقت لم يحِن بعد. لم أكن أعرف السبب. لكنني استغربتُ جداً عندما حصلت ثورة ١٧ فبراير المباركة ولم ينضما إليها.

■ **هل حاول القذافي أن يتحرش بوزيرة أو غيرها؟ هو التقى كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأميركية؟**

ـ دعاها إلى العشاء، ولمّا دخلت إلى الجناح الخاص رأت صورتها وبألوان زيتية في إطار، معلّقة في جناحه. لمّا رأت الصورة فُجِعت. سألت: ما هذا، فقال: هذه صورتك بألوان زيتية. لكنني لا أعرف ماذا حصل. هذه واحدة. حاول القذافي التحرش بوزيرة خارجية إسبانيا باراسيو.

■ **وهل تسبب هذا الأمر في إشكال؟ هل حاول القذافي فعلاً التحرش بها؟**

ـ العلاقة كانت متينة، ولكن في الزيارات الخاصة أنا لا علاقة لي بها.

■ **هل هناك حوادث أخرى مماثلة لحادثتي النيجيرية والسويسرية؟**

ـ الحوادث الأخلاقية دائماً كانت موجودة.

■ **وكان يدفع في النهاية؟**

ـ نعم. مثلاً مرة استُدعِي بشير صالح إلى الغابون من قبل

رئيسها عمر بونغو. كان صالح غير راضٍ، وحتى الهنشيري، عن تصرفات القذافي. قال لي بشير تعالَ أريد أن أراك في المكتب. فقلت له: كيف تذهب إلى الغابون وحدك؟ فأجاب إنه لو لم يذهب لحصلت كارثة. وقال: حين دخلت على عمر بونغو أدار شريط تسجيل لمكالمة هاتفية بين القذافي المتصل وزوجته، وهي ابنة ساسو نغيسو رئيس كونغو برازافيل. أصيبت المرأة لاحقاً بالجنون وانتقلت إلى المغرب وماتت. وهي سيدة جميلة فعلاً. كان هناك كلام غزل بينها وبينه. فترت العلاقات بين البلدين وعادت لاحقاً بقدرة قادر. لم أسأل عن تفاصيل مكالمة الغزل. بشير صالح كان المسؤول. كان مسؤولاً أكثر من الآخرين في هذا الشأن، حتى لما حوّلوا الخارجية الليبية وقسموها إلى الخارجية ووزارة الشؤون الأفريقية وكان التريكي وزير الخارجية للشؤون الأفريقية وعلاقته دائمة بالأفارقة، كان بشير متقدماً، وكان هناك دائماً صدام بين الرجلين في ما يتعلق بالعلاقات الأفريقية. كانت هناك أمور يقوم بها بشير صالح من دون علم التريكي، لأنه كان رئيس الديوان لدى القذافي، فيفعل ما يريد وعلاقته جيدة بالأفارقة ولونه أسمر مثلهم.

■ **كان القذافي يحب النساء والرجال؟**

ـ طبعاً.

■ **عبدالمنعم الهوني قال سابقاً إن القذافي شاذ جنسياً؟**

ـ هذا صحيح، وعبدالرحمن شلقم يقول إن القذافي سالب وموجب.

■ **هل حصل معه إشكال في موضوع الغلمان. هل اشتكى عليه أحد من الشبان؟**

ـ سمعتُ، لكنني لم أكن حاضراً، لأن هذا الموضوع في قسم الخدمات، وما يدور حوله لا أعرفه.

■ **هل استقدموا له نساء من الخارج؟**

ـ كانوا يأتون إليه بنساء، من أشكال ألوان، وهذه الأمور كانت مسؤولة عنها واحدة اسمها م.ا.

■ **تردد اسمها بعد سقوط القذافي؟**

ـ هي كانت مسؤولة عن هذه الأمور. وصلت إلى مرحلة أنها أصبحت بمثابة مبعوث شخصي. كانت لها علاقة بسيسيليا ساركوزي وكانت على علاقة بالإليزيه أكثر مني ومن وزير الخارجية ورئيس الحكومة، والسبب أن القذافي كان يعتبرها بمثابة المبعوث الشخصي له. بالغ القذافي في هذا الجانب، كان ينتقم من الأشخاص بالتعرّض لزوجاتهم. السيدة نفسها روت لي أن القذافي تحرش بشقيقة ساركوزي فاستاءت، وأن المقربين من القذافي حاولوا استرضاءها بعقد من الماس فرفضته.

■ **هل زار القذافي ضريح لينين في موسكو؟**

ـ نعم، وكان تعليقه أن الرجل مات، فلماذا ينفقون الأموال لصيانة تحنيط جثمانه.

■ بأي زعيم عالمي كان معجباً؟

ـ بمعمر القذافي!

■ ماذا كان يقرأ؟

ـ كان يقرأ كثيراً التاريخ العسكري والسياسي والمدني. قبل زيارته أيَّ دولة كان يأخذ تاريخها بالكامل وينشغل به طوال الرحلة. وحين يقابل رؤساء تلك الدول كان يختار شيئاً من تاريخهم يفاجئهم به، ومرات يكون الرئيس نفسه لا يعرفه.

■ مثل مَنْ؟

ـ مثلاً جنوب إفريقيا. هنا ذكّرتني بحادثة. أحرجني مرة مع نيلسون مانديلا. في منتصف الليل اتصل بي على خط القيادة الأحمر، وسألني إذا كنت مستيقظاً، فأجبته بنعم، فقال البس ثيابك وهات مانديلا، الذي كان يزور ليبيا بعد تركه الرئاسة. تحدثت إلى مستشار مانديلا فقال: هل جننت؟ الرجل نائم ومريض وركبتاه تؤلمانه. قلت: هذه التعليمات. فقال: أي تعليمات هذه؟ وهل مانديلا موظف عندكم؟ لا يمكن أن أسمح بدخول أحد لإيقاظه. سكرتيرة مانديلا عرقت ورفضت رفضاً قاطعاً. اتصلت بالقذافي وأبلغته، فقال: أبلغهم أنه موضوع مهم وأقنعهم، أعرف أنك بارع. أقفلت الخط وأخبرتهم ما حصل، لكنهم أصروا على الرفض.

■ هل صحيح أنه تعمَّد إهانة بان كي مون حين أتوا به إلى طرابلس وكان القذافي في الصحراء؟

ـ كان يأتي بهم كلهم إلى الصحراء، مرةً أهان حسني مبارك، لكن الحادث الأبرز حصل مع كوفي أنان حين أتى إلى ليبيا ليتكلم في موضوع لوكربي. هذه كانت إهانة فعلاً، وصل انان في النهار إلى ليبيا لكن القذافي قال لا تأتوا به إليَّ إلا في الليل. كانت خيمة القذافي منصوبة في أول الصحراء على بعد مئتي متر من الطريق الساحلي. لكن التعليمات كانت القيام بعملية التفاف طويلة قبل الوصول إلى المخيم، وقد أمر القذافي بإطفاء كل الأضواء فيه باستثناء خيمته. شعر أنان بالخوف، خصوصاً حين سمع صوت الجِمال، فسألني إن كان هذا صوتَ أُسود، فطمأنته، ولاحظت أن وجهه صار أبيض من شدة القلق. قضت التعليمات أيضاً بإعادة أنان عبر الطريق ذاتها.

حسني مبارك أخذوه إلى الصحراء فانزعج، وقال إذا كانت هناك صحراء في المرة المقبلة فلن أذهب إلى ليبيا. لهذا صار القذافي يأتي إليه في قاعة واغادوغو أو يستقبله في بيت الضيافة المجاور لها. قال مبارك صراحة: حكاية الصحراء لا تفكروا فيها، مرة ثانية لن أذهب. في أي حال، مبارك كان يستوعب القذافي ويحرص على زيارته في رمضان وتناول الإفطار معه.

■ وعلاقة القذافي مع الرئيس السوداني جعفر النميري؟

ـ في البداية كانت جيدة، لكنها ساءت لاحقاً. في آخر أيام

النميري ذهب القذافي إلى السودان في زيارة رسمية وحرص على رؤيته وهو كان مشلولاً. تظاهر القذافي بالتأثر وراح يسأله عما يريد، وطبعاً كان القصد إذلاله. لكنه إعلامياً يبرمج الأمور في شكل آخر.

■ هل كان يحب الصادق المهدي؟

ـ كلا، لكنه سانده بقوة.

■ وعلاقته مع الرئيس عمر حسن البشير؟

ـ في الفترة الأخيرة كانت سيئة، بسبب دعم القذافي جنوب السودان.

■ وعلاقته مع الزعيم الجنوبي جون قرنق؟

ـ زاره قرنق كثيراً، وبعد وفاته كانت زوجته تأتي للحصول على مساعدات للجنوب، والتقاها في كمبالا.

■ هل كنت معه عندما التقى عيدي أمين؟

ـ حين تنحى عيدي أمين وأتى إلى ليبيا كنت مرافقَه. شخصيته مرحة لكنه كان غبياً.

■ ما قصة ملك ملوك أفريقيا؟

ـ ملوك أفريقيا هم الملوك التقليديون. إنهم نوع من السلاطين المحليين وشيوخ القبائل. أحبَّ القذافي أن يتقرّب منهم. هناك من أوحوا له بإمكان تشكيل مجلس لهؤلاء. أدخلوا في دماغه أن

هؤلاء «الملوك» يؤثّرون في قبائلهم وشعوبهم، فدخلت الفكرة دماغه وراح يلتقي بهم. ولاحقاً كلّف بشير صالح رئيس ديوانه أن يتكلم مع الدكتور رافع المدني الذي كان يرأس مكتباً لشيوخ أفريقيا وسلاطينها. خلال اجتماع قال له: نريد من اجتماعكم أن تعلنوا أن معمر القذافي ملك ملوك أفريقيا. طبعاً الدكتور رافع أُحرج، وقال له نحن لا دخل لنا، نحن لسنا دولة. الملوك يجتمعون والدول تجتمع ليعيِّنوا إمبراطوراً عليهم، فهذه توجب اتفاقات ومعاهدات. قال بشير صالح: طُلب مني ذلك، طبعاً رفضوا وأُحرجوا، وبقي المسكين يحاول، وطلب بشير صالح تاجاً فتبين أن أحد الملوك لديه تاج من الذهب، أخذوا التاج وأعلنوه ملك ملوك أفريقيا وألبسوه إياه. مسرحية طلبها القذافي وكان مصرّاً عليها. في القمة العربية في قطر أورد أميرُها بشيء من الاستهزاء لقب ملك ملوك أفريقيا، وفي القمة عدّد القذافي ألقابه، وقال: أنا عميد الحكّام العرب وملك ملوك أفريقيا... إلى آخر المعزوفة. كان لا يريد أن يسمع لقب رئيس أو ما شابه. كان يطالب رسمياً بمناداته بالقائد معمر القذافي، ملك ملوك أفريقيا. أرسلنا مذكرات للاتحاد الأفريقي والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة، وفيها أن التسمية الرسمية للقذافي هي قائد الثورة معمر القذافي، ملك ملوك أفريقيا.

■ **كيف كانت علاقته بالمال؟**

ـ ليست له أي علاقة بالمال، أولاده كانوا يهتمون بالمال.

■ **ألم يكن صاحب الأمر في إقرار المساعدات؟**

ـ أكيد، لا يخرج مليم واحد إلى رئيس دولة أو حزب إلا بأمر منه.

■ كان يوقِّع أوراقاً؟

ـ تقدَّم إليه مقترحات في صورة نقاط ويضع شارة صح فقط قرب ما يعجبه، فيبدأ التنفيذ.

■ ما هي قصة ثيابه الغريبة؟

ـ هذه ثياب أفريقية، هو ملك ملوك أفريقيا وينادي بالاتحاد الأفريقي ويلبس كل ما يتعلق بأفريقيا. كان لديه ميل إلى الثياب المزركشة ويرتدي أيضاً ثياباً شبه نسائية.

■ هل لديه حسابات خارجية؟

ـ نعم، أعتقد بأن لديه حسابات سرية.

■ أولاده كان لديهم المال الكثير؟

ـ أول من أهلك معمر القذافي هم أولاده.

■ القذافي كان يحب الجلوس مع المثقفين. هل كان يسبب لكم إحراجات في هذا الموضوع، مثلاً حين يذهب إلى القاهرة ويجمع المثقفين؟

ـ أجل، كان يجمعهم كي يهينهم، كان يُظهر لهم الكلام الذي فيه خطأ ويدلهم عليه ويقول لهم: هذه لا تكتب هكذا (. . .) وهذا ما يسبّب لنا الإحراج.

■ كان ينفق على الإعلام؟

ـ فقط الذين يلمّعونه، وكان غير مقتنع بالإعلام الليبي.

■ هل صحيح أنه لبس ذات يوم قفازات بيضاء في القمة العربية حتى لا يصافح الملك الحسن الثاني؟

ـ كلا، حتى لا يصافح حسني مبارك، وكانت القمة في المغرب. حين سألناه لماذا القفازات البيضاء قال: لا أريد أن أصافح مبارك بسبب إسطبل داود، وكان يقصد كامب ديفيد.

■ وقيل إنه قبل ذلك تحسس مسدسه وهدد بقتل الملك حسين؟

ـ نعم، حصلت مشادة بينهما بعد أيلول الأسود. وكان يريد الاعتداء عليه، حينها صدر قرار بعدم السماح للرؤساء بدخول اجتماعات القمة بسلاحهم.

■ هل كان معجباً بجمال عبدالناصر؟

ـ في بداية الثورة كان معجباً به، ولكن لاحقاً حين أصدر القذافي ما سمّاه الكتاب الأخضر، كان يسخر من الميثاق الذي أصدره جمال عبدالناصر، ولو كان عبدالناصر حياً لاصطدم به.

■ هل كنت تعمل أثناء الغارة الأميركية؟

ـ كلا.

■ ماذا كان شعورك حين شاهدت مقتل القذافي على الشاشة؟

ـ للأمانة، كان يجب ألاّ يُقتل. كان يجب أن يحاكم كما حوكم صدام، كي نسمع ما لديه ليقوله، ولكن للأسف كان هناك غيظ وكراهية، وهناك أناس تعذبوا كثيراً وتألموا كثيراً من أعماله، خصوصاً خلال أحداث ثورة ١٧ فبراير. كان الناس لديهم دافع للانتقام، ما جعلهم يتصرفون التصرف الذي حصل. كان تصرفاً لاشعورياً، لم يكن أمراً مرتباً، وأعتقد أيضاً بأنه كانت هناك أجندة خارجية لا تريد أن يصل القذافي إلى المحكمة، لئلا يتحدث عن الأسرار التي كانت لديه.

■ مَنْ تقصد؟

ـ حكاماً من الغرب والشرق.

■ هل صحيح أنه قال لباراك أوباما في قمة الدول الثماني في إيطاليا: يا ابني؟

ـ نعم، يستخدم هذه الطريقة عمداً، وهو يقصد التصغير. كنا نقول له: نرجوك لا تردد كلمة يا ابني في مخاطبة الحكام. عبدالرحمن شلقم قال له أيضاً، فكان يرد: لا، لا، هذا شغلي أنا، هؤلاء أولادي. كان يقولها لبشار الأسد وملك الأردن وملك المغرب وقالها لأوباما. نصحنا بشير صالح (مدير مكتبه) بعدم إثارة الموضوع مجدداً معه لأنه كان مصرّاً على استخدام هذا الأسلوب.

■ أتذكر شيئاً من رحلة موسكو التي التقى خلالها الرئيس ديمتري ميدفيديف؟

ـ دعانا ميدفيديف إلى عشاء خاص، وكانت هناك أغان وأوركسترا. قيل يومها إن السيدة المسؤولة عن ترتيب المواعيد العاطفية للعقيد حاولت إقناع المغنية بأن تزور القائد، لكنها امتنعت. السيدة نفسها كانت هذه مهمتها الدائمة، وقد مارست هذا الدور حين ذهبنا إلى أوكرانيا. خلال حفلة الاستقبال في الكرملين حضر ميدفيديف وبوتين والقذافي وكنتُ جالساً معهم.

■ لم يقدّموا خموراً؟

ـ قدموا ولكن ليس له.

■ تقصد أنه لا يشرب خموراً؟

ـ بحسب معلوماتي، لا يشرب.

■ هل يدخن؟

ـ يدخن مزاجياً، وكان يفعل ذلك في مؤتمرات القمة حين ينزعج أو بسبب عدم الاكتراث. مرة فعلها في مؤتمر في تونس. لم يرد الجلوس مع الرؤساء فجلس وحده في صالون. أتى زين العابدين بن علي وقال له: أرجوك، فرفض، وبعدها أتى عبد العزيز بوتفليقة. أعتقد بأن أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني جاء أيضاً وبعده الشيخ صباح الأحمد. كان القذافي يحب هذا النوع من المشاهد. وكان يدخن وإلى جانبه

عبدالرحمن شلقم. سأله الشيخ صباح الأحمد عن السبب، فأجابه: والله من همكم وغلبكم أدخن.

■ **هل حصلت إشكالات في القمة العربية في دمشق؟**

ـ الإشكالات العادية. مدد إقامته حينها لأنه كان يريد الاجتماع بالرئيس بشار الأسد وشقيقه ماهر. زاراه في مقر إقامته وتكلما معه وكان معجباً بهما.

■ **ماذا قال عن اللقاء؟**

ـ كان يقول إنهم أناس يفهمون وأصحاب كاريزما، ويتابعون شؤون الاقتصاد ولديهم إلمام جيد. سمعته يقول إن الرئيس حافظ ترك أسوداً من بعده. كان راضياً عن لقائه معهما، فحين كان يرضى عن لقائك يمدحك. كنا على متن الطائرة في رحلة العودة، كان يتكلم هو وأحمد قذاف الدم ويوسف الدبري وعبدالرحمن شلقم وكنت أنا وبشير صالح قربهم. طبعاً كَلِمَتُه في القمة استوقفت كثيرين، حين قال للرؤساء العرب إن الدور سيصل إليكم، وكان يتحدث عن إعدام صدام حسين.

■ **هل كانت له علاقة خاصة برئيس الوزراء الإيطالي سيلفيو بيرلوسكوني؟**

ـ طبعاً.

■ **هل صحيح أن بيرلوسكوني قبَّل يده؟**

ـ لم تكن سرية.

■ أين قبَّل يده؟

ـ في مؤتمر الشعب العام الذي هو البرلمان، وكنت أقف إلى جانبه.

■ ألم تُفاجأ؟

ـ أنا استغربتُ جداً، حضر إلى مؤتمر الشعب العام وتكلم فيه وألقى خطاباً، بعده اقترب من القذافي وقبل يده.

■ هل كان القذافي يكره الإيطاليين؟

ـ ظاهراً.

■ ويطالبهم بتعويضات دائماً؟

ـ هو طالبهم بتعويضات، وبالاتفاق مع بيرلوسكوني أخذ باليمين وأعطى بالشمال. يعني أعطاهم مشاريع وكل الحاجات التي يريدونها، وكنت معهم في السيارة أُترجم، قال القذافي: ستعطون باليمين وتأخذون بالشمال، فضحك بيرلوسكوني.

■ ما الذي تذكره أيضاً؟

ـ سئلت في التلفزيون الإيطالي إذا كنت أخجل من العمل مع القذافي، فقلت لهم إنني كنت أعمل مع ليبيا وليس مع القذافي، وكنت أعمل من أجل ليبيا. أنا لست خادماً عند القذافي، ولكن مَنْ يجب أن يخجل هو من مد أمامه البساط الأحمر وطابور الشرف، وعزف له الأناشيد وقبّل يده، أنا لم

أفعلها. هذا كان تعليقي على هذه الحادثة التي حصلت كما أعتقد في العام ٢٠٠٩.

■ عمَّ كانا يتحدثان؟

ـ عن العلاقات الليبية الإيطالية والاستثمار. وكان بيرلوسكوني يحاول إغراء القذافي، وعرض عليه الذهاب معه إلى سردينيا لتمضية سهرة في منزله، لكن الوفد الليبي خاف من الفضيحة.

■ **أحضروا له فتيات إيطاليات وحاضر فيهن عن الإسلام؟**

ـ هذه ذريعة، حكاية الإسلام. الموضوع فقط من أجل أن يجمعوا الفتيات، كانت تجمعهم مبروكة الشريف، ويأتي بهن ويتحدث إليهن وتؤخذ الصور وتُجلَب له كي يختار، أما الصور المرئية فكانت تعرض كمحاضرة على التلفزيون.

■ **هذا كان يحصل في إيطاليا أم في ليبيا؟**

ـ في إيطاليا وليبيا.

■ **ليبيا مجتمع محافظ؟**

ـ حتى عندما كان يذهب إلى مراكز للتجمعات النسائية أو الجامعات، يصورون ثم يجمع الزبانية لديه لإقناع هذه الفتاة أو تلك التي يريدها. هذا ليس سراً، بل يعرفه الجميع.

■ لم يكن لديه احترام للقيم؟

ـ إطلاقاً.

■ لكن ليبيا بلد القبائل والعشائر؟

ـ هل هو يفهم بالقبائل والعشائر؟ يدّعي البداوة والقبلية وأنه ابن قبيلة أو عشيرة، لكنه بعيد كل البعد عن أخلاقياتها.

■ هل كان يتناول حبوب فياغرا؟

ـ لا أعرف. بشير صالح أخبرني أنه كان يأخذ حقنة، ويقال إن بيرلوسكوني أسدى إليه نصائح في هذا المجال.

■ ألم تحزن لمصيره؟ أم كنت تتوقع له ذلك؟

ـ أنا قلت إن هذا الشخص لن يتنازل ولن يتنحى، ولا تتعبوا أنفسكم لأنه لن يغادر ليبيا، وسيستمر حتى آخر لحظة. قلتها لرؤساء، ولكن كان بودي أن يدخل المحكمة أولاً إذلالاً له، أن يكون في قفص الاتهام ويحاكم، وفي ذلك رد اعتبار للمساجين الذين زج بهم في سجن أبو سليم، وللناس الذين كان يوجّه إليهم التهم الباطلة وينكّل بهم.

■ هو من أمر بمذبحة سجن أبو سليم؟

ـ طبعاً هو المسؤول، مجزرة مثل هذه أو قتل وذبح لا بد أن تكون بعلمه، هو مَن يوقّع ويعطي الإشارة.

■ هل رافقته في زيارة كيم إيل سونغ؟

ـ طبعاً ومنحني الزعيم الكوري وساماً، كنتُ ضمن مجموعة.

■ كيف كان اللقاء؟

ـ حميماً جداً ولقاء صداقة، وكان كيم إيل سونغ مهتماً بالقذافي في شكل رهيب. أقام له استقبالاً لا تراه إلا في أفلام والت ديزني، استقبالاً باهراً، لا وصف له. البشر كانوا يرتدون ألواناً مختلفة، إذا نظرت إليهم من الجو ترى في الشوارع ألوان الطيف، وسيارة مكشوفة ركبها كيم إيل سونغ والقذافي. وحين نزل القذافي قال لي: حين يأتي كيم ايل سونغ إلى ليبيا هل ستتمكن من تنظيم مثل هذا الاستقبال له؟ قلت له: هذا إمكاناته رهيبة. ثم أقام له احتفالاً لا يوصف باللوحات الخلفية في الملعب، لكن مثل هذا موجود في ليبيا. في الملعب، أُقيمت لوحات من الأمواج وأرض قاحلة، وكل ذلك من البشر، وكيفية استصلاح الأرض وطوفان المياه. شيء من الخيال.

■ هل كان معجباً بكيم إيل سونغ؟

ـ إلى أبعد حدود.

■ على رغم أنه شيوعي؟

ـ على رغم ذلك، ورغم أنه لم يكن يحب الشيوعية.

■ هل قابل ابنه كيم جونغ إيل؟

ـ لا.

■ ماذا عن رحلة الصين؟

ـ كان الاستقبال جيداً، ولكن ليس بحفاوة استقبال كوريا الشمالية، استقبال رسمي في المطار ورائع، وأُجريَت محادثات صعبة مع الصينيين. زرنا سور الصين العظيم، وكان برنامجاً جيداً واهتموا به.

■ هل كان يطلب أسلحة منهم؟

ـ كان يطلب تكنولوجيا. اشترطوا عليه موضوع تايوان، وألاّ تقام علاقات معها، وهذا ما حصل. ولكن قبل سنتين من أحداث ١٧ فبراير أقام سيف الإسلام علاقة مع جماعة تايوان وحضر وفد منهم إلى ليبيا، واكتشفت الأمر مجموعة الصين، وكانوا يتجسسون عليهم. نزل وفد تايوان في قاعدة معيتيقة، وعلموا بذلك، وطلب السفير الصيني مقابلتي واحتج على استقبال ليبيا الوفد. قلت إننا لم نستقبل أحداً رسمياً وليست لدينا علاقة مع تايوان، فأجاب: نعرف سيارات المراسم. قلت: سيارات المراسم ليست من نوع معين، تجدون سيارات مرسيدس كثيرة، وهم أخذوا سيارات من المراسم ووضعوا عليها لوحات مدنية كي لا تُعرف.

■ والعلاقات مع فيديل كاسترو؟

ـ كاسترو جاء إلى ليبيا وكنت موجوداً، كان مخططاً زيارة كوبا ونيكاراغوا والبيرو عندما ذهبنا إلى الأمم المتحدة، ولكن لم يكن الأمر آمناً، إذ أعطى الأمن الخاص تقريراً من طريق

الاستخبارات يفيد بأنه يُفضّل عدم الذهاب، فذهبنا إلى فنزويلا.

■ **هل كان القذافي يحب هوغو تشافيز؟**

ـ تجمعهما صداقة حميمة جداً وعندي صور له معه.

■ **كيف كانت زيارة كاسترو إلى ليبيا، وهل ساعده مالياً؟**

ـ ساعده كثيراً وكان معجباً به. الزيارة تزامنت مع وفاة والدة القذافي عائشة، كانت الوفاة يوم مغادرة كاسترو، فجاء إلى مكتبه ليسلّم عليه وقلت له: هل تريد تعزيته، إنه هنا؟ قال كاسترو للقذافي: أنا مُستغرب، والدتك توفيت وأنت تتعامل مع الأمر في شكل عادي؟ فرد القذافي: هذا قدر، وساعتها حانت.

■ **هل كان القذافي متعلقاً بوالدته؟**

ـ كثيراً.

■ **ووالده؟**

ـ وسط، وهو توفي بعد والدة القذافي، عن ٨٤ سنة.

■ **رافقته في رحلاته إلى الاتحاد السوفياتي بين عامي ١٩٧٧ و١٩٨٨، كيف كانت؟**

ـ في كل الرحلات رافقته. كان متعجرفاً والسوفيات كانوا حسّاسين إزاء الأمر، وكانت الرحلات خلال عهد ليونيد بريجنيف.

■ ماذا حصل مثلاً؟

ـ كان يحدد موعداً ويتأخر عمداً، فيأتي بريجنيف أمام حجرته في مقر إقامته في الكرملين، ويبقى واقفاً في انتظار خروجه. كان الأمر محرجاً، وبريجنيف مسن وبالكاد يستطيع المشي، وكان القذافي يقول إنه آتٍ، فيطول انتظار بريجنيف.

■ ما الذي ازعج بريجنيف أيضاً؟

ـ الروس أزعجهم هذا التصرف بحق زعيم البلاد. كان القذافي يسبّب هذه الإحراجات ويقصد من ورائها الإهانة. حتى خلال العشاء الرسمي، حين ألقى خطاباً، تناول الإسلام وأفغانستان وغير ذلك، ما أزعج الروس. أما رئيس ألبانيا أنور خوجة ففرح بالكلمة لأنها شتمت كل الرؤساء، وإذاعة تيران شكرت القذافي.

■ ماذا قال لهم عن أفغانستان؟

ـ يجب أن تهتموا بالمسلمين والإسلام (. . .) وبعض الوعظ.

■ أخبرني عبد السلام التريكي أنه أوقف المحادثات وأدى الصلاة في الكرملين.

ـ هذا الأمر يكرره دائماً، وليس فقط في الكرملين. فعل الشيء ذاته في ليبيا، خلال مقابلات مع ضيوف غير مسلمين.

■ متى غادرت ليبيا ولماذا؟

ـ كانت لدي مشاكل خلال عملي مع القذافي وسجنتُ مرات

عدة. كنت أحاول أن ألفته إلى بعض المسائل، لكنّ ذلك كان صعباً لأن المحيطين به كانوا من أقربائه، وكنا نسميهم «زبانية الخيمة». كان أعضاء جوقة المدّاحين هذه يهللون ويكبّرون إذا أطل عليهم بملابسه الأفريقية مثلاً وهو كان يحب المديح والمدّاحين.

■ أعطنا مثلاً عن عملية سجنك.

ـ سُجنتُ مرات عدة، بعضها لأسبوع ومرات لشهر. في المرة الأخيرة كان هناك مؤتمر في طرابلس. وكالعادة هناك وفود تحضيرية تصل باكراً. لاحظ أعضاء من الوفد القطري غيابي. استفسروا فأبلغهم أعضاء في المراسم أنني في السجن. السجن كان عبارة عن أماكن محددة للإقامة، لكنه سجن.

كان ذلك في العام ٢٠١٠ في فندق «ريكسوس» في الغابة في طرابلس. اتصل رئيس الوزراء، وزير الخارجية القطري حمد بن جاسم بالقذافي وطلب منه أن يعفو عني. ليلاً اتصل بي مدير السجن العقيد ع.س، وهو يعتبر من أكبر المجرمين في عهد القذافي وقام بتصفيات خارجية، وكانت بأمرته مجموعة يُطلق عليها كتيبة الإرهاب. كان هذا الرجل يُطارد من سموهم آنذاك «الكلاب الضالة». أبلغني بقرار إخراجي من السجن. طبعاً الدخول إلى السجن والخروج منه مسألة عشوائية في عهد القذافي. أثناء وجودي في المعتقل التحق بي البغدادي المحمودي أمين اللجنة الشعبية العامة ورئيس الوزراء وكذلك وكيل وزارة المالية ومحافظ مصرف ليبيا المركزي وعلى ما

أعتقد مدير مصرف الأمان لموضوع مالي يتعلق بابن القذافي المعتصم بالله.

ذهبتُ إلى المؤتمر وأشرفتُ عليه وحضر حمد بن جاسم وسلمت عليه. قال لي القذافي: عليك أن تشكر هذا الرجل الذي أطلق سراحك، فلولاه لما كنت خرجت من السجن. طبعاً حمد بن جاسم تحدث إلى القذافي وقال له: نوري رجل مخلص ومحترم وطيب ولا يستأهل السجن. انتهى المؤتمر، وعند مغادرة القذافي قلت له: هل أعود إلى السجن أم أذهب إلى البيت؟ قال إلى البيت. وكان بعدها العيد الحادي والأربعون لما يسمى ثورة سبتمبر، وللأمانة هي في البداية كانت ثورة لأن من قام بها هم ضباط أحرار ومخلصون. لكن القذافي سرقها لغرض في نفسه، والدليل أنه انشقّ عليه الكثير من الضباط الأحرار وأعضاء مجلس قيادة الثورة.

كُلِّفتُ بمهمة في مالي وكنا في شهر رمضان وقمتُ بالمهمة بنجاح. ثم كانت الاحتفالات الكبرى التي حضرها القذافي، وأثناء الاحتفالات بأعياد الاستقلال والحرية لمالي تعرضتُ لحادثة وأحسست بأن القذافي يبيّت لي شيئاً لأنه كان مشمئزاً مني.

■ هل عبّر عن ذلك؟

ـ أذكر أن رئيس مالي أمادو توماني توري الذي أطاحه لاحقاً انقلاب عسكري، قال إن كل هذه الاحتفالات والاستعراض العسكري والقوات والإنزال المظلي يرجع الفضل فيها إلى

السيد نوري لما قام به، وأستسمحكم بمنحه وساماً. رد عليه القذافي مستهزئاً وقال: «لو لم يفعل هذا لكنا قتلناه». أحسستُ بشيء من القلق. كان هناك ضابط اسمه العميد عبدالسلام الحاسين حضر إلى مالي على رأس مجموعة من القوات الخاصة الليبية لتأمين زيارة. جلستُ معه وسألني عن أسباب انزعاجي فأخبرته. والظاهر أنه كانت لديه معلومة عما يدور. رده كان قاطعاً إذ سألني هل بإمكاني أن أغادر ليبيا وأترك؟ الآن هو عميد يمسك العمليات للقوات الليبية. قلت له نعم. فقال هذه نصيحة أخ لك أن تغادر. ودعنا القذافي الذي طلب مني أن أرافقه كما يفعل دائماً. قلت: لله إنني مضطر للبقاء لأضمن ترحيل الجنود والآليات والطائرات. بعد مغادرة الطائرة قال لي الضابط الليبي: أنا أهتم بالترحيل، وأنت عليك المغادرة. سلمت عليه، وأخذت الطائرة إلى تونس. مرضت ودخلت إلى المستشفى. بقيت ثلاثة أيام في تونس ثم توجهت بالباخرة إلى مرسيليا في فرنسا، ونزلت في الفندق، وكنت مريضاً بالقلب، وقال لي الطبيب إنني احتاج إلى علاج وقد يتطلب الأمر إجراء قسطرة لتركيب دعامة. أخافني هذا الأمر فسافرت إلى إيطاليا وكان الكلام نفسه. أتيت إلى الاردن واستُقبلت من جانب التشريفات الملكية وكانت المعاملة خاصة جداً. بقيت هناك، وبعد عشرة أيام تعبت وأخذوني إلى المستشفى واضطروا إلى إجراء قسطرة وركبوا دعامة، وتوقف قلبي لمدة عشر ثوانٍ عن النبض وتم إيقاظي بالصدمات الكهربائية، وخرجتُ من المستشفى وتوجهتُ إلى فرنسا. وللأمانة، لا أريد أن أتهم

جميع الضباط وقيادات الأمن الخارجي بالعدوانية، لكن هناك من كان يُوحى لهم من أقارب مجموعة القذافي، لأن القذاذفة كانوا يخططون لإبعادي بأي شكل من الأشكال. فكانوا يحاولون الإساءة إلى سمعتي دائماً. ذات مرة تمت تنحيتي وبعد أسبوع كانت إعادتي من جديد بعد فشل مؤامرتهم. وكان سيف الإسلام القذافي يخطط لوضع شخص في مكاني من مجموعة تابعة له. أرسل مجموعة إلى الأردن لدراسة شؤون البروتوكول ومراسمه، وكان بينهم واحد من القحصة (هم أقارب مباشرون للقذافي)، وشارك في هذه المؤامرة لتنحيتي البغدادي المحمودي، وكان هناك صراع دائم بيني وبينه لأنه كان من مجموعة سيف الإسلام. لم تنجح المؤامرة وكان الصدام بيني وبينهم وقدمتُ استقالتي فرُفضتْ. الصدام بيني وبين البغدادي المحمودي كان دائماً.

ما حدث أنني عدت إلى فرنسا. هناك اتصلوا بالقذافي وأبلغوه بأنني هربت. القذافي خاف. وهو كان دائماً يخاف إذا سافرت حتى للعلاج. كان يتخوف أن أنشقّ خصوصاً أنني تركت العمل معه في ١٩٨٢ لمّا غادرت ليبيا. نُشرت مقالة ضدي في جريدة إيطالية وأعتقد أنها كُتبت بتعليمات إلى صحافية إيطالية مأجورة، وفيها اتهام لي بالتخطيط للانقلاب على القذافي أو للثورة في ليبيا.

■ لكن الثورة لم تكن بدأت بعد؟

ــ صحيح. اتصل بي المعتصم نجل القذافي، فقلت له إنني

مريض وأخضع للعلاج وسأعود لاحقاً. قال لي: يا عمي نوري (كانوا دائماً يخاطبونني عمي نوري) استمر في علاجك وحين ترجع نستقبلك. ثم حدّثني سيف الإسلام، وعلاقتي به محدودة إلى أبعد حد. كنت ألتقي به صدفة في بيت والده أو في الخيمة. سألني عن أحوالي وقال: هؤلاء كلاب واستخبارات. وصدرت بعض المقابلات الصحافية نقلاً عن مصدر موثوق به مقرب من سيف الإسلام تقول إن هذه مؤامرة من الأجهزة الأمنية ضد السيد نوري المسماري.

■ ماذا قال لك أيضاً؟

ـ سلّم عليّ. قلت له إنني متعب ومريض. فقال: نأمل أن ترجع بالسلامة. وصدر هذا المقال. كانت المؤامرة تحاك بأن نوري سيهرب وينشقّ، فدبروا لي مؤامرة دنيئة مع النائب العام. ومعروف أن النائب العام يتبع وزير العدل لأن القضاء ليس مستقلاً، النيابات كلها تتبع وزير العدل وكان المستشار مصطفى عبدالجليل. وحاول عبدالله السنوسي وعبدالله منصور التنقيب في أوراق جهاز المراسم العام لتلفيق أي تهمة يمكن تلفيقها ضدي، لكنهما لم يعثرا على شيء.

■ من هو عبد الله منصور؟

ـ كان عميداً في الجيش ومديراً للإذاعة الليبية ومن بعده أتى علي الكيلاني. وهو قريب لعبدالسلام الزادمة الذي كان من الأمن الخارجي ومات. كان أكبر مجرم ومشترك في

التصفيات. كان مجرماً وشارك في تصفيات عدة لليبيين في الخارج. حاول منصور والسنوسي تلفيق أي تهمة لي ولم ينجحا، فطلبا من النائب العام في الاجتماع تلفيق تهمة لنوري المسماري بأي شكل من الأشكال، وكان هذا للأسف في ذاك الوقت بإشراف وزير العدل وبتعليمات من القذافي. ولُفّقت لي مؤامرة واتُّهمتُ بالمسّ بالمال العام. وكانت مؤامرة غبية لأن ميزانية جهاز المراسم كانت اسميّة للمراسم العامة، وكانت تديرها اللجنة الشعبية العامة التي هي رئاسة مجلس الوزراء.

■ **لُفّقت لك تهمة فاعتُقلتَ في فرنسا؟**

ـ القذافي طلب من الفرنسيين ترحيلي إلى ليبيا. رفض الفرنسيون. تم تدبير اتفاق مالي بين ليبيا وفرنسا، لشراء طائرات يشرف عليها محمد الحويج وزير الاقتصاد آنذاك، ويُقدَّر الاتفاق بنحو مليار ونصف المليار يورو.

■ **لشراء الأسلحة؟**

ـ طائرات وتكنولوجيا وأمور متطورة. وهذه وضعت كوسيلة ضغط لترحيلي، ولكن للأمانة، رفض الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي، وقال إن الموضوع بيد القضاء. هدد القذافي بإلغاء الاتفاق. أجابوه: افعلوا ما تشاؤون ونحن لا نستطيع أن نرحّله إلا بأمر من القضاء. أرسل القذافي مجموعة تحت إشراف ضابط من جهاز الأمن الخارجي، وهنا لا أريد أن أجزم أن جميع ضباط الأمن الخارجي من أعوان القذافي، هناك طبعاً

أقرباء عبدالله السنوسي وعبدالله منصور وأقرباء القذافي وهم بالطبع مخلصون له. ولكنْ هناك في جهاز الأمن الخارجي عدد من الوطنيين والثوريين والشرفاء قاموا بمساعدة ثورة ١٧ فبراير بكل ما لديهم. وهذا الضابط اسمه الأول سعد، كان يعرفني جيداً، فطلب القذافي منهم الذهاب على رأس مجموعة لاغتيالي. الضابط المكلف كان قنصلاً في فرنسا ويعرفها. لم يحاول جدياً الإيقاع بي لأنه كان يعرفني جيداً ويعرف وطنيتي.

▪ أُرسل الفريق إلى فرنسا؟

ـ نعم. معظم القناصل كانوا ضباطاً في جهاز الأمن الخارجي وكانوا يمسكون مناصب قناصل عامة لهذه الغاية. السلطات الفرنسية عرفت أن هناك مجموعة وصلت لتصفيتي فتمّ اعتقالي وأُدخلتُ السجن وكانت المعاملة جيدة. هناك أمور أمنية وسياسية. كان المطلوب أن أبقى متحفّظاً عليها قدر الإمكان، لأنه كان هناك تخطيط لقتلي بأي شكل من الأشكال. بدأت الاتصالات بي من ليبيين لمحاولة إقناعي بالعودة فرفضت. وتمّ تكليف محام لي وبعدها اطمأنّ الفرنسيون حين اضطرت مجموعة الاغتيال إلى المغادرة.

اتبع القذافي أسلوباً رخيصاً آخر بعدما أفرجَت المحكمة عني من دون كفالة مع حفظ حرية التنقل إلى حين صدور الحكم، فأرسل إلي عبدالله منصور. وأذكر انني اجتمعت به في فندق «فوكيت» وصافحني وكان اللقاء جيداً وأبلغني تحيات «أخوك» لا يقولون القائد بل يقولون «أخوك». مثلاً: طلب منك

«أخوك»، إذا كان الحديث عن تعليمات أو سواها. لهذه الكلمة معنى مختلف عن ذاك الذي يظنّه الناس أنه يُستخدم للتقرُّب، بل هي بالعكس، تُستخدم كي لا تعود الكنية معروفة. قلتُ له: أنتم لفّقتم لي تهمة رهيبة هي المس بالمال العام، فقال: أنت تعرف، ونحن لفّقناها تلفيقاً. فأجبته: وتعترف بذلك. وكان هذا الحوار بشهادة ابنتيّ آمال وثريا وشخص اسمه مالك بعيّو. قال: أنت تعرف أخاك. فقلت: من أين هذه التعليمات؟ فأجاب: من أخيك، ولكن ما إن تعود سنلغيها. فأجبته بأنني لن أتحرك من هنا إلا بعد أن تتنازلوا وتسحبوا هذا الاتهام، شئتم أم أبيتم. ولم تنجح المحاولات. فقال: أنت الآن علاجك على حساب الدولة الليبية وتعال اسكن في هذا الفندق «فوكيت» وإقامتك ستكون على حسابنا. المهم قبلت، لأنني كنت أريد أن أرى إلى أين سنصل. مُنِعت عائلتي من مغادرة ليبيا. وأقاربي وأبنائي وأحفادي مُنعت عليهم المغادرة. وكانت هناك دائماً اتصالات بالهاتف من السنوسي، وقال إنه يعطيني الأمان. لكنني كنت أقول: الثقة في محمد ومحمد مات. وحاولتُ أن أجد مبرراً وقلت إنني لا أستطيع مغادرة فرنسا إلا بأمر من المحكمة، لكن هذا غير صحيح. حضر السفير الليبي آنذاك الدكتور صلاح الزالم وهو صديقي، لكنه من مجموعة موسى كوسا، وحاول ايضاً إقناعي. ومن ضمنها كانت جلسة محكمة حضرها الزالم ومعه عضو من السفارة وأبلغنا القاضي بأن السفير وجماعته، فأمر بتأجيل القضية. ورجعنا وحضر عبدالله منصور من جديد واجتمعت به وسألتُه: كيف تقول لي

«أخوك» يطلبك ومنعتم أسرتي من السفر؟ حضرت ابنتاي ثريا وآمال وحاولتا إقناعي. وأثناء القضية حضرت ابنتاي ست الكل ومنال إلى فرنسا للوقوف إلى جانبي، وست الكل كانت مقيمة في الأردن لأن زوجها سكرتير أول في السفارة، وآمال وثريا كانتا في طرابلس، ومنال حضرت من أميركا حيث تقيم، ووقفن إلى جانبي لأنني كنت مريضاً أيضاً. وأثناء ذلك اتصل ابني إيهاب المسماري الذي كان مستشاراً في سفارتنا في كندا وانشقّ، بابنتي آمال، كبرى بناتي، وقال لها إن كل مصاريف المحامي على حسابي ولا تقبضوا شيئاً من الحكومة الليبية. وتحمّل كل التكاليف.

■ **وكرر القذافي محاولاته؟**

ـ حضر عبدالله منصور وحاول إقناعي ولم أقتنع وكنت متخوفاً. ابنتي ثريا طلبها معمر القذافي للحضور وذهبَتْ لمقابلته، وقال لها: نوري مثل ابني وأخي وأحبه وليقل أي منصب يريد. بالطبع بناتي لا يعرفن خفايا هذا الرجل، فأتين مبتسمات. كانت ثريا في جهاز المراسم وفي الوقت نفسه انتدبت سكرتيراً أول في سفارتنا في السيشيل، وابنتي غادة أيضاً في السيشيل وهي أيضاً انشقّت. لم أقتنع. ثم حضر ابنه المعتصم بالله وطلب مقابلتي، هنا بدأت أشعر بالخطورة.

■ **جاء المعتصم إلى باريس؟**

ـ نعم. وأقام في فندق «بريستول». وطلب مقابلتي، وكان

هناك تخوف من عملية خطف. فأبلغتُ السلطات الفرنسية، فطلبوا مني الذهاب وبصحبتي عناصر من الأمن الفرنسي.

■ أين اجتمعت به؟

ـ اجتمعت به ليلاً في فندق «بريستول» وكانت معي آمال وثريا. اجتمعنا به وكان لقاء جيداً، لا أنكر ذلك. قال المعتصم: أهلاً عمّي نوري كيف حالك وماذا حصل؟ أخبرتُه. فقال: كيف تسجن؟ كانت بدأت في تلك الفترة أحداث ثورة يناير/ كانون الثاني في مصر. وكانت شاشات التلفزيون تبث مشاهد منها. التفتُّ إلى المعتصم وقلتُ له: انظر ما الذي يحصل. عندها رد المعتصم للأمانة رداً غريباً، وقال: «هذه نهاية كل الديكتاتوريات».

التفتُّ صوبَ ابنتيّ، ثريا وآمال، وكان المعتصم ذاهباً لإحضار شيء من غرفته فلاحظت وجود نحو ١٥ زوج حذاء أعتقد أنها لجماعته الذين كانوا معه. قالت ابنتي: ما هذا الرد؟ كان الرد عدائياً على والده. عاد. لم نستمر في الموضوع. كان معترضاً على كل ما يقوم به والده من تدخلات في شؤون الدولة والأمن. وقال لي بالحرف الواحد: أنا مستشار الأمن القومي صورة فقط، لا حول لي ولا قوة.

■ المعتصم الذي قتل لاحقاً؟

ـ نعم. قتله الثوار. قال لي المعتصم: طائرتي معي وغداً

سأغادر فرنسا وأريدك أن تعود معي. قلت إن شاء الله سنرى. وعدت إلى البيت.

بناتي كن مهتمّات ورجونني أن أعود، لكنني رفضت. اتصل بي مدير مكتب المعتصم وقال: نحن أجّلنا السفر وسنسافر غداً، عمّي نوري جهز نفسك ومستشار المعتصم يُسلّم عليك ويطلب منك أن تجهز نفسك لأننا سنغادر. فقلت إنه لا يمكنني المغادرة لأن لدي موعداً لكشف طبي. حصل صدام بيني وبين بناتي لأنهن كن مقتنعات بالكلام الذي سمعنه. سواء ما سمعته ثريا من القذافي في طرابلس أو ما قاله المعتصم وما قاله عبدالله منصور من أن عملية الاتهام تلفيق، وبأمر من القذافي ستتم إزاحتها. لكنني أصررت. غادر المعتصم وأتى السفير ومعه محام ليبي مقيم في فرنسا محاولين إقناعي لكنني رفضت. طلبوا مني أن أقول للقضاء الفرنسي يوم المحاكمة إنني قررت العودة إلى ليبيا فيسمحون لي بذلك. مغادرتي فرنسا من عدمها، قرار لي لأن المحكمة لم تضعه شرطاً ولا حتى كفالة. بالنهاية، إرضاءً لآمال وثريا قررتُ المغادرة والعودة إلى ليبيا، وخلال وجودي في المطار حضر أحد أعضاء مكتب المحامي الفرنسي. قال إنه يفضّل ألّا أعود إلى ليبيا. وأضاف: العودة ليست في مصلحتك وقد تكون هناك أخطار. عندها ألغيتُ السفر واسترجعتُ التذكرة وعدتُّ إلى الفندق. وبدأت بوادر الثورة. وظهرتْ دعوات لجعل يوم ١٧ فبراير يوم غضب، وبدأتْ التحركات على فايسبوك وكنت أُتابعها، وكان يتصل بي بعض الأصدقاء. وكان يوم ١٧ فبراير يوم الغضب. حصلت

الانتفاضة يوم ١٤ فبراير في البيضا حيث قبيلتي قبيلة المسامير والبراعصة وقبائل أخرى. منطقة الجبل الأخضر كلها قبائل قوية ومنها العبيدات. المهم بدأت الأحداث وحصل ضرب. يوم ١٧ مصادمات، ١٨ مصائب، ١٩ بدأ الضرب. أنا انزعجت. يوم ٢٠ كان القتل ساحقاً. في اليوم التالي ظهرتُ على «الجزيرة» وأعلنتُ انشقاقي.

■ كنتَ أول المنشقين؟

ـ نعم أنا الأول. وبعدي مباشرة أحد أعضاء المراسم، وكان منتدباً في الصين، حسين المصراتي، وبعدنا انشق السفير في الهند ثم السيد مصطفى عبد الجليل. وبدأت الثورة.

■ عملتَ مع القذافي مديراً لجهاز المراسم العامة من العام ١٩٩٧ حتى العام ٢٠١٠، هذا يعني أنك كنت الرجل القريب من القذافي؟

ـ وقبلها أيضاً عملت معه من العام ١٩٧٧ حتى العام ١٩٨٢، ثم غادرت.

■ إذا أردنا أن نصف شخصية القذافي، فكيف نصفها؟

ـ القذافي شخص مغرور يعتقد أنه الوحيد الذي يعرف والوحيد الذي يفهم، وأنه شخص ضليع في القانون والاقتصاد والشؤون الاجتماعية والسياسية. الكلمة الأولى والأخيرة له، ولا يقبل أن يعارضه أحد. يحب التباهي ويميل إلى من يشيد به ويقول عنه

إنه كبير وإنه أعظم شخص. ثم إن أي شخص ينصاع له يحصل منه على مكاسب، وهذا ينطبق أيضاً على رؤساء الدول.

■ **على سبيل المثل، من هم رؤساء الدول الذين عنيتهم بكلامك؟**

ـ بعض الرؤساء الأفارقة.

■ **لم تعد ثمة حاجة للتكتُّم؟**

ـ لا أريد أن أتعرّض لتلك الأسماء. سأكتب كتاباً محاولاً عدم التجريح بأولئك الرؤساء.

■ **لكنّ تلك الحقبة ستنكشف في النهاية؟**

ـ إن شاء الله في فترات مستقبلية سأتحدث عنهم. كان هناك رؤساء أفارقة يؤثّر القذافي عليهم، مثل رئيس الكونغو برازافيل ساسو نغيسو، ورئيس مالي امادو توماني توري، وكان رئيس نيجيريا اباسانجو متقلباً، مرة كان مع القذافي ومرة أخرى ضده. وكان من ضمن الرؤساء الذي كان يؤثّر القذافي عليهم ويمتصهم بأمواله رئيس ليبيريا الديكتاتور السابق المسجون تشارلز تايلور. وكان القذافي على علاقة وطيدة برئيس بوركينا فاسو بلايز كامباوري، لكنّ هذه الصداقة حصل فيها انشطار نتيجة زيارة كامباوري إسرائيل. وكان أيضاً مؤثراً على الرئيس الغاني جيري رولينغز، وكان له تأثير كبير على رئيس سيراليون، كما كان للقذافي تأثير نسبي على رئيس ساحل العاج، وتأثير على رئيس افريقيا الوسطى بوزيزي، وهذا أيضاً كان مدعوماً

من رئيس تشاد إدريس ديبي ووصل إلى السلطة في ظله وانضم إلى جناح القذافي. ولكن بين القذافي وبين إدريس ديبي كان يحصل تقارب في بعض الأحيان وابتعاد في أحيان أخرى، وفي الفترة الأخيرة كان هناك تقارب بينهما.

■ **هؤلاء الرؤساء كانوا يتقاضون أموالاً من القذافي؟**

ـ من دون شك، مساعدات واستثمارات في بلادهم. والاستثمارات والهدايا كانت من مسؤولية مدير مكتب القذافي بشير صالح الذي كان يتصرف بتعليمات وأوامر، وكان يمسك المحفظة الأفريقية.

■ **وفي أيّ من الرؤساء العرب كان القذافي مؤثراً في السنوات العشر الأخيرة؟**

ـ كان تأثير القذافي على الرئيس التونسي زين العابدين بن علي مؤكداً. وبين القذافي والرئيس عبد العزيز بوتفليقه كان هناك نوع من البرود، ولكن في بعض الأحيان كان يتم التقارب بينهما. في بداية الأمور كان هناك انشقاق بين بن علي والقذافي، لكنّ التقارب عاد من طريق أنسباء زوجة بن علي وعائلة صهر بن علي، وخلال زيارات القذافي لتونس كانت تقام له حفلات كبيرة. كان القذافي في السنوات الأخيرة يدعم صاحبي القرار في تونس ومصر.

■ **اندلعت الثورة، فماذا فعلتَ وماذا قدمت؟**

ـ في البداية تابعتُ الأحداث التي راحت تتسارع أكثر مما هو

متوقع، تظاهرات سلمية من دون سلاح، أناس يطالبون بحقوق بديهية ومشروعة، حقوق إنسان وقانون ودستور وعدل ومساواة. لم تخرج التظاهرات في البداية للمطالبة بإسقاط القذافي. عاشت البلاد ٤٢ عاماً بلا قانون أو دستور. الدستور هو ما أعلنه القذافي في إعلان قيام سلطة الشعب. أطلق على البلاد التسمية التي يرغب فيها.

■ الجماهيرية؟

ـ الجماهيرية العربية الليبية، وهي كلمة لا ترجمة لها. قال: أنا أريدها هكذا وكان له ما أراد. فهمنا أنه يريد اسم الجماهيرية كي ينسب إليه، وكانت بالأجنبي تُلفظ الجماهيرية. ردَّ على التظاهرات السلمية بالنار. ثم استخدَم سلاح الجو. اتصلتُ بمحطة «الجزيرة» وأعلنتُ انشقاقي، مطالباً الإخوة في القوات المسلحة بعدم الاصطدام بالشعب ورفض تنفيذ الأوامر، وألّا يلطخوا أيديهم بدماء إخوتهم، وأن يقفوا إلى جانب الشعب. هذا أولاً، ثم حصل اتصال بيني وبين السلطات الفرنسية، وكُلّف شخص من مكتب وزير الداخلية بالبقاء على اتصال معنا، وقلت لهم إن الاحتجاجات تحوّلت ثورة شعبية. بعدها تلقيتُ معلومة بالغة الخطورة.

■ كنت تتابع من باريس؟

ـ نعم، وصلتني معلومة إن هناك رتلاً عسكرياً ضخماً يبلغ طوله نحو ٦٠ كيلومتراً ومزوداً بأسلحة ثقيلة، دبابات وراجمات

وقاذفات صواريخ، غادر طرابلس ووجهتُهُ الفعلية بنغازي، فحذَّرت السلطات الفرنسية. جاء الرّتل من ناحية الصحراء ليفاجئ الثوار في بنغازي، وللأمانة أقول لو تمكن الرتل من الوصول لكانت الثورة في خبر كان. في هذا الوقت اتخذ عبدالرحمن شلقم مندوب ليبيا في الأمم المتحدة موقفه التاريخي المعروف وانشق عن النظام كما انشق ابني إيهاب الذي يعمل مستشاراً في السفارة الليبية في كندا، رافضاً الإغراءات والتهديدات.

■ اين كانت بقية عائلتك؟

ـ كانت في طرابلس، ابنتي غادة سكرتير أول في السيشيل انشقت، قلتُ لها خذي أمتعتك وأولادك وغادري من دون إعلام أحد وإلا ستحصل لك مشاكل. وفعلاً جاءت إلى الأردن وأعلنت انشقاقها، وانزعج القذافي واستدعى ابنتي ثريا التي كانت سكرتيراً أول في السفارة في السيشيل، ولكن في تلك الفترة كانت في مهمة في ليبيا، فحاصرتها الأحداث ولم تغادر ليبيا، واستدعى ابنتي أمال وابني محفوظ. أحضرهم أحد أذناب القذافي، وطلب منهم التبرؤ مني فرفض الثلاثة وقالوا له: «هذا مستحيل ولا يمكن، إذا أردتم إجراء مقابلة معنا فلا مانع، ولكن ليس أكثر من ذلك، ولسنا في وارد التبرؤ من والدنا حتى لو تعرضنا للقتل والذبح، والدنا لديه وجهة نظر خاصة، هو حر ونحن لا نؤثر فيه». وضعوهم في الإذاعة وأجروا معهم مقابلة ثم عادوا إلى بيتهم وأنا تابعتُ نشاطي.

ابني ايهاب كوّن خلية داخل طرابلس وصرنا نمد عناصرها بأجهزة الاتصالات، أرسلنا لهم مبالغ بسيطة لشراء بعض المعدّات الأولية وأسلحة خفيفة، لكي يتمكّنوا من التحرك.

■ زوجتك كانت في طرابلس؟

ـ كانت في طرابلس. أرسلنا إلى أعضاء الخلية مناظير ليلية وأجهزة اتصال من النوع الذي يصعب على الأجهزة الليبية التي كانت لا تزال موالية للقذافي التنصت عليه. كنا نرسل هذه الأشياء من طريق تونس، وللأمانة وقفت تونس مع الثورة موقفاً جيداً حكومة وشعباً. كان هناك موقف رسمي واضح وكان هناك تعاطف شعبي واضح. عائلات فتحت بيوتها لليبيين وهناك أناس خرجوا من منازلهم وسلّموها لليبيين. كان بين أفراد المجموعة التي شُكِّلت في طرابلس شاب متخصص بالكومبيوتر، نجح في اختراق نظام اتصالات أجهزة القذافي وحصل منها على معلومات. تمكّن أيضاً من التعرُّف على المواقع العسكرية وانتشار الجنود والدبابات. كان الشاب يُرسل هذه المعلومات إلى إيهاب الذي ينقلها إليّ وأتولّى أنا إرسالها إلى السلطات الفرنسية. حصلنا على إحداثيات باب العزيزية وسلّمناها إلى الفرنسيين فضربوا باب العزيزية. وهنا حصلَتْ مصادفة. واحدة من بناتي تكلّم أختها وتقول لها هناك الليلة فرح في العزيزية حيث كانت لا تزال تقام حفلات. في تلك الليلة قُصفت منطقة باب العزيزية واعتبروا كلام ابنتي نوعاً من الإشارة إلى أن هجوماً سيحصل.

■ ابنتك لم تكن على علم بما يجري وإنما الأمر جاء صدفة؟

ـ نعم إنها مجرد صدفة. بيتي لم يكن بعيداً عن باب العزيزية، كان قرب قاعدة الشعب. تعرّض باب العزيزية لغارة قوية من طائرات الناتو. ألقى رجال القذافي القبض على زوجتي وهي مريضة جداً وجرّها الحراس من شعرها على الأرض، وعاملوا إحدى بناتي بالطريقة نفسها وأوثقوا يديْ شقيقتها ووضعوا القيد الحديد في يديها، أخذوا ابنتي آمال وأطفالها وابني محفوظ وولديه وزوجته ووضعوهم في السجن العسكري، أي المكان الذي سجنتُ أنا فيه عند عبدالحميد السايح. وصلني الخبر فاتصلتُ بعبدالرحمن شلقم. طلب مني التخفيف من مقابلاتي الإعلامية، وضع مذكرة فوراً موجهة إلى الأمم المتحدة تشرح ما حصل وأن بين المسجونين أطفالاً ونساء. واتصل بي وأخبرني أن محمد العلاكي اتصل به وهو كان ممسكاً بالمجلس التنفيذي لشؤون العدل، بعد الثورة، وكان في الدوحة وكان متعاطفاً معي وشكرني على موقفي، وطلب مني أن أتصل بسيدة أعتقد أن اسمها هناء مسؤولة عن حقوق الإنسان في مصر للأمم المتحدة. حاولتُ الاتصال بها ولم أفلح، ولكنها اتصلَتْ هي بي بعدما اتصل بها العلاكي. في تلك الفترة كانت بعثة الأمم المتحدة موجودة في ليبيا، لمتابعة بعض التجاوزات لحقوق الإنسان، وأبلغَتْها أن هناك شخصاً منشقاً اسمه نوري المسماري وأن عائلته في السجن وبين أفرادها أطفال ونساء، وحصل تدخل.

■ غادروا طرابلس؟

ـ هرّبناهم، استطعنا تهريب الأطفال من طريق تونس وأحضرتُهم إلى عمان واستمررنا في الكفاح. واتصل بي عبدالرحمن شلقم وقال لي إنه ذاهب إلى روما حيث يُعقد اجتماع يشارك فيه محمود جبريل ومحمود شمام، طالباً مني أن أُشارك. قلت له إنني لا أريد دوراً أو موقعاً وأن أي تعليمات تصدر عن عبدالرحمن شلقم سأنفذها وغير ذلك لا أعترف بأحد.

■ لم تذهب إلى روما؟

ـ ذهبتُ واجتمعتُ مع عبدالرحمن شلقم في فندق «غراند أوتيل» وكان حافظ قدور موجوداً وشخص اسمه علي زيدان، معنيّ بحقوق الإنسان في باريس، وكان عندي في المراسم في زمن السبعينيات. تصافحنا وحكينا. ثم قال لي عبدالرحمن إن عليّ أن أُتابع من باريس، واقترح أن أنسِّق مع سفير ليبيا في عمّان الذي اعلن انشقاقه. كان شلقم يعرف علاقتي بالملك عبدالله الثاني وطلب مني أن أسأل لماذا لم يعترف الأردن حتى الآن بالمجلس الانتقالي؟ وأن أطلب أيضاً مساعدتنا في تدريب الجيش والشرطة والتعليم واستقبال الجرحى. وقلت إنني حاضر، وبالصدفة، عندما رجعت إلى باريس، اتصل بي مسؤول أردني من الديوان هو السيد عامر الفايز، وقلتُ له إنني سأحضر غداً وحزمتُ أمتعتي وغادرتُ باريس إلى عمان، حيث استقبلني السيد عامر الفايز وأوصلني إلى البيت وقال إنهم سيؤمنون لي الحراسة.

■ هل لديك منزل في عمان؟

ـ لا، هذا منزل ابنتي، لأن زوجها كان سكرتيراً أول في السفارة، وخُصِّصت لي حراسة من الأمن الوقائي، وكانوا حريصين عليّ. أتتهم معلومات من طريق الاستخبارات أن أناساً يريدون رأسي. قابلتُ جلالة الملك وسأل عن أحوالي، وتمنّيت عليه الاعتراف بالمجلس الانتقالي فوافق وأكد أنه سيتم الإعلان عن ذلك، وطلبتُ منه المساعدة في تدريب الجيش وليس التدخّل أو إعطاء أسلحة، ووافق على مساعدة الجيش والشرطة والمساعدة في مجال الصحة ومعالجة الجرحى. وبادر الملك إلى معالجة دفعة من ١٥٠ جريحاً على نفقته الخاصة. وصدرت تعليمات للمستشفيات بقبول الجرحى الليبيين على أن تتم تسوية مستحقات المستشفى بعد استقرار الوضع في ليبيا، وهذا ما حصل كاملاً. وهناك الآن تدريب في الأردن في المجال العسكري والأمني.

■ ما هي الدول العربية التي لعبت دوراً في إسقاط القذافي؟

ـ كلمة أُوردها للأمانة. شعرتُ في كل اللقاءات مع ملك الأردن بأن همه الأول والأخير كان أن تتمكن ليبيا من الخروج من المرحلة الصعبة وأن تتغلّب على المشكلات التي تواجهها، ولم ألمس وجود أي أجندة خاصة للأردن. أما بالنسبة إلى السؤال، فقد كان هناك دور لقطر.

■ ما الذي قدمته قطر؟

ـ قدمت السلاح وأرسلت بعض الجنود القطريين إلى الميدان وأموالاً. لكنّ ما وصل إليّ من معلومات هو أن المساعدات كانت توجه إلى جهات معينة، وحسب ما فهمت من مقابلة لعبدالرحمن شلقم أن هناك نوعاً من التدخل في الشؤون الداخلية لليبيا، وهذا الأمر لن يقبله الليبيون. الأميركيون لم يتدخلوا في الشؤون الداخلية وعلى رغم ما يقال عن النفط، فهناك مسألة واضحة، حين يكون لديك نفط وتريد أن تبيعه فأنت تبيعه لصديقك لا لعدوك.

■ هل تعني أنها ساعدت الإسلاميين؟

ـ هذا ما ورد إليّ. لكن لكوني لم أعايش هذا الشيء لا أستطيع تأكيده.

■ الدولة الثانية؟

ـ دولة الإمارات العربية المتحدة.

■ أرسَلَت جنوداً؟

ـ نعم أرسلت. الأردن ساعد أيضاً في أمور كثيرة، أرسل مواد غذائية، ومستشفى ميدانياً بتعليمات من الملك عبدالله، وهذا ساعد الجرحى كثيراً في بنغازي، واتُّخِذَ قرارٌ لإرسال مستشفى ثان في طرابلس بعد سقوط القذافي. للأمانة لا أريد أن يقال إن انتمائي أردني، لكن الأردن لم يطالب بأي تدخل في شؤون ليبيا الداخلية، لا من قريب ولا من بعيد.

■ **وبقيت في الأردن إلى أن. . .؟**

ـ توالت الأحداث وأصبح هناك انشقاق، وحين قابلتُ الملك سألني: ما الذي يحصل في هذا البلد العزيز علينا، وقال: حاوِلوا تصفية الأجواء، فوعدته. وحاولنا الاتصال بمسؤولين، وجلالة الملك حاول الاتصال وقابل بعض المسؤولين لتهدئة الأمور. وكان الأردن أول دولة عربية تعترف بالمجلس الانتقالي، طبعاً من دون أن ننسى أن الإمارات ساعدت في إسقاط القذافي.

■ **قطر أيضاً اعترفت باكراً؟**

ـ قطر كانت منخرطة في الموضوع منذ البداية والمجلس الانتقالي تكوَّن عندها، ولكن نحن نتكلم عن الاعترافات، أول دولة كانت الأردن. كان الوقوف مع الثورة والمجلس اعترافاً ضمنياً، لكن الإعلان الرسمي كان الأردن أول من قام به.

■ **من كان الفريق الليبي الذي ساهم أكثر في إسقاط القذافي: الإسلاميون؟**

ـ الثوار الحقيقيون هم الاحرار الذين لم يكن لديهم أي أجندة، لا غربية ولا شرقية ولا أجنبية ولا عربية ولا ميول دينية، وهم الذين حرروها.

■ **قلت سابقاً إنك شاهدتَ القذافي يوم مقتله على التلفزيون، وقلت إنه كان يجب ألا يقتل؟**

ـ نعم. وللأمانة كان يجب ألا يُقتل، كانت تجب محاكمته في المحكمة، كما حوكم صدام كي نسمع ما لديه ليقوله، لكن للأسف كان هناك غيظ وكراهية وهناك أناس تعذّبوا كثيراً وتألموا كثيراً من أعماله، خصوصاً خلال أحداث ثورة ١٧ فبراير. كان الناس لديهم دافع للانتقام، ما جعلهم يتصرفون التصرف الذي حصل، كان تصرفاً لا شعورياً، لم يكن شيئاً مرتباً. وأعتقد أيضاً أن هناك أجندة خارجية كانت لا تريد أن يصل القذافي إلى المحكمة، كي لا يتحدث عن الأسرار التي كانت لديه.

■ عمن؟

ـ كل من قابله وتحدَّث إليه، لا أستطيع أن أجزم لكن هناك حكاماً ورؤساء.

■ في الغرب؟

ـ في الغرب والشرق.

■ **مثلاً، هل كان من الممكن أن يقول شيئاً يحرج طوني بلير؟**

ـ أي واحد، لأن القذافي أعرفه، من نوعية: عليَّ وعلى أعدائي يا رب، وهذا ما حصل، وقام به. وكان حتى آخر لحظة يقول: بعدي ستشهد النار ليبيا. هو من هذا النوع، وحين يصل إلى حبل المشنقة سيقول عليَّ وعلى أعدائي يا رب، فكان من الضروري تصفيته قبل دخوله المحكمة.

■ هل كان يحب الإيرانيين؟

ـ كان متعاطفاً معهم، والدليل أنني ذهبت في بداية ثورة الخميني والرائد عبدالسلام جلود وواجهتنا مشاكل في المطار. تدخُلون أو لا تدخُلون، ثم تدخّل «الحرس الثوري» والمشايخ، وآية الله منتظري، وكان «السافاك» لا يزال ناشطاً ودخلنا، وقابلنا الإمام الخميني في قم، ثم رجعنا ورحنا في زيارة ثانية وكانت الأمور شبه مستقرة. لكن المتعاطف جداً مع الإيرانيين كان عبدالسلام جلود، حتى أنه وضع شخصاً مقرباً منه وهو سعد مجبر، وكان مندوب الوكالة وترقّى إلى سفير في إيران، وأقام علاقات واسعة مع رجال الدين هناك.

■ القذافي أعطى إيران أسلحة قُصفت بها بغداد؟

ـ نعم تردد أن أسلحة ثقيلة وصواريخ خرجت من ليبيا إلى إيران. ذكرتُ لك أن عبدالسلام جلود كان شديد الحماسة لهذه الثورة المناهضة للغرب، ثم أُضيفت الرغبة في تصفية الحسابات مع صدام رداً على تدخّله في تشاد لمصلحة المناوئين للقذافي.

■ لأن صدام كان يسلّحهم؟

ـ كان يسلّحهم وأرسل خبراء عسكريين إلى حسن حبري لتدريب الجيش.

■ لم يذهب إلى إيران؟

ـ بتاتاً، على رغم أن موضوع اختفاء الإمام الصدر لم يتسبب في قطيعة.

■ لماذا إذاً؟

ـ لا أعرف، ولم نتطرق إلى هذا الموضوع، ولكن لم يزر إيران، ربما كان يخاف.

■ **هل أثار الإيرانيون معكم موضوع موسى الصدر؟**

ـ كانوا يثيرونه، لكنه لم يتحول عقبة تسبّب قطيعة.

■ **ماذا كان يجيب؟**

ـ لا أعرف، ولكن أعرف أنهم كانوا يتكلمون أحياناً عن موضوع موسى الصدر، وكان يقول إنه «مش فاضي إليهم، اتكلموا أنتم معهم»، وهذا يعني أنه كان ينكر الموضوع.

■ **هذا ما كان يقوله القذافي؟**

ـ حين تنتهي المقابلة كان يقول: حكى هؤلاء عن موضوع موسى الصدر، «شوّ عرفني شو في عن موسى الصدر، قابلوهم أنتم واحكوا معهم».

■ **هل استقبل وفوداً إيرانية؟**

ـ طبعاً، طبعاً.

■ **مثل من؟**

ـ رجال دين بينهم خلخالي، والتقى أحمدي نجاد في غامبيا.

■ كان مهتماً كثيراً بمسألة تشاد؟

ـ كان يريد أوزو، لأنها تحتوي على يورانيوم.

■ هل وضع برنامجاً نووياً؟

ـ كان اللواء أحمد محمود، ممّن يسمّون عنده الضباط الأحرار، مكلفاً بموضوع النووي، ثم كلَّف به محمد المعتوق، ثم عُيِّن وزير المرافق.

■ ماذا اشتروا؟ هل اشتروا خبرات نووية من العالِم الباكستاني عبدالقدير خان؟

ـ حصلوا على حاجات من الهند وباكستان، ولكن من هو الشخص، لا أستطيع أن أجزم.

■ هل حصلوا على أشياء من كوريا الشمالية؟

ـ كان الكوريون يأتون كثيراً إلى ليبيا.

■ هل كانت هناك أسلحة بيولوجية؟ وماذا عن منطقة الترهونة؟

ـ موجودة ومعروفة، موجودة في الترهونة.

■ مصنع الرابطة؟

ـ مصنع الرابطة هو المصنع الاستراتيجي، وكان فعلاً ينتج

«اسبيرين» من فوق وأسلحة محظورة من تحت، وكان «الأسبيرين» للتعمية. طبعاً كانوا يحلمون بإنتاج قنبلة ذرية.

■ **من أين العلماء؟**

ـ والله لا أكذب عليك، هذا الموضوع لا علاقة لي به، ولا أحب أي كلام يقال، يقولون إن هناك حتى ألماناً.

■ **في المصنع الكيميائي؟**

ـ نعم.

■ **من قتل ابنك؟**

ـ ابني العقيد فيصل كان تخصصه «استطلاع كيماوي»، نُقل من الاستطلاع الكيماوي إلى البحرية وهذا التخصص يمكِّنُهُ من اكتشاف أي إشعاع بري أو كيماوي.

■ **أين تخَصَّص؟**

ـ في الكلية في ليبيا.

■ **أين قُتِل وأي سنة؟**

ـ في ٢٠٠٦، كنا في رمضان. قُتل في منزله وبعد أخذه إلى المستشفى وذهابي إليه. بعد عودتي إلى مسرح الجريمة، وجدتُ المكان مغسولاً ونظيفاً، قلت لهم كيف تنظفون والمباحث والنيابة لم تنتهِ من تحقيقاتها، فقالوا لي أتتنا أوامر بأننا لم يبقَ لدينا عمل هنا. نظِّفوا المكان. أصبحت أشك في

هذا الموضوع، لم نر الرصاص، هو لم ينتحر لأن طريقة القتل كانت واضحة: لقد قُتل. في البداية كان معمر القذافي متعاطفاً معي وقال لي لا يمكن أن ينتحر شخص برصاصتين. حتى مسدسه كان نظيفاً ولم يخرج منه رصاص ولا دم عليه، علماً أنه كانت هناك بحيرة دم فعلاً. كانت قصة غريبة فأنا لم أكن مقتنعاً واشتكيت ورفعتُ مذكّرة إلى معمر القذافي، وشكّلوا لجنة برئاسة محمد الخضار، رئيس الادعاء العسكري، وموسى كوسا وعبدالله منصور للتحقيق في هذا الموضوع، وأنا كنتُ مصراً على أن أعرف النتيجة. موسى كوسا والخضار لم يذهبا إلى التحقيق نهائياً، الذي ذهب هو عبدالله منصور. كان المطلوب أن يكون عبدالله منصور هو الوحيد الذي يحقق حتى لا نصل إلى نتيجة. وبالفعل لم يصل إلى نتيجة. محمد الخضار صديقي ودرسنا معاً، وكنّا ابنَي الحارة نفسها. قال لي: يا نوري اترك الموضوع أحسن. في المدة الأخيرة في أحداث ١٧ فبراير/ شباط كلّمني شاب وقال لي: يا عمو نوري، عقيد الشرطة الذي كان يحقق في هذا الموضوع طُلب منه تمزيق كل الأوراق وعدم التمادي في التحقيق، وإن ابنك قُتل بناء على تعليمات المعتصم.

■ هل كانت هناك خلافات؟

ـ كانت علاقتي بالمعتصم جيدة جداً، ولكن حصل شيء ما بين فيصل والمعتصم. كان فيصل عصبياً، لستُ أعرف ما كانت طبيعة العلاقة بينهما، وكنا حين نذهب ونأتي، كان يطلب

مني القذافي أن يبقى العقيد فيصل معه. السرّ كله عند عقيد الشرطة الذي لم أجده.

■ **أنت من أي منطقة في ليبيا؟**

ـ أنا من قبيلة المسامير من الجبل الأخضر.

■ **كم ولداً لديك؟**

ـ لدي ثلاثة أولاد، واحد توفي، وثماني بنات.

■ **زوجتك معك هنا؟**

ـ لا في ليبيا.

■ **كُتب أنك تملك سيارات فخمة واستفدت كثيراً من القذافي؟**

ـ أولاً أنا من عائلة غنية أهدتني والدتي بناية. وحين أتى القذافي أمّم كل الأملاك، وأنا رفعتُ قضية لأستردّها وماطلوا كثيراً وكانوا يقولون لي إن القضاء لم يبتّ بعد القضية وأنا أنتظر. وأنا منذ عام ١٩٦٧ أملك أفضل السيارات.

■ **ما هي أحسن سيارة برأيك؟**

ـ السيارة التي اشتريتها في ١٩٦٧ هي فورد موستانغ وما زالت في الاستعمال ومجددة، وهي معي في عمان؟

■ **هل تحب الفيراري؟**

ـ أجل، وأحب كل السيارات الفخمة. أنا لم استفد من القذافي والذي فعلته لا أُخفيه، والذي أشتهيه أشتريه. ويوم يجدون أنني أخذت مليماً من القذافي أو من الدولة الليبية فليحاسبوني على ذلك.

■ ثروتك من أهلك ومن التجارة؟

ـ نعم، استقلتُ ١٥ سنة وعملتُ في التجارة، وحين عدتُ إلى المراسم اشتريت أول سيارة جاغوار عام ١٩٩٠.

■ تتكلم لغات عدة؟

ـ فرنسي، إنكليزي، إيطالي وإسباني.

■ ما هي هوايتك؟

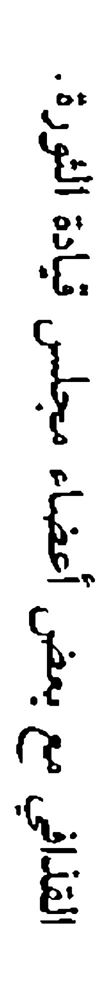
ـ أحب الاطلاع والقراءة. أقرأ القصص والروايات، وكنت ألعب كرة السلة.

■ ماذا تفعل الآن؟

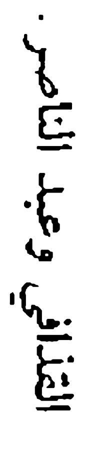
ـ أفكّر في التجارة وبدأتُ مشروعاً تجارياً. أما الدولة والعمل الرسمي فأنا منسحب منهما.

القذافي ورعيله
صور من التاريخ

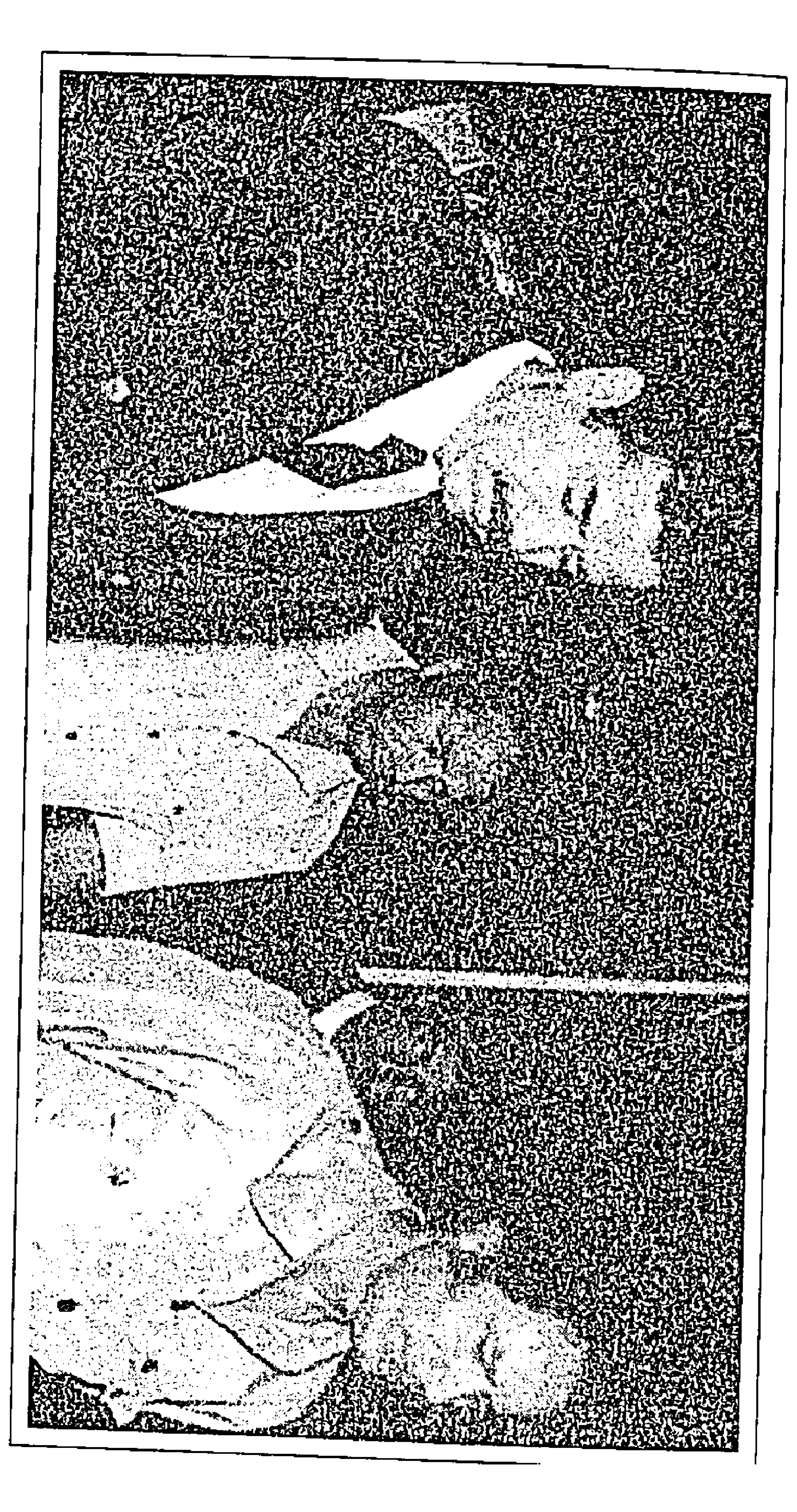




القذافي مع بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة.



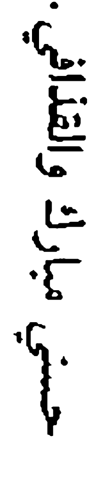
القذافي وعبد الناصر.



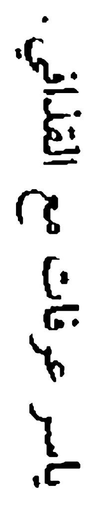
القذافي وصدام حسين



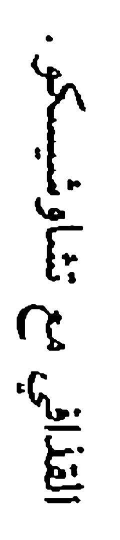
زين العابدين بن علي يرحب بالقذافي في تونس.



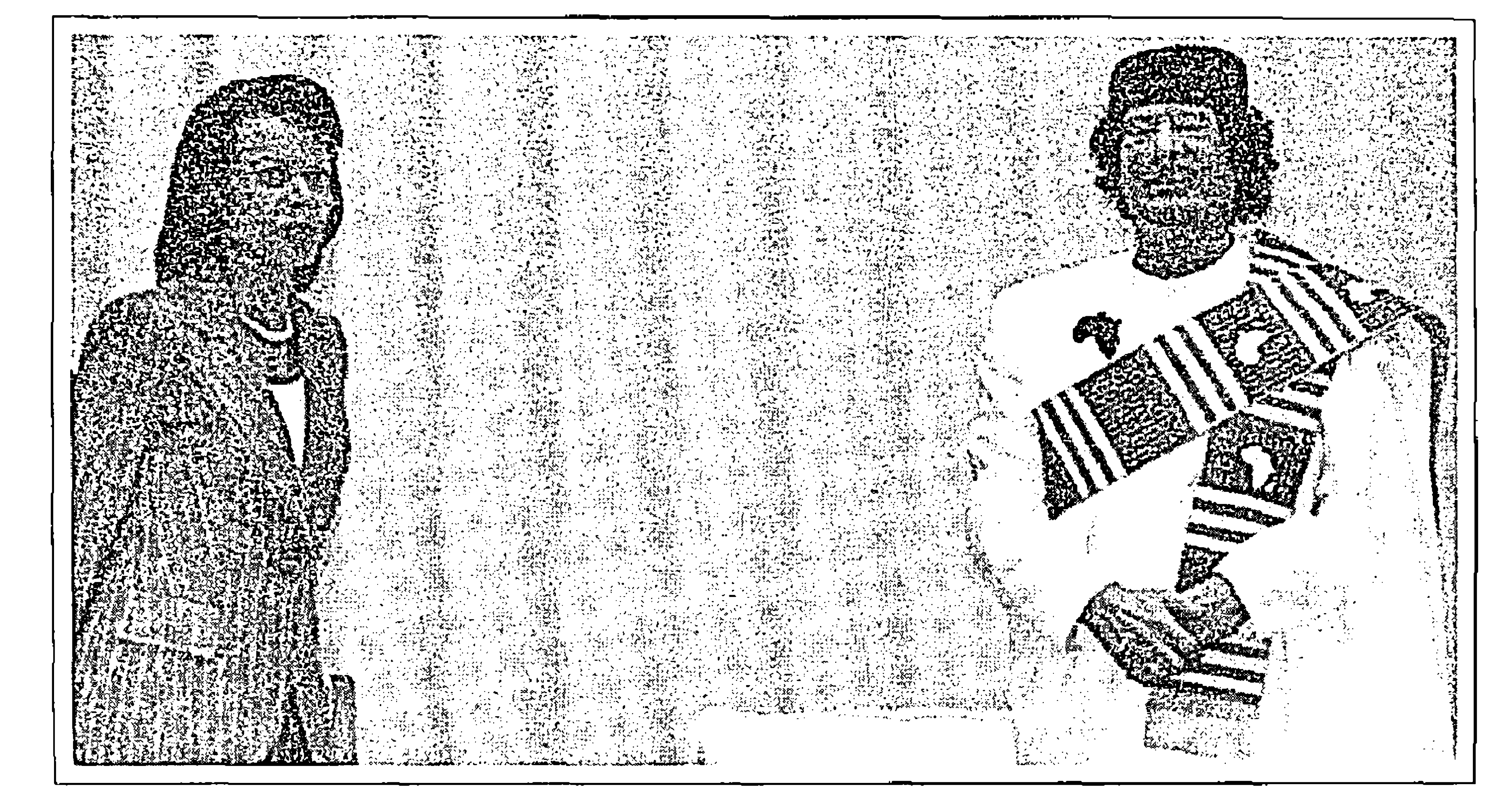
حسني مبارك والقذافي.



ياسر عرفات مع القذافي.



القذافي مع تشاوشيسكو.



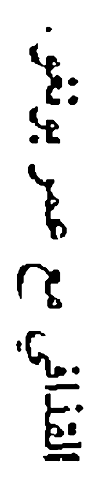
القذافي مع كوندوليزا رايس.



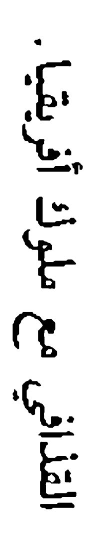
برلسكوني يقبل يد القذافي.



المسماري في حوار مع أوباما خلال قمة الدول الثماني في إيطاليا.



القذافي مع عمر بونغو.



القذافي مع ملوك أفريقيا.

المؤلف

صحافي وكاتب لبناني. بدأ حياته الصحافية في «النهار» اللبنانية ثم عمل في «وكالة الصحافة الفرنسية» وصحيفة «الشرق الأوسط» ومجلة «الوسط». يتولى منذ عام ٢٠٠٤ رئاسة تحرير صحيفة «الحياة».

شارك في تغطية عدد من الأحداث العربية والدولية واهتم عبر سلسلة «يتذكر» بتوثيق عدد من المحطات اللبنانية والعربية على لسان أصحاب القرار فيها.

صدر له عن «دار النهار»:

ـ جورج حاوي يتذكر «الحرب والمقاومة والحزب».

ـ خالد مشعل يتذكر «حركة حماس وتحرير فلسطين».

وعن «دار رياض الريس»:

ـ ذاكرة الاستخبارات، ٢٠٠٧.

ـ أسرار الصندوق الأسود، ٢٠٠٨.

ـ العراق من حرب إلى حرب: صدام مرّ من هنا، ٢٠٠٩.

ـ أين كنت في الحرب؟ ٢٠١١.

فهرس الأعلام

أ

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

فهرس الأماكن

أ

غ

ف

ق

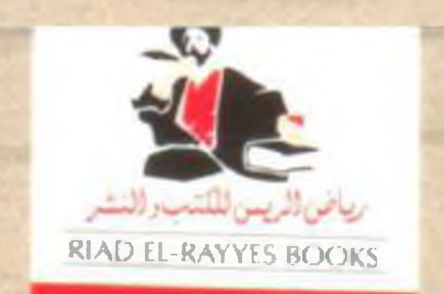
ك

ل



كل الخيوط في يد رجل واحد والرجل مريض. يهرب إلى الصحراء مع خيمته. لا يحبّ توقيع الأوراق. الأوامر بالهاتف أو شفوية سواء كانت لإنفاق الملايين أو للقتل. احتقاره لشعبه لا ينفصل عن احتقاره لكل القواعد الدولية والأعراف. سيُرسِل المتفجرات في كل اتجاه. وستنفجر عبواته جواً وبحراً وبراً. وفي بلدان قريبة وبعيدة. كان يبتهج بإضرام النار في الرداء الأميركي. ويكره السوفيات ويشتري منهم الترسانات (...)

لا تتسع البلاد لأكثر من رجل. إنه القائد العلاّمة الأب الحنون. صاحب الرؤية الثاقبة والقبضة المشعّة. حارس التاريخ. المؤتمن على الحاضر. الممسك بمفاتيح المستقبل. رمز الكرامة والعنفوان. موزّع الخبز والأحلام على الرَّعية. موزّع الرعب وولائم الصمت الطويل. هذه بلاده وهو يملك كل شيء فيها. الأرض والغيوم التي تمرّ فوقها. الآبار والقبائل المبدَّدة على جوانب فوّهاتها. ولهذا لا يرف له جفن. يستبيح الأرض والكرامات والثروة ويغتصب النساء أيضاً. إنه الرجل الوحيد. إنه المغتصب الكبير.




ISBN 978-9953-21-553-2